

الحركة العلمية

في

جامع عمرو بن العاص

في

«عصر الولاء»

(٢١هـ - ٢٥٤هـ)



مكتبة دار الفكر العربي
مكتبة الآداب جامعة الأزهر



دار الفكر العربي

الحركة العلمية
في
جامع عمرو بن العاص
في
«عصر الولاة»
(٢١هـ - ٢٥٤هـ)

تأليف
الدكتور السَّيِّدُ البُوسَيْرِي
كنية الآداب - جامعة أسيوط

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

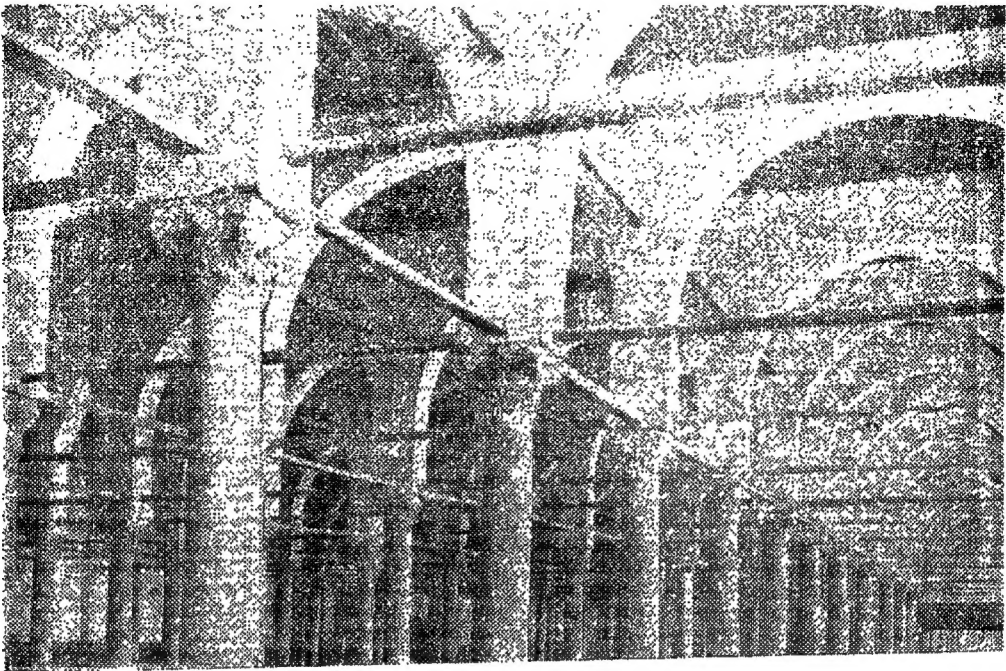
الإدارة : ١١ ش جواد حسنى - القاهرة

ص ب ١٣٠ ت ٣٩٢٥٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

فاتحة كل خير وتمام كل نعمة



جامع عمرو بن العاص من الداخل

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٧	مقدمة
١٣ - ٤٤	الفصل الأول : اهتمام الولاة بجامع عمرو بن العاص ووظائفه الهامة
١٥	* جامع عمرو بن العاص - عمارته - وظائفه الهامة
١٩	أولا - اهتمام الولاة بجامع عمرو بن العاص
٢٣	ثانيا - وظائف المسجد الجامع
٢٤	(أ) مجلس القضاء في جامع عمرو بن العاص
٢٨	(ب) مقر بيت المال ومتولى الخراج
٣١	مجالس القضاة والمذكرين
٣٦	هوامش الفصل الأول
٤٥ - ١٠٠	الفصل الثاني : جامع عمرو مركز الحركة العلمية في مصر
٤٧	أولا - حلقات حفاظ الحديث في جامع عمرو
٥٧	ثانيا - خلق الفقه في المسجد الجامع
٥٧	* نشأة علم الفقه
٥٨	* خلق الفقه في العصر الأموي
٦٠	* ازدهار حلقات الفقه وظهور المذاهب بمصر في العصر العباسي
٦٢	* الفقهاء المالكية بمصر في العصر العباسي
٦٧	* زوايا الفقهاء الشافعية في جامع عمرو
٧٢	ثالثا - خلق القراءات في المسجد الجامع
٧٦	* ظهور قراءة نافع وتلاميذه بمصر في عصر الولاة العباسيين
٧٧	* ظهور قراء ورش المصري
٨١	هوامش الفصل الثاني

الصفحة

الموضوع

الفصل الثالث : مجالس الأدب ودواية الأخبار وقبلة العلماء من بلاد المغرب

١٥٤ - ١٠١

والأندلس

- ١٠٣ أولاً - مجالس أرباب اللغة والنحو والأدب
١٠٦ مجالس الأدب في العصر العباسي
١١١ ثانياً - مجالس الرواة والأخباريين
١١٨ ثالثاً - قبلة فقهاء وطلاب العلم من بلاد المغرب والأندلس
١١٨ (أ) في مجالس الحديث
١٢٦ (ب) في مجالس القراءات
١٢٩ (ج) في مجالس الفقه
١٤٠ هوامش الفصل الثالث

الفصل الرابع : الحركة الفكرية في جامع عمرو بن العاص وموقف العلماء

١٨٦ - ١٥٥

منها وظهور الفرق والمذاهب المختلفة

- ١٥٧ أولاً - ظهور السبئية والعلوية في مصر
١٦٣ ثانياً - ظهور الخوارج في الفسطاط
١٦٥ ثالثاً - ظهور آراء المعتزلة والقول بخلق القرآن
١٧٤ رابعاً - ظهور آراء الصوفية وذى النون الأخرمي المصري
١٧٨ هوامش الفصل الرابع

١٨٧

الملاحق

- ١٨٨ ملحق رقم (١) فيمن وقف على إقامة قبلة جامع عمرو بن الصحابة
١٨٩ ملحق رقم (٢) كتاب الخليفة المأمون إلى نصر بن عبد الله كيدر
١٩٠ ملحق رقم (٣) جدول بأسماء القضاة في مصر في عصر الولاة
١٩٣ المصاحف والمراجع
١٩٣ أولاً - المصاحف العربية
١٩٦ ثانياً - المراجع العربية
١٩٩ ثالثاً - المراجع الأجنبية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد : فانه من دواعي الشرف والغبطة الروحية أن يكون موضوع بحثنا : جامع عمرو بن العاص أول بيت من بيوت الله في مصر وافريقية يتلى فيه القرآن الكريم ويروى به أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأول موضع يجتمع فيه من الصحابة رضى الله عنهم ما لم يجتمع في غيره من المساجد الجامعة بعد انشائه ، هذا المسجد الجامع الذي عرف بالجامع العتيق وتاج الجامعات يستحق البحث ويستأهل الدراسة العلمية ، ولا غرو فهو مهد الحياة الثقافية الاسلامية التي عاشها اهل مصر بعد بناء القسطنطين ونمو العمران بها ، وهو مسرح الأحداث التي شهدتها الديار المصرية منذ وقوع الفتنة الكبرى حتى نهاية عصر الولاة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى .

لم يكن جامع عمرو مقرا للعبادة فحسب ، ولا مقرا للمجلس القضاء أو مكانا لتوزيع العطاء على جند العرب المسلمين ، بل كان مهدا للحركة العلمية في مصر وبلاد افريقية والمغرب فقد شهدت أرواقه نشأة العلوم الاسلامية الخالصة كالحديث والفقه والقراءات ، ولا غروبة في ذلك فقد أصبح قبلة النازحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المجتهدين والحفاظ البارزين من تابعي التابعين ، كما أصبح محط الآمال وقبلة طلاب العلم من سائر بلاد المغرب والأندلس والتلقى عن شيوخه من القراء والفقهاء وغيرهم من حفاظ الحديث الذين تحلقوا فيه فصاروا من الأعلام النابهين .

لقد اقترنت الحركة العلمية في عصر الولاة بظهور الاسلام وانتشاره في مصر ، والحث على طلب العلم ، كما اقترن جامع عمرو منذ انشائه باستقبال هؤلاء الصحابة والتابعين الوافدين من المدينة المنورة ومكة المكرمة ، ومن بلاد اليمن والشام الى مصر ومشاركتهم في أعمال الجهاد والمرابطة في الثغور ، وفي فتح بلاد افريقية والمغرب ثم بلاد الأندلس في اواخر القرن الأول الهجرى ، بعد أن أصبحت مصر قاعدة لحركة الفتوح العربية الاسلامية .

وكان من الطبيعي أن تأخذ الحركة العلمية طابعا دينيا أو صبغة دينية حيث بدأية التفكير من جانب هؤلاء الصحابة والتابعين ، ومن اعتنق الاسلام منذ وقت مبكر من الموالى المصريين مثل يزيد بن أبى حبيب وغيره فيما جاء به القرآن الكريم وما ورد في الاحاديث النبوية من تنظيم لشئون الحياة الدينية والدنيوية . حيث كانت الذاكرة وقوة الحفظ لديهم هى المعول عليها في حفظ القرآن ورواية الحديث وكذلك التدبر في نصوص وآيات القرآن والطريقة الصحيحة التى يمكن بها قراءته فى المساجد ، ومن أجل تأدية الفرائض والعبادات والاجتهاد فى سبيل استنباط الأحكام الشرعية لمواجهة المسائل والمشكلات التى تميزت بها مصر عما سواها من الأمصار الاسلامية .

حث الاسلام على طلب العلم كما جاء في نصوص القرآن وما ورد في الحديث الشريف ، فلا غرو اذا انطلقت الجماعة الاسلامية في مصر وفي غيرها من البلدان المفتوحة في سبيل حفظ كتاب الله وسنة رسوله الكريم وهما المصدران الرئيسيان للحركة العلمية التي بدأت في القسطنطينية ، واخذت في النمو والازدهار حتى بلغت غايتها في نهاية العصر الاسلامي الاول حينما نضجت علوم الاسلام وآتت ثمارها . وكان تشجيع الولاة المسلمين لهذه الحركة التي اصطبغت بالصبغة الدينية ، اولئك الذين تولوا امارة الديار المصرية فكانوا ائمة الناس في المسجد الجامع والخطباء منهم وحفاظ الحديث من الصحابة والتابعين ، الذين احسوا بعظم الامانة والمسئولية ، وقد علموا أن حكم الناس ليس لتنظيم شؤون دنياهم فحسب ، وانما هو اولاية شؤون الدين والحفاظ عليه ، وتمكين المسلمين من فهم اصوله وقواعده ، وتهذيب السبيل لكي يصبح هذا الدين شرعة الحياة التي يعيشونها ، ومن اجل ذلك كانوا لا يقدمون على أمر من الأمور حتى يتبينوا حكم الله فيه ، فلا تأخذهم عن قواعد الشرع وأحكام القرآن والسنة شهوة الحكم أو غلبة السلطان ، ولا تعيدهم عن جادة الصواب أو الحق لومة لائم .

فكان منزعهم الى العلم ومنهجهم في الحكم . حيث اتخذوا من ذلك سبيلا وعونا لهم على صحة العقيدة وسلامة القصد وسداد الحكم وامانة التطبيق ولا شئ يومئذ سواه . ساعدتهم على ذلك تولى هؤلاء الفقهاء لشئون القضاء في مصر الذين عملوا على ازدياد الحياة التشريعية فازدهرت لذلك الحركة الفقهية بين أروقة المسجد الجامع ومجالس الفتى .

وقد قسمت بحثى هذا الى عدة فصول أبرزت في الفصل الاول منها مدى اهتمام الولاة بهذا المسجد الجامع وعمارته والزيادة فيه من أجل تأدية وظائفه الهامة والعديدة فهو مقر الخطبة والصلاة الجامعة ومجالس القضاء والقصاص وغير ذلك من وجود بيت المال وتابوت القضاة وصاحب الخراج وتوزيع القبالات على المتقبلين ، هذا فضلا عما شهده من الأحداث الهامة منذ دخول السبئية الفسطاط ، وعودة الثوار من أهل مصر اليها ودخولهم المسجد الجامع مرتجزين الشعر حتى كانت سنوات المحنة والقول بخلق القرآن وما جرى لشيوخ هذا الجامع في عهد الخليفة الواثق العباسي وغير ذلك من الأحداث التي أثارها طوائف الخوارج ، والعلوية والمعتزلة في مصر خلال عصر الولاة .

اما الفصل الثاني فقد تركزت الدراسة فيه حول نشأة العلوم الاسلامية وتطورها بين أروقة جامع عمرو حتى صار قلب الفسطاط الفكرى فتناولت علم الحديث ودور الصحابة والتابعين وغيرهم من الموالى المصريين الذين دخلوا في الاسلام ، وما قام به هؤلاء من رواية الحديث وحفظ العلم وتدوينه بعد ذلك في القرن الثاني من الهجرة ورحلة الكثير من العلماء الى مصر في طلب الحديث سواء من بلاد المشرق الاسلامى كالامام البخارى والامام مسلم واصحاب السنن كابى داود وابن ماجة والترمذى ، وغيرهم من علماء القيروان وبلاد المغرب والأندلس .

كما تناولت نشأة علم الفقه وظهور المذاهب الفقهية كمذهب الامام مالك ومذهب الشافعى وأبى حنيفة النعمان وحلقات الفقهاء من الأئمة المجتهدين كالليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الله بن عبد الحكم وغيرهم من الفقهاء النابيين كابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وابن الفرج والمزنى والبويطى والربيع بن سليمان المرادى المؤذن لجامع عمرو بن العاص وامثالهم .

كذلك دور أهل مصر في الفراءات وتطورها وظهور قراءة ورش ورحلة القراء الى جامع عمرو من سائر الأنحاء لتعلم القراءات المختلفة ولا سيما من بلاد المغرب والأندلس .

وتناولت في الفصل الثالث مجالس أرباب اللغة والأدب وما كان يعقد في المسجد الجامع من حلقات في هذا المجال ، وايضا مجالس الرواية وأخبار المغازى والفتوح واهتمام العديد من العلماء والاختباريين الذين كانوا يجمعون بين رواية الحديث ورواية الأخبار

وما أملاه هؤلاء من التأليف حول فتح مصر وأخبارها بعد الفتح حتى قيام عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم بوضع كتابه الشهير « فتوح مصر والمغرب » في أواخر عصر الولاة .

وقد أوضحت في الفصل الثالث أيضا مدى أهمية المسجد الجامع وما اشتهر به من حلة العلم والدرس حتى صار قبلة العلماء من كل مكان وخاصة من بلاد المغرب والأندلس وعمن رحل في سبيل العلم من المحدثين والقراء المغاربة والفقهاء وغيرهم من أهل قرطبة وسائر بلاد الأندلس خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين .

أم الفصل الرابع والأخير فقد تناولت بالبحث فيه مظاهر الحركة الفكرية في جامع عمرو بن العاص وموقف المحدثين والفقهاء المصريين من ظهور الفرق والمذاهب المختلفة بعد أن صار هذا الجامع موئل الشيوخ وموطن العلم والعلماء وقبلة الوافدين من سائر الأنحاء ، فلا شك أن ظهور السبئية منذ وقت مبكر في القسطاط والدعوة لآل أبي طالب دون غيرهم بالخلافة كان له أثره من إثارة حفاظ الحديث وأهل العلم ومحاولة اظهار موقفهم من هذه الدعوة ، وكذلك ظهور العلويين وتعقب العباسيين لهم في مصر وغيرها من الأمصار مما آثار الاهتمام وجعل الفقهاء حينذاك يفكرون بين أروقة الجامع وزواياه حول نظريات الامامة والحكم وفيما ورد من نصوص دينية تؤيد أو تخالف ذلك ومناصرة بعض هؤلاء اهذه الفرق التي اصطبغت مطالبها أو اهدافها بالصبغة الدينية .

كما تناولت بالدراسة موقف أهل العلم والفقهاء من فريق الخوارج بمصر ، ومن ظهور آراء المعتزلة والقول بخلق القرآن ، وما كان من موقف العلماء الرافض لهذه الآراء المتطرفة ، وما جرى في سنوات المحنة من تعذيب أو حبس حتى الموت لبعض الفقهاء المصريين مثل البويطي ، وأخيرا موقف أصحاب الحلق بالمسجد الجامع من ظهور آراء الصوفية بعد أن سطع نجم ذى النون الاخميمي المصري في سماء القسطاط صاحب الأحوال والمقامات واستنكار عبد الله بن عبد الحكم رئيس المالكية وغيره من الفقهاء لآرائه في مجال التصوف والسعى ضد ذى النون المصري حتى أودع السجن في بغداد ، وما أعقب ذلك من اطلاق سراحه ورده الى القسطاط مكرما بعد ان خلع عليه الخليفة العباسي المتوكل وأوصى به والى مصر آنذاك ، وقد أدى ذلك كله الى تعطيل حلقات العلم

والدرس بعض الوقت ، كذلك أدى تعصب بعض القضاة لمذهبهم الى مثل ذلك كما فعل
الحارث بن مسكين حينما تولى القضاء سنة ٢٣٧ هـ على نحو ما اوضحت هذا
في الفصل الأخير .

وقد افادتني في هذه الدراسة مجموعة من الكتب والمصادر الأصلية في التاريخ
والحضارة الاسلامية ، كما استفدت أيضا من أوراق البردى وجامع الكتابات الأثرية
ومجموعة شواهد القبور التي جمعها وحققها العلامة « جاستون فيت » وغيرها من
المراجع العربية والأجنبية الهامة .

والحمد لله أولا وأخيرا . . والله أسأل أن أكون قد وفقت في بحثي وفيما قصصت
اليه ، فمنه نستمد التوفيق . . انه نعم المولى والنصير .

سوهاج في ربيع الأول ١٤١٠ هـ دكتور/السيد طه أبو سديرة

الفصل الأول

إهتمام الولاية بجامع عمرو بن العاص وظائفه الهامة



- أولا - اهتمام الولاية بجامع عمرو بن العاص .
- ثانيا - وظائف المسجد الجامع .
- (أ) مجالس القضاء والفتيا .
- (ب) مقر صاحب الخراج وبيت المال .
- (ج) مجالس القصص والمذكرين .



جامع عمرو بن العاص - عمارته - ووظائفه الهامة

عرف عمرو بن العاص مصر قبل ظهور الاسلام (١) ، فقد كان يشتغل بالتجارة ويتردد بها على بلاد الحبشة واليمن جنوبا وبلاد الشام ومصر شمالا (٢) ، يقول الكندي (٣) « أن عمرو بن العاص كان يختلف بتجارته الى مصر وهي الأدم والعطر » .

والتاجر - كما هو معروف - هو أكثر الناس اتصالا ومعرفة بأخبار البلد الذي يرحل اليه ، فقد أدرك عمرو بفطرته أن مصر ترجحها جميعا ، فهي أغنى بلاد المسلمين بخيراتيا . وأرقى بمنتجاتها وصناعاتها .

ولكنه سمع من أهل مصر شكواهم وأحس بما كانوا يعانون من حكم الرومان واضطهادهم لهم قبل الفتح العربى .

ولما أسلم عمرو فى السنة الثامنة من الهجرة (٤) وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم كما عرف غيره من الصحابة خير معرفة ، ندبه الرسول لغزوة ذات السلاسل (٥) ، وعدم سواع وهو صنم كانت قبيلة هذيل تعبده فى الجاهلية بالقرب من مكة .

كما أرسله الرسول لدعوة جيفر وعباد أميرى عمان الى الاسلام ، وقد نجح عمرو أيما نجاح فى ذلك وعاد الى المدينة بعد أن حقق كل ما ندبه النبى من أجله (٦) .

كما تجلت شجاعة عمرو وفروسيته بعد ذلك حين أرسله الخليفة أبو بكر الصديق على رأس جيش من جيوش فتح بلاد الشام ، فاستطاع بدهائه أن يكون موضع الشورى والمراجعة لتلك الجيوش جميعها وقوادها أمثال أبى عبيدة بن عامر الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان ، وكان تحت امرته يومئذ تسعة آلاف مقاتل بينما بلغت عدد الجيوش سبعة وعشرين ألفا من الفرسان والمشاة من الجند العرب . وكان ذلك فى أواخر السنة الثالثة عشرة من الهجرة (٧) .

ولما فتحت بلاد الشام وجاء عمر بن الخطاب الى الجابية فى السنة الثامنة عشرة واجتمع مع قواده ، خلا به عمرو بن العاص وأفضى اليه برغبته فى فتح مصر محاولا اقناعه

للمسير نحوها فكان مما قاله لأمير المؤمنين : « فلتكن غزوة مصر دفعا للخطر وضمانا لأرواح المسلمين » (٨) ، ومع هذا كان تردد عمر فيقارعه الحجّة قائلا : « بأنها أكثر الأرض أموالا » وعمر لا يقتنع برأيه إذ لا يرى المال إلا عارية أما غرضه الأسمى فهو نشر الاسلام ، ويخشى ألا يستطيع العرب الغلبة على جيوش الروم في مصر ، ولكن عمرا كان أعرف الناس من عمر بمصر وقوتها فيرد عليه حجته قائلا : « وهى أعجزها عن القتال والحرب — وانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم » (٩) .

وهكذا كانت مقدرة عمرو على الحوار واقناع الخليفة عمر بن الخطاب بالتوجه لفتح الديار المصرية ، وقد عبر عن شجاعة عمرو وقوة شخصية أمير المؤمنين حين قال عنه : « ما ينبغي لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميرا » وفيما ذكره الليث بن سعد من حديث عمرو عن نفسه ودرايته بالحرب فنونها عندما قال « ما كنت بشيء أتجر منى بالحرب » (١٠) .

وتجمع الروايات التاريخية على أن عمر بن الخطاب ما كاد يصل الى المدينة ويجتمع مع أهل الثمودى ، حتى أرسل اليه أن ينصرف بمن معه من المسلمين ، فأدرك الكتاب عمرا وهو برفع ، فأغضى عن الرسول حتى بلغ مكانا من مصر غير مختلف فيه ، فقرأ الكتاب عندئذ وقال لجنده : لم يلحقنى كتاب أمير المؤمنين حتى دخلنا مصر فسيروا على بركة الله وعونه (١١) .

وهكذا سار عمرو على رأس جيش عدته أربعة آلاف رجل ، وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة نحو العريش والفرما وبلبيس حتى ضرب الحصار حول حصن بابليون — ثم توجه الى الاسكندرية وطال الحصار لعدة أشهر حتى أن أمير بعث اليه بكتاب يحثه على القتال والحرب بعد أن مضى عامان أو يزيد (١٢) ، وانتهى الأمر بعقد الصلح وخروج الروم من الاسكندرية الى غير رجعة ، ثم أعقب ذلك فتح المدن الساحلية كرشيد ودمياط وتنبس (١٣) ، وقد عاد بعدها الى معسكره الذى نزل فيه وجيشه الى الشمال من حصن بابليون الذى عرف عند العرب بقصر الشمع آنذاك (١٤) .

أرسل عمرو رسوله الى المدينة معاوية بن حديج بشيرا بالفتح الى عمر بن الخطاب ، فخر عمر ساجدا وقال : الحمد لله ، ويبدو من رواية ابن عبد الحكم التى نقلها عن ابن

لهيعة المحدث والراوية المصرى أن ذلك تم فى فتح الاسكندرية الثانى سنة ٢٥ هـ / ٦٤٦ م (١٥) .

على أية حال فإن القائد عمرو بن العاص استطاع فتح مصر كما كان فتح فلسطين جنوب الشام على يديه ، وبدأ فى التفكير من أجل اتخاذ عاصمة للديار المصرية ، وقد هم أن يتخذ الاسكندرية بعد فتحها وقال : « مساكن قد كفيناها » وذلك بعد أن رأى بيوتها وبنائها مفروغا منها ، ولكن الخليفة عمر أرسل إليه أن يتخذ له حاضرة سواها حتى لا يكون الماء حائلا بينه وبين تلك الحاضرة الجديدة (١٦) .

كانت سياسة عمر بن الخطاب ترمى الى انشاء معسكرات دائمة فى البلدان التى تم فتحها حتى يتفرغ الجند للجهاد والحرب ، فقد بعث الى أمراء الأجناد بكتب ينهى فيها الجند عن الزرع أو اتخاذ أى حرفة أخرى (١٧) ، كما كان عمر يرى عدم اختلاط الجند العرب مع أهل البلاد حتى لا يتمصروا أو يفقدوا عروبتهم بعد مضى جيل أو جيلين ، وحتى لا يتم امتزاجهم أو ذوبانهم لا سيما فى بلاد لها حضارتها منذ العصور القديمة كمصر وبلاد فارس .

شرع عمرو بن العاص فى بناء جامعته المعروف بعد تمام فتح مصر على يديه عام ٢١ هـ (١٨) ، وذلك بعد أن عاد المسلمون من الاسكندرية ، وقد سأل عمرو قيسبة ابن كلثوم التجيبى أن ينزل عن داره ، وكانت تقع الى الشمال من حصن بابليون ليجعل مكانها مسجدا ، فأجابه الى طلبه وتصديق بها على المسلمين (١٩) .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحرص على أن يأمر ولاته فى البلدان المفتوحة أن يتخذوا مسجدا واحدا للجماعة (٢٠) ، مع الاذن للقبائل العربية فى بناء مساجد أخرى لهم فى خططهم التى ينزلون بها ، فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى الجماعة لأداء الصلاة فى المسجد الجامع (٢١) .

ويصف ابن عبد الحكم كيفية بناء هذا المسجد فى ذلك الفضاء المجاور لحصن بابليون ، والواقع الى الشرق من نهر النيل فيقول (٢٢) : وكان ما حوله حدائق واعنابا ، فنصبوا الجبال حتى استقام لهم ، ووضعوا أيديهم فلم بزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة، وأن عمرا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوها واتخذوا فيه منبرا .

أقيم المسجد الجامع على تلك المساحة من الأرض التي كانت ملكا لقيسبة بن كلثوم حيث بلغ طولها خمسين ذراعا وعرضها ثلاثين ذراعا بما يوازي نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين مترا بالمقياس الحديث (٢٣) ، كما غطى سقفه من الجريد والطين وحمل على ساريات من جذوع النخل ، وفرش بالحصباء (٢٤) .

وقد اشترك في تحرير قبلته نحو ثمانين صحابيا ممن حضروا الفتح وقيل ثمانينة فقط أورد أسماءهم ابن الكندي (٢٥) ، ومع ذلك جاءت القبلة منحرفة نحو الشرق أكثر مما يجب أن يكون عليه سمت القبلة حيث يتجه المسلمون بوجوههم الى بيت الله الحرام نحو مكة المكرمة (٢٦) .

وبعد هذا المسجد الجامع رابع مسجد أقيم في الاسلام بعد مساجد المدينة (٢٧) والبصرة (٢٨) والكوفة (٢٩) ، وأول مسجد بنى في مصر وأفريقية والمغرب (٣٠) .

وقد ظل هذا الجامع الذى أطلق عليه بعد ذلك الجامع العتيق تؤدي فيه صلاة الجمعة حتى زوال الدولة الأموية ودخول القائد العباسى عبد الله بن على حيث نزل عسكره فى شمالى الفسطاط وأقاموا البناء فسمى ذلك الموضع بالعسكر وأقيمت هناك الجمعة فى مسجد العسكر، فصارت الجمعة تقام بمسجد عمرو بن العاص وبجامع العسكر كذلك (٣١) .



أولاً : إهتمام الولاية بجامع عمرو بن العاص

أصبح جامع عمرو موضع اهتمام الولاية بعد انشائه ، وكان أول من عرف على المؤذنين فيه أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادي ، يذكر المقرئى نقلا عن الكندى أنه كان ممن سار الى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر ، فأقام على الأذان ، وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم (٢٢) . ويبدو أن أبا مسلم الفافقى كان أحد هؤلاء المؤذنين فقد ذكر ابن عبد الحكم (٢٣) أنه كان يؤذن لعمرو ابن العاص ويقوم على تبخير المسجد .

وقد اقتصر الأذان في أعقاب الفتح على جامع عمرو، حيث كانت صلاة الناس بأسرهم، وكان من هدى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم المحافظة على الجماعة والتشديد على من تخلف عنها (٢٤) ، كما ذكر الكندى أن الخليفة عثمان كان أول من رزق المؤذنين ، ولما كثرت المساجد التي أقامتها القبائل العربية في خططها التي اختطتها بالفسطاط (٢٥) ، أمر مسلمة بن مخلد الأنصارى في أمارته على مصر ببناء المنارات أو المآذن في جميع المساجد خلا مساجد قبيلتى تجيب وخولان اليمينيتين ، فكانوا يؤذنون في الجامع أولا ، فإذا فرغوا أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد فكان لأذانهم دوى شديد (٢٦) .

اهتم الولاية بجامع عمرو موضع العبادات وترباط الجماعة الاسلامية بمصر ومجلس العلم والذكر بأمر عمارته والزيادة فيه وادخال التحسينات عليه ، وكانت أول زيادة قام بها هو والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى سنة ٥٣ هـ في عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، ذكر المقرئى (٢٧) أسباب تلك الزيادة في مساحة الجامع نقلا عن الكندى فقال : « ولما ضاق المسجد بأهله شكى ذلك الى مسلمة بن مخلد ، فكتب فيه الى معاوية ابن أبى سفيان ، فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه ، فزاد فيه من الجهة الشرقية مما يلي دار الامارة ، وزاد فيه من الجهة البحرية » .

كما عمل مسلمة الوالى على تبييضه وزخرفته ، ويقول الكندى (٢٨) : ثم أمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها ، فكان أول من أقام المآذن بمصر ، أما ابن عبد الحكم فقد خص بالذكر منارة جامع عمرو وحدها التي قام مسلمة ببنائها ونقش عليها اسمه (٢٩) وقيل

أن الخليفة معاوية أمره ببناء مآذن لجميع مساجد مصر آنذاك ، فجعل مسجلة لجامع عمرو أربع مآذن في أركانه (٤١) .

وفي عهد الوالي عبد العزيز بن مروان تمت إعادة بناء المسجد الجامع من جديد بعد أن زيد في مساحته من جميع الجوانب وذلك في سنة ٧٧ هـ (٤١) وقيل أن الأمير عبد العزيز لما أكمل بناء المسجد ، خرج من داره المذهبة التي كان يطلق عليها المدينة لسعتها غربى المسجد الجامع (٤٢) ، وذلك عند طلوع الفجر ، فدخل المسجد ثم أمر بأخذ الأبواب على من فيه ، وقضى لكل صاحب حاجة بحاجته وبما كان يدعوه الله أن يحقق له من الرغائب (٤٣) .

وفي سنة ٨٩ هـ وفي ولاية عبد الله بن عبد الملك من قبل أخيه الوليد ، تم رفع سقف المسجد حيث كان منخفضا (٤٤) ، لكنه سرعان ما تم هدم المسجد كله والعمل على إعادة بنائه مرة أخرى وذلك في عهد الوليد بن عبد الملك ووالية على مصر قرّة بن شريك ، فقد شهد عصر الوليد كثرة العمارات والانشاءات في دمشق وسائر الأقطار حتى صار عصره مشهورا بالبناء والعمارة فقد أمر بإعادة بناء المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وبمسجد بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، فضلا عن عمارته الفائقة للجامع الأموي بدمشق وغير ذلك من العمارات الأموية (٤٥) .

كانت عمارة قرّة بن شريك لجامع عمرو من أهم العمارات وأحسنها ، فقد أعيد بناؤه من جديد وتمت زخرفته وتذهيب رءوس أعمدته ، كما قام الوالي قرّة بنصيب ذلك المنبر الخشبي الجديد بدلا من منبر عبد العزيز بن مروان ، وقد أحدث فيه المقصورة تقليدا لمقصورة معاوية التي تم عملها بالجامع الأموي في دمشق ، وكان المشرف على بنائه وعمارته في كل ذلك يحيى بن حنظلة ، مولى بن عامر بن لؤي ، ويقول الكندي : « وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك في شهر رمضان سنة ٩٣ هـ » كما نصب هذا المنبر الجديد عام ٩٤ هـ . كما جعل قرّة بن شريك للجامع محرابا نائزا في جدار القبلة (٤٦) .

ولما زالت خلافة بنى أمية وآلت مصر الى حكم العباسيين سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ، عمل القائد العباسي صالح بن علي على ادخال زيادة في مؤخرة المسجد بأربعة اساطين

أو أعمدة ، مما يدل على اهتمام بنى العباس بأمره على الرغم من قيامهم ببناء مسجد لهم بالعسكر الى الشمال الشرقى من القسطنطينية (٤٧) .

أما الزيادة الثانية التى أضيفت الى مساحة الجامع فى العصر العباسى فكانت فى ولاية موسى بن عيسى الهاشمى ، فقد استطاع أن يضيف ما تبقى من الرحبة التى كانت فى مؤخرة الجامع ، وذلك سنة ١٧٥ هـ فى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد (٤٨) .

وكانت أهم الإصلاحات والزيادات التى شهدتها المسجد الجامع فى عصر الولاة على الإطلاق تلك التى قام بها الأمير عبد الله بن صالح والى مصر من قبل الخليفة المأمون . حيث تم إضافة قدر مساحته اليه وذلك من الجهة الغربية له ، وقد بدأ فى عمل هذه الزيادة فى جمادى الآخرة سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ثم ما لبث أن انتهت ولايته فى أواخر رجب من السنة المذكورة حيث ركب النيل متوجها الى العراق كما يقول الكندى (٤٩) . ثم عهد الى عيسى بن يزيد الجلودى فى إتمامها ، ولعل ابن عبد الحكم كان أكثر دقة حينما أوضح ان هذه العمارة التى بداها ابن صالح والى العباسى قد تمت سنة ٢١٣ هـ (٥٠) .

وقد أجمع علماء الآثار على أن تلك الزيادة التى أحدثها عبد الله بن صالح فى جامع عمرو ، لم يطرأ عليها تغيير حيث أصبحت مساحته على ما هو عليها الآن (٥١) والتى بلغت ست عشرة مرة قدر المساحة التى بنى عليها عند انشائه فى ولاية عمرو بن العاص الأولى (٥٢) .

والواقع أنه لم يشهد جامع عمرو بعد تلك الزيادة الكبيرة التى أدخلت عليه فى عهد الخليفة المأمون ، سوى بعض التوسعات الطفيفة فى عهد الخليفة المتوكل العباسى ، فقد ذكر الكندى أنه لما ولى القضاء الحارث بن مسكين سنة ٢٣٧ هـ من قبل المتوكل أمر ببناء رحبة الحارث ، وكانت تلك الرحبة أو الفضاء يتابع الناس فيه يوم الجمعة ، وذلك ليتسع الناس بها فى أداء صلاتهم الجامعة ، كما عمل الحارث القاضى الفقيه على تحويل سلم المؤذنين الى غربى المسجد ، وعلى تبليط زيادة بن طاهر وإصلاح السقف ، كما أمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها (٥٣) .

كما شهد جامع عمرو بعض التحسينات في عهد أحمد بن طولون ، حيث يذكر كل من
ياقوت وابن دقماق تلك الزيادة التي عرفت بزيادة أبي أيوب وهو أحمد بن شجاع أحد
عمال الخراج ، كذلك قام أبو أيوب بعمل المحراب المنسوب إليه في الجزء الغربي من
الزيادة التي تمت على يد عبد الله بن طاهر التي سبق ذكرها (٥٤) .

وتدل تلك الزيادات والتحسينات المستمرة التي تمت في عصر الولاة على مدى
اهتمام الخلفاء الأمويين والعباسيين وولاتهم بمصر بالمسجد الجامع ، أو ما أطلق عليه
المقرئى بالجامع العتيق .



ثانيا : وظائف المسجد الجامع

لم تكن تلك الزيادات التي اضيفت للمسجد الجامع أو تلك التحسينات وأعمال الزخرفة التي قام بها الولاة في العصرين الأموي والعباسي السابق ذكرها الا تلبية لحاجة المسلمين من الجند العرب وغيرهم ممن دخلوا في الاسلام من المصريين ، حيث انه لم يعد موضعاً لاداء الصلوات أو الصلاة الجامعة فيه فحسب ، بل سرعان ما اتسعت مهامه وتعددت وظائفه الأخرى ، فمن ذلك أنه أصبح مقراً لمجلس القضاء حيث جلس فيه القاضى للفصل بين الناس في خصوماتهم منذ أن تم تعيين القضاة للأمصار في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (٥٥) .

كذلك جلس فيه المحتسب صاحب الوظيفة الدينية القائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث كان اعوانه يأتون اليه في المسجد الجامع بهؤلاء المخالفين من الناس لتأديبهم أو تعذيبهم (٥٦) ، وكذلك بنى فيه بيت المال وصار المشرف عليه من بين هؤلاء المسؤولين وأولى الأمر ، وصاحب الخراج ومتولى توزيع القبالات والأراضي المصرية على متقيلها ، هذا فضلا عن مجالس العلم والدرس والفتوى والقصص التي صارت تعقد به منذ طلوع الفجر حتى بعد العشاء الآخرة من كل يوم .

وهكذا كان المسجد الجامع يعج بالنشاط والحركة الدائبة من آناء الليل وأطراف النهار وأهل مصر يغدون ويروحون اليه لقضاء حاجاتهم المتزايدة وكثيرا ما كانت تتعطل هذه المجالس والغايات بسبب نشوب المنازعات والصراعات الحزبية والسياسية بين أروقتة ، فلا غرو اذ أصبح اهتمام الحكام والمحكومين من المسلمين في العصر الاسلامي الأول .

ومن أبرز الوظائف التي ينبغي الاشارة اليها قبل تناولنا بالدراسة لمظاهر الحركة العلمية وما كان يعقد بين أروقة جامع عمرو من حلقات الدرس والعلم ما يلي :

- (١) مجلس القضاء في جامع عمرو بن العاص .
- (ب) مقر بيت المال ومتولى الخراج .
- (ج) مجالس القصص والمذكرين

(أ) مجلس القضاء في جامع عمرو بن العاص :

كان الخليفة عمر بن الخطاب أول من عين القضاة في الامصار الاسلامية وكان أول قاض عينه بمصر هو عثمان بن قيس بن أبي العاص . جلس في جامع عمرو للفصل بين الناس في خصوماتهم وظل في منصبه الى ان قتل الخليفة عثمان في المدينة سنة ٣٥ هـ (٥٧) .

وتولى القضاء في عهد معاوية بن أبي سفيان . سليم بن عتر التجيبي سنة ٤ هـ ، حيث جمع له الخليفة معاوية بين القضاء والقصاص في المسجد الجامع . فكان أول من سجل سجلا في المواريث وأشهد فيه شيوخ الجند، وكان سليم من الزهاد الصالحين (٥٨) .

كان القاضي يحكم في المسائل والقضايا بما يوحيه اليه اجتهاده ، وكان يجلس في صدر النهار للحكم في المسجد الجامع . كما كان العلماء والفقهاء يعقدون حلقات العلم والدرس فيه ، ومن المعروف أن القضاة كان يتم ترشيحهم لتولى مناصبهم من بين هؤلاء الفقهاء والأئمة المشهورين (٥٩) .

كما كان القاضي يجمع بين القضاء والاشراف على بيت المال الموجود في المسجد الجامع ، فقد تولى عبد الرحمن بن حجية الخولاني القضاء سنة ٦٩ هـ ، وجمع له أمير البلاد عبد العزيز بن مروان القصاص وبيت المال . وكلها وظائف كان على القاضي ان يباشرها داخل هذا المسجد وبين اروقته في ذلك الوقت (٦٠) وقد بلغ رزقه في السنة نحو ألف دينار ، يقول الكندي (٦١) : « فكان رزقه في السنة من القضاء مائتي دينار وفي القصاص مائتي دينار وكان عطاؤه مائتي دينار وكانت جائزته مائتي دينار وكان يأخذ ألف دينار في السنة فلا يحول عليه الحول وعنده منها شيء يفضل على أهله واخوانه » .

ومن القضاة الذين اشتهروا بعلمهم وفقهم نذكر القاضي خير بن نعيم الحضرمي ، يقول ابن أبي حبيب عنه : « ما أدركت من قضاة مصر أحدا أفقه من خير بن نعيم » وكان نعيم يقضى في جامع عمرو بين المسلمين ، ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر على المعارج فيقضى بين أهل الذمة المصريين (٦٢) .

كما كان القاضي يخرج من المسجد الجامع من أجل رؤية هلال شهر رمضان ، فقد

ورد في ترجمة القاضي عوث بن سليمان الذي تولى القضاء في العصر العباسي أكثر من مرة أنه أول من خرج من القضاة لرؤية الهلال وعمل الاحتفال لمقدم هذا الشهر الكريم . ومن طريف ما يروى عنه أنه بينما هو ذاهب الى المسجد اذ قابلته امرأة من الريف . فنسكت اليه امرها . فنزل عن دابته وكتب لها بحاجتها ثم ركب الى المسجد وانصرفت المرأة وهي تقول ، « أصابت والله أمك حين سمتك غوثا » (٦٢) .

وقد استمر خروج القضاة من المسجد الجامع للاحتفال برؤية هلال رمضان ، وكان القاضي ابن أبي الليث يتجه الى المقطم لرؤيته أحيانا ، ثم ترك القضاة الخروج وقصروا الأمر على انتظارهم داخل المسجد حتى يحضر لهم الشهود . وظل الأمر على تلك الحال بمصر الى أن تم اسعاد هذا الأمر الى دار الافتاء في عصرنا الحاضر .

كما كان القضاة يخرجون من المسجد الجامع لحضور مجالس الولاية التي كانت تعقد به يقول الكندي (٦٦) : « وكان ولاية مصر يحضرون القضاة الى مجالسهم كما يحضر الفقهاء اليوم » ، وحدث أنه لما قدم محمد بن مسروق الكندي الى مصر قاضيا من قبل الخليفة هارون الرشيد ، بعث اليه عبد الله بن المسيب (١٧٦ - ١٧٧ هـ) أمير البلاد يأمره بحضور مجلسه فرفض ذلك بشدة ، يقول الكندي : « فانقطع ذلك عن القضاة يومئذ » .

وقيل انه لما شاع بين الناس أن القاضي ابن مسروق عازم على حمل ما في بيت المال في المسجد الجامع من أموال اليتامى والأوقاف وارسالها الى بغداد اجتمع نفر من أهل مصر في الجامع وقام على رأسهم أحد القراء ودعا على ابن مسروق ، روى ابن يونس المصرى انه لما أكثر أهل المسجد في ذم ابن مسروق القاضي وقف على باب المقصورة ونادى بأعلى صوته : « أين أصحاب الأكسية العسلية ، أين بنو البغايا ، لم لا يتكلم متكلمهم حتى يرى ويسمع . فما تكلم أحد بكلمة يومئذ » وذلك مما يدل على مدى ما كان يتمتع به القاضي آنذاك من المكانة والسلطان (٦٧) .

ومن هؤلاء القضاة الذين جلسوا للفصل في المسجد الجامع بين الناس اسحق ابن الفرات . كان من أكابر أصحاب مالك ، كما لقي أبا يوسف تلميذ أبي حنيفة وأخذ

عنه ، ذكر الكندى أن الامام الشافعى كان يرشحه لتولى القضاء عند الولاية فهو يُقْبَل عنه (٦٨) « أشرت على بعض الولاية بأن يولى اسحق بن الفرات وقلت له : انه يتخير وهو عالم باختلاف ما مضى » .

كما يشير الكندى (٦٩) الى ما بلغه القاضى ابن الفرات من العلم والفقه فهو ينقل عن أحد معاصريه قوله . « ما رأيت ببلدكم أحدا يحسن العلم الا ابن الفرات » وقد ظل يعمل في القضاء حتى توفي سنة ١٨٥ هـ .

ومن القضاة الذين عمت شهرتهم في عصر العباسيين بمصر عبد الرحمن العمري (١٨٥ - ١٩٤ هـ) فهو صاحب قضية أهل الحرس بالحرف الشرقى التى كان لها صداها وكان أول من قام بعمل تابوت للقضاة في بيت المال بالمسجد الجامع ، وقد أنفق عليه أربعة دنائير ، سئل أحد معاصريه عن هذا التابوت ، فقال : « كانت تجمع فيه أموال اليتامى ، ومال من لا وارث له ، وكان مودع القضاة بمصر آنذاك » (٧٠) .

والواقع أن هذا التابوت لم يقتصر على حفظ أموال اليتامى ، بل جرى العمل من جانب القضاة على قبض المال الموصى به لتنفيذ الوصية وحفظه في بيت مال القاضى الذى أطلق عليه يومئذ « تابوت القاضى » كذلك كان للقضاة في قبض أموال المواريث المتنازع عليها وقبض « اللقطة » حتى تعرف وأموال الأموات حتى يحضر الوارث عدا ما كان يسلم للقضاة من الودائع والأمانات ، حيث كان يجتمع لدى القاضى الشيء العظيم من هذه الأموال التى كان حفظها في هذا التابوت .

وقد استمر القضاء في عقد مجالس حكمهم بالمسجد الجامع بالإضافة الى عملهم في الاشراف على بيت المال وما يتصل بالحفاظ على التابوت أو ما عرف ببيت مال القاضى حينذاك ، وكان القاضى يجلس في المسجد جلوسا ظاهرا لا يشتبه مكانه على الغرباء ، وذلك على الرغم من معارضة بعض الأئمة والفقهاء الذين كانوا لا يرون أن يجلس القاضى في المسجد الجامع حتى لا ترتفع فيه الأصوات كما كان يرى الامام الشافعى الذى قدم الى مصر في نهاية القرن الثانى الهجرى (٧١) .

والواقع أننا لم نسمع عن أحد من قضاة مصر في عصر الولاية عقد مجلسا للفصل بين

الناس خارج المسجد الجامع بالغسقاط ، اللهم الا اذا اكره القاضى على فعل ذلك ، مثلما حدث فى ولاية ابراهيم بن الجراح للقضاء ، (٢٠٥ - ٢١١ هـ) فقد ذكر الكندى انه لما ولى اماره مصر السرى بن الحكم أمر عصيلاه فوضع فى المسجد الجامع ، واجتمع المصريون فالقوه فى الطريق ، فلم يعلق الوالى على ذلك ، فكان ان جلس ابن الجراح القاضى للحكم فى منزله هذا ولم يعد الى المسجد حتى صرف من منصبه (٧٢) .

ولما تولى القضاء هارون بن عبد الله من قبل المأمون سنة ٢١٧ هـ ، كان أول عمل قام به حين قدم الى مصر من بغداد أن توجه الى المسجد الجامع وجلس به ، ثم عمل على تغيير مجلسه فى الشتاء عنه فى الصيف داخل المسجد فمن ذلك كما يقول الكندى (٧٣) : « فجعل مجلسه فى الشتاء فى مقدم المسجد واستدبر القبلة واسند ظهره بجدار المسجد ومنع المصلين أن يقربوا منه وباعد كتابه عنه وباعد الخصوم ، وكان أول من فعل ذلك واتخذ مجلسا للصيف فى صحن المسجد واسند ظهره للحائط الغربى » وهكذا كان يجلس طوال أيام السنة : ولم يخرج عن المسجد للفصل بين الناس فترة توليه القضاء .

ولا شك أن وجود القضاة وعقدتهم لمجالس حكمهم فى المسجد الجامع كان له اثره فى نشاط الحركة الفكرية وبخاصة ما يتصل بعلوم الفقه والتشريع لا سيما وأن هؤلاء القضاة كانوا يرشحون لتولى مناصبهم ممن لهم خبرة واسعة وعلم غزير (٧٤) ، أمثال ابن حجرية ، وغوث بن سليمان وابن الفرات وغيرهم من الفقهاء النابغين والأئمة المجتهدين .



(ب) مقر بيت المال ومتولى الخراج :

كذلك كان بجامع عمرو بيت المال ومن المعروف أن عمر بن الخطاب كان أول من أنشأ بيت المال وذلك لحفظ أموال المسلمين واثبات حقوقهم فلما فتح مصر وتم بناء المسجد الجامع جعل فيه عمرو بن العاص بيت المال كما هو الحال في البصرة والكوفة وغيرها من الأمصار. (٧٥) .

وقد ضاقت في عهد الأمويين بيوت المال في المساجد الجامعة من مال الخمس وذلك لكثرة الفتوح والأموال الإسلامية ، ومنها بطبيعة الحال بيت مال المسلمين في مصر ، يذكر ابن عبد الحكم أن عمال الوليد ابن عبد الملك كتبوا إليه أن بيوت المال قد ضاقت من مال الخمس ، فكتب إليهم بضرورة التوسع في بناء المساجد وفي مساحتها حتى يتسنى التوسع بالتالي في بيت المال والزيادة فيه من أجل الحفاظ على الأموال المتزايدة من الموارد المختلفة التي كان يجيها صاحب الخراج في مصر وغيرها من الأمصار الإسلامية (٧٦) .

ويذكر ابن دقماق أن قرّة بن شريك أمر ببناء بيت المال في علو الفوارة في مقدمة المسجد الجامع ، كما أوضح أيضا أن بيت المال هذا بناه أسامة بن زيد المتوفى سنة ٩٩ هـ وكان صاحب الخراج من قبل الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩ هـ) ولعل البناء الذي قام به صاحب الخراج كان من قبيل إدخال الزيادة في مساحته حتى يمكن تحقيق الغرض من إعادة بنائه من جديد (٧٧) . ويشير الكندي الى مدى اهتمام الولاة بأمر بيت المال في أكثر من موضع ، فمن ذلك أنه لما قدم قرّة بن شريك واليا على مصر كان أول ما أشار إليه عبد الله بن عبد الملك العمل على تعريب الدواوين وختمها وبيت المال في المسجد الجامع بالفسطاط (٧٨) .

ولما ورد الأمر بعزل حفص بن الوليد وتولى حوثة بن سهيل الباعلى من قبل مروان ابن محمد ، أسرع حفص الى ختم الدواوين وبيت المال في المسجد الجامع قبل قدوم والي الجديد الى الفسطاط (٧٩) .

وهكذا حرص الحكام المسلمون على بيت المال وجعله في المسجد الجامع ، ولكن ذلك لم يمنع من حدوث أنواع الشغب والاعتداء على بيت المال في الجامع ، ففي ولاية يزيد

وقد ظل بيت المال والديوان في المسجد الجامع أو جامع عمرو بن العاص حتى نهاية عصر الولاة ، حيث تم نقله الى جامع أحمد بن طولون بعد أن تم بناؤه سنة ٢٥٩ هـ (٨٤) .

هذا ولم يقتصر الأمر على عقد مجلس القضاء أو وجود هؤلاء القائمين على أمر بيت مال المسلمين والتابوت في جامع عمرو ، بل جلس فيه متولى خراج مصر كذلك لمباشرة عمله حينذاك ، ويصف المقرئ ذلك ومزايدات الملتزمين لخراج الدولة حيث يقول (٨٥) : « أن متولى خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تنهياً فيه قبالة الأراضى ، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن ، فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات ، وكتاب الخراج ومتولى الخراج ، يكتبون ما تنتهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس . وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها لفترة أربع سنوات خشية نقصان ماء النيل أو الاستبحار وغير ذلك » .



(ج) مجالس القصاص والمذكرين :

حث الاسلام على ذكر القصص وما ورد من اخبار الأمم السابقة وما حل بهما من الجزاء أو العقاب وذلك من أجل الموعظة والاعتبار ، وخير دليل على ذلك ما نزل به الوحي من الآيات والسور في ذكر عاد وثمود وقوم فرعون وموسى وغيرهم وما حاق بهم (٨٦) . كما خص القرآن بالتسمية لاحدى سوره الكريمة فسمّاها القصص لحث الناس وتذكيرهم لما جاء فيها من الأخبار والعظات (٨٧) .

ولما فتح العرب المسلمون مصر وتم بناء جامع عمرو بن العاص ، جلس الصحابة فيه يتذاكرون ويدعون الناس الى الاسلام ، فكانوا يقرأون القرآن ويحدثون بأحاديث النبى ، وذلك تلبية لما أمر به الرسول الكريم ، فقد ورد عن أحد البدرين أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن أقعد فى مثل هذا المجلس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب » يعنى بذلك مجلس القصاص والمذكرين فى المسجد النبوى (٨٨) .

ونقل المقرئى عن ابن شهاب الأزهري المحدث أن أول من قص فى المسجد النبوى تميم الدارى وذلك عندما سمح له عمر بن الخطاب فى أواخر أيام خلافته ، كما تشير الرواية أيضا الى أن عثمان أذن له بالقصص مرتين من كل أسبوع (٨٩) .

وقد نقل الكندى عن رواة أن سليم بن عتر الصحابى أول من قام بالقصص أو الوعظ للجند بالمسجد الجامع فى ولاية عمرو بن العاص ، مما يدل على أن القاضى لم يكن الا واعظا ومذكرا للجند العرب يحثهم على الجهاد فى سبيل الله واعلاء راية الاسلام منذ فجر الاسلام (٩٠) .

اما ابن دقماق فهو ينقل عن يزيد بن أبى حبيب الفقيه والمحدث المصرى الشهير أن معاوية كان أول من أمر بالقصص فى المسجد الجامع بالفسطاط وأوضح السبب فى ذلك ، حيث أشار الى أن عليا رضى الله عنه قنت فى مسجد الكوفة فدعا على قومه من أهل حربه ، فبلغ ذلك معاوية ، فأمر رجلا يقص بعد صلاة الصبح وبعد أداء صلاة المغرب أيضا يدعو له ولأهل الشام ، فكان ذلك أول القصص (٩١) .

وتشير المصادر التاريخية الى أن أول من جلس فى المسجد الجامع ليعظ الناس ويذكرهم هو سليمان بن عتر التجيبى فى سنة ٣٨ هـ . حيث ذكر الكندى وغيره من

المؤرخين أن معاوية جمع له القضاء الى القصص . ثم عزله عن القضاء وأفرد له بالقصص حينئذ (٩٢) .

ويبدو أن معاوية كان يهدف من مجالس القصص بالمساجد الى احداث بعض التأثير على نفوس العامة ، لا سيما بعد أن أصبح الخوارج وغيرهم من الفرق يعملون على استغلال القصص وهذه المجالس العامة لتحقيق أهدافهم المذهبية والسياسية (٩٣) .

وهكذا أصبحت مجالس القصص في جامع عمرو وغيره من المساجد الجامعة لا تهدف فقط الوعظ والقصص الديني أو ارشاد الناس وحثهم على اتباع الطرق القويمة في تفسير احكام الشرع (٩٤) وإنما صارت موجهة من جانب الأمويين ضد الخوارج والشيعية وغيرهم من الموالى .

وازاء ذلك نهض المحدث والفقهاء يزيد بن أبى حبيب حينذاك لتوجيه الناس في المسجد الجامع الى الفقه والحديث بدلا من جلوسهم الى هؤلاء القصاص وما يتحدثون فيه من احاديث الترغيب والترهيب والملاحم والفتن . فقد كان ذلك مجالا خصبا لاثارة الأهواء والاختلاف بين القبائل العربية في مصر حول مساندة تلك الفرقة أو غيرها من الفرق المناوئة لحكم الأمويين (٩٥) .

ولكنه من الخطأ الواضح ما أشار اليه « آدم متز » (٩٦) من أن وظيفة القصص هذه لم تكن موجودة الا في مصر . وان مجالس القصص في المسجد الجامع انما جاءت متأثرة بطقوس الكنيسة المصرية في صدر الاسلام . فقد أوضح ابن الجوزى صاحب كتاب القصص والمذكرين نقلا عن ابن عون عالم البصرة انه قال (٩٧) : أدركت هذا المسجد (يعنى مسجد البصرة) وما فيه حلقة تنسب الى الفقه الا حلقة واحدة تنسب الى مسلم بن يسار وسائر المسجد قصاص .

وقد عالج عالم مصر ومفتيها الشهير الليث بن سعد وظيفة القصاص في المسجد الجامع ومدى جواز مجالسهم من جهة الشريعة . حيث رأى أن - القصص نوعان : قصص العامة وقصص الخاصة ، فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظم ويذكروهم فذلك مكروه لمن فعله ، ولمن استمعه ، وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية مؤسس الدولة الأموية (٩٨) .

وقد أراد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في نهاية القرن الأول الهجري أن تكون مجالس القصص غير قاصرة على الصلاة والدعاء لخلفائهم وأقرانهم وأن تحقق الغرض الاسلامي منها ، يتضح ذلك من كتابه الذي أرسله الى الأمصار وجاء فيه : « فإذا أتاك كتابي هذا فمر قصاصكم فليصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليكن فيه اطناب دعائهم وصلاتهم ، ثم ليصلوا على المؤمنين والمؤمنات وليستغفروا الله ولتكن مسألتهم عامة للمسلمين . . » (٩٦) .

والحقيقة أن الوعاظ أو القصاص في عهد عمر بن عبد العزيز كانوا من العلماء والفقهاء البارزين ، يدلنا على ذلك ما ذكره ابن الجوزي من أن الخليفة عمر حضر مجلس عبيد بن عمير ، ومجلس عبد الله بن عمر ، وهما من العلماء والفقهاء المجتهدين آنذاك ، وكان عمر يحضر مجلس القصص سواء في المدينة ، أو في دمشق حاضرة الخلافة الاموية (٩٧) .

ومما ساعد على رواج مجالس القصص في العصر الأموي في مصر وغيرها أنها كانت تعقد في المساجد الأخرى في الاسكندرية ودمياط وغيرها من المدن المصرية ، حيث لم تقتصر على المسجد الجامع في القسطنطينية ، فقد نقل السيوطي عن ابن يونس أن عمر بن عبد العزيز أسند وظيفة القصص الى ابن كثير الأموي المصري مولى عبد العزيز ابن مروان في ثغر الاسكندرية (٩٨) .

كان القصاص والمذكرون من العلماء والفقهاء البارزين ، وخير دليل على ذلك ما أوضحته المصادر منذ عهد الأمير عبد العزيز بن مروان وكتابته للمصحف الشريف حيث أسندت وظيفة القصص لهؤلاء القضاة من أمثال عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني أحد العلماء والزهاد الصالحين ، فقد جمع له القصص والقضاء سنة ٦٩ هـ فضلاً عن قراءته للقرآن (٩٩) .

وقد ذكر الكندي أنه لما أسند له وظيفة القصص بالمسجد الجامع في القسطنطينية وعلم أبوه بالشام بذلك قال : الحمد لله ذكر ابني وذكر ، فلما ولاه الأمير عبد العزيز القضاء وأخبر أبوه بذلك قال : هلك ابني وأهلك . وهذا يدل على أن القاص كان أسمى منزلة

وأعلى مقاما من الناحية الدينية عن تولى القضاء ، فهو كما قال أحد العلماء المصريين عنه أنه من تولاه فقد ذبح بغير سكين (١٠٣) .

وقد أمدنا كل من ابن دقماق والمقريزى بأسماء هؤلاء القصاص والمذكرين الذين كانوا من الفقهاء والأئمة المجتهدين بمصر في العصر الأموي وأيام العباسيين ، نذكر منهم أبا الخير مرثد بن عبد الله اليزنى ، وكان من جلة الفقهاء بالفسطاط ، وكان يبدأ درسه وتذكيره بقراءة القرآن ، وعقبة بن مسلم التجيبي (ت ١٢٠ هـ) وتوبة بن نعيم الحضرمي الذي أسندت له وظيفة القصص في جامع عمرو في سنة ١١٨ هـ ، ومما يذكر أن القاص والقاضي توبة كان أول من قرأ في المصحف الذي تم نسخه وكتابته في عهد عبد العزيز ابن مروان وجعله في المسجد الجامع وأجرى له من يقرأ فيه ثلاثة دنائير في كل شهر (١٠٤) .

كما يذكر الكندي أن خير بن نعيم الحضرمي الذي جمع له القضاء والقصص ، فكان يقرأ في المصحف قائما ، ثم يقص وهو جالس فهو أول من قرأ في المصحف قائما ، ولم تزل الأئمة يقرأون في المسجد الجامع في هذا المصحف في كل يوم جمعة حتى أواخر القرن الثاني الهجري (١٠٥) .

ومن الجدير بالذكر أن القاضي كان هو المشرف على المسجد الجامع (١٠٦) ، كما كان هو القارئ للقرآن ومتولى مجلس القصص به في نفس الوقت .

ولما وفد على مصر منصور بن عمار قادما من البصرة جلس يقص على الناس ، حيث اتخذ مكانه في المسجد الجامع ، وأنشأ يعظ الناس ويقص عليهم من أنواع القصص ما استهوى نفوسهم ، يقول البغدادي : « واستأثر بمكان الإعجاب حتى أبكاهم (١٠٧) ، فقد كان من أحسن الناس كلاما في الموعظة ومن حكماء المشايخ » (١٠٨) .

وكان ممن حضر مجلسه الليث بن سعد مفتي مصر وعالمها الشهير آنذاك ، حيث سمع كلامه وموعظته فاستحسن قصصه كما أعجب بفصاحته ، حيث كان في قصصه وكلامه شيء عجيب لم يقص على الناس مثله ، وقد دفع له الليث بن سعد ألف دينار (١٠٩) .

وكان ممن تولى القصص بالمسجد الجامع في تلك الفترة أبو رجب العلاء بن عاصم الخولاني سنة ١٨٢ هـ ، فكان في بداية مجلسه يقرأ في مصحف عبد العزيز بن مروان

المنسوب اليه كتابته، وذلك يوم الاثنين ، وكان يقرأ القصاص فيه يوم الجمعة قبله (١١٠) .
وقد شجع المطلب بن عبد الله الخزاعي أمير البلاد من قبل الخليفة المأمون القصص
والقصاص، فجعل للقاص ابن عاصم الخولاني رزقا قدره عشرة دنانير على القصص (١١١) .
وكان القاص ابن عاصم ممن عاصر قدوم الامام الشافعي الى مصر في أواخر القرن
الثاني الهجري ، فكان يصلي خلفه ويستحسن صلاته ، يقول ابن دقماق (١١٢) ، وصلى
خلفه محمد بن ادريس الشافعي حين قدم مصر فقال وهكذا تكون الصلاة ، ما صليت
خلف أحد أئمة صلاة من أبي رجب ولا أحسن من ذلك .

كما يذكر الكندي من القصاص والمذكرين الذين اتخذوا لهم مجلسا للقصص بالمسجد
الجامع القاص والقارئ ابراهيم بن اسحاق ، فكان آخر من جمع له القضاء
والقصص سنة ٢٠٤ هـ (١١٣) . وهكذا كان هذا القاضي وغيره من الفقهاء العاملين في
مجالس القصص والقضاء على حد سواء في عصر الولاة .

وقد أفرد ابن الجوزي من طائفة القصاص للعالم الزاهد آنذاك ذي النون الاخميني
المصري فلم يذكر أحدا سواه بمصر في وقته (١١٤) ، وكان من هؤلاء الراغبين في الوعظ
الذين يعملون على تثقيف عامة الناس وبث روح الزهد في نفوسهم ، فقد ورد من أقواله
في مجالس قصصه بالمسجد الجامع ومن مآثوراته التي تحت الناس على الزهد وطلب العلم
وصفاء القلب مع الله والخوف منه . ولا شك أن روح التصوف التي غلبت عليه كان لها
أثرها الواضح في مجالس القصص والذكر حينذاك .

ومن هؤلاء القصاص يذكر المقرئزي (١١٥) : حسن بن الربيع بن سليمان فقد تولى
القصص من قبل أمير البلاد عنيسة بن اسحق في سنة ٢٤٠ هـ ، ومما يروى عنه أنه لما
جلس للقصص بالمسجد الجامع أمر أن تترك قراءة البسملة في بداية الصلاة فتركها
الناس ، كما أمر أن تصلى التراويح خمسة تراويح وكانت تصلى قبل ذلك ستا فقط ،
وزاد في قراءة المصحف بالمسجد يوما ، فصار يقرأ أيام الاثنين والخميس والجمعة
من كل أسبوع .

وهكذا كان اهتمام القصاص بقراءة القرآن في مجالسهم ، ورواية الأحاديث
الشريفة ، والتذكير بأيام الله وما وقع فيها لموعظة الناس ، مما أدى الى نشر الثقافة
الاسلامية بطبيعة الحال وازدياد النشاط في حلقات العلم والدرس في جامع عمرو قلب
الفسطاط الفكري وموئل العلم والعلماء في عصر الولاة .

هوامش الفصل الأول

(١) نشأ عمرو بن العاص في بطن من بطون قريش الشهيرة وهم بنو سهم ، فأبوه العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، كان من ذوى اليسار وكان يتجر بين الشام واليمن ، وكان عمرو يفاخر بأبيه حتى أنه يفخر به على الخلفاء بعد الاسلام كعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان ، اذ يقول ابن عبد الحكم : « قبح الله يوما صرت فيه لعمر ابن الخطاب واليا فقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المزرد بالذهب وان الخطاب ابن نفيل ليحمل الحطب على حمار بمكة » ويقول الطبرى في رواية أخرى أنه لما أرسل اليه عمر بن الخطاب من يحاسبه او يقاسمه ماله في مصر غضب وقال للرسول : « قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل ، والله انى لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها وما منهما الا في نمرة لا تبلغ رسغيه . . الخ » . ولما عزله عثمان عن ولاية مصر دعاه فأنبه وقال له : استعملتك على ظلمك وكثرة القالة فيك ، فقال عمرو : كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقنى وهو عنى راض ، واحتدم الغضب منهما ، فهم عمرو بالخروج غاضبا وهو يقول : « قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك فوالله للعاص كان أشرف من عثمان ، فما زاد عثمان على أن قال : ما لنا ولذكر الجاهلية » ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٩ ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٣١ — ٣٢ ، العقد : عمرو بن العاص ، ص ٣ — ٥ .

(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٣) الولاة والقضاة ، ص ٧ .

(٤) ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٢٩ — ٣١ .

(٥) بعثه الرسول الى أرض بنى عذرة على أطراف الشام ، وسميت تلك الفزوة ذات السلاسل نسبة الى ماء بأرض جذام يقال له السلسل أو السلاسل . ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ١٩٩ ، ابن جرير الطبرى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣١ — ٣٢ .

(٦) ابن هشام : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٨ ، الطبرى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

- (٧) الواقدي : فتوح الشام ، ج ١ ، ص ١٥ ، ١٧ ، ص ٤٠ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، ص ٤١٧ - ٤١٨ .
- (٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٠ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٠٦ .
- (٩) نفس المصدر ، ص ٨١ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٤٠ .
- (١٠) ابن عبد الحكم : فتح مصر والمغرب ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ .
- (١١) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .
- (١٢) المصدر السابق ، ص ١٣ ، المقرئ : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .
- (١٣) الواقدي : فتوح الشام ، ج ٢ ، ص ٨٦ - ٨٧ ، ٨٩ - ٩٠ ، بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٣٠٣ - ٣٠٨ .
- (١٤) أقام الامبراطور تراجان هذا الحصن على شاطئ النيل على بعد عشرة أميال شمال أطلال مدينة ممفيس عاصمة مصر الفرعونية ، لينبول : سيرة القاهرة ، ص ٥٤ .
- (١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١١٩ .
- (١٦) نفس المصدر ، ص ١٣٢ .
- Lane - Poole : A History of Egypt, p. 8.
- (١٧) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢١٧ .
- (١٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٣ .
- (١٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٦٥ .
- (٢٠) المقرئ : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .
- (٢١) ذكر ابن عبد الحكم : أن قبيلة مهرة اليمنية كانت لها منازل جنوب خطه اهل الراية مما يلي منازل ابن سعد بن ابي سرح ، فكانوا اذا اتوا الجمعة ربطوا خيولهم ، ثم نقلهم عمرو بن العاص بعد ذلك وضمهم اليه ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٤ .
- (٢٢) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .
- (٢٣) لينبول : سيرة القاهرة ، ص ٥٦ .

(٢٤) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، ص ٣٦٣ ،

Creswell : Ashort Account of Early Muslim Architecture p. 8.

(٢٥) قال يزيد بن أبى حبيب المحدث والفقيه المصرى أنه وقف على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم الزبير ابن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد ، وعقبة بن عامر وأبو ذر ، ورافع بن مالك وربيعة بن شرحبيل بن حسنة وسعد بن أبى وقاص وآخرون . فضائل مصر ، ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢٦) وفى رواية أخرى أوردها المقرئى نقلا عن : عبد الله بن أبى جعفر أن الذين عملوا على تأسيس المسجد الجامع أربعة من الصحابة هم أبو ذر وأبو بصرة ومحنة بن جزء الزبيدى ومنبه بن صواب . المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .

(٢٧) شرع الرسول فى انشاء مسجده فى المدينة لبضعة أشهر من هجرته عليه الصلاة والسلام إليها ، ولم يستغرق انشاؤه وقتا طويلا ، فتم فى نحو شهرين فى العام الأول للهجرة / ٦٢٢ م . ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٢٨) اختط مسجد البصرة عقبه بن غزوان سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م ، وكان مجرد مساحة مسقفة بالقصب يقوم سقفها على عمد من جذوع النخل والخشب . الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ١٤ هـ .

(٢٩) اختطه سعد بن أبى وقاص قائد الجيش الاسلامى بعد واقعة القادسية وهزيمة الفرس سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م ، وقيل سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م ، وكان فى أول الأمر ، أيضا مسجدا من قصب ، وقد احاط به سور من قصب ، أعاد بناءه باللبن زياد بن أبيه عامل الكوفة سن قبل معاوية ابن أبى سفيان سنة ٥١ هـ / ٦٧٠ م .

(٣٠) المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

(٣١) نفس المصدر ، ص ١٠٥ ،

Creswell : Ashort Account of Early Muslim Architecture p. 8.

(٣٢) الخطط ، ج ٣ ، ص ١٥١ .

(٣٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٤ .

(٣٤) كان الخليفة عمر بن الخطاب يحث المسلمين على الصلاة فى المساجد وبخاصة المساجد الجامعة التى تم انشاؤها فى الأمصار ، روى الحافظ ابن عساکر من حديث

معاوية بن قرة عن عمر انه قال : من صلى صلاة مكتوبة في مسجد مصر من الأمصار كانت له كحجة متقبلة ، فان صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة . المقریزی : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٠٧ .

(٣٥) أفرد ابن عبد الحكم لذكر هذه الخطط حول جامع عمرو من قریش والأنصار وأسلم وعقار وجهينة ، ومن كان في الراية ممن لم يكن لعشيرته في الفتح عدد يذكر في جيش عمرو الفاتح ، كما اختطت مهرة ولخم والأزد وغافق والصدف وحضرموت وبطن من يحصب ، واختطت كذلك حمير قبلى شرقى الكلاخ وكان لكل قبيلة منها مسجد خاص بها في خطتها . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤١ ، ١٦٣ - ١٧٥ .

(٣٦) المقریزی : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٥١ .

(٣٧) المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١١٠ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦٣ .

(٣٨) الولاة ، ص ٣٨ .

(٣٩) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٨ .

(٤٠) فريد شافعى : العمارة العربية في مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، ص ٣٦٥ .

(٤١) الكندى : الولاة ، ص ٥١ .

(٤٢) أمر الوالى عبد العزيز بن مروان ببناء دار امارته هذه بالفسطاط سنة ٦٧ هـ ،

أى بعد توليه حكم البلاد بعامين . نفس المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٤٣) المقریزی : الخطط ، ج ٣ ، ص ١١١ .

(٤٤) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦٣ .

Grohmann : Arabic Papyrian Vol, I, pp. 22 - 24.

(٤٥) عبد المنعم ماجد : تاريخ الدولة العربية ، ج ٢ ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٤٦) الولاة ، ص ٦٥ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦٣ ، فريد شافعى :

العمارة العربية في مصر الاسلامية - عصر الولاة ، ص ٣٦٥ .

(٤٧) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٤٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٩ ، ابن دقماق : المصدر

السابق ، ج ٤ ، ص ٦٥ .

(٤٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٧١٤ .

- (٥٠) محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص ، ص ١٤ .
- (٥١) فريد شافعى : العمارة العربية في مصر الاسلامية (عصر الولاة) ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .
- (٥٢) كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية في مصر ، ص ١٥ ، لينبول : سيرة القاهرة ، ص ٥٨ .
- (٥٣) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦٦ .
- (٥٤) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٢٦٥ ، الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦٧ .
- (٥٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .
- (٥٦) كان عمل القاضى مبنيا على التحقيق والأناة في الحكم وعمل المحتسب مبنى على الشدة والسرعة في الفصل . وكان عمر بن الخطاب أول من وضع نظام الحسبة ، وكان يقوم بعمل المحتسب . الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ابن الأخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة ، ص ١٤ - ١٥ .
- (٥٧) الكندى : القضاة ، ص ٣٠٠ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ، ج ١ ، ص ٤٩٨ .
- (٥٨) الكندى : المصدر السابق ، ص ٣٠٣ ، ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤٢ .
- (٥٩) Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, p. 39.
- (٦٠) الكندى : القضاة ، ص ٣١٤ .
- (٦١) نفس المصدر ، ص ٣١٧ .
- (٦٢) نفس المصدر ، ص ٣٤٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
- (٦٣) ابن عرنوس : تاريخ القضاء في الاسلام ، ص ١١٥ .
- (٦٤) الكندى . المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .
- (٦٥) ابن عرنوس : تاريخ القضاء في الاسلام ، ص ١١٤ - ١١٥ .
- (٦٦) القضاة ، ص ٣٨٨ .
- (٦٧) نفس المصدر ، ص ٣٩٠ .
- (٦٨) القضاة ، ص ٣٩٣ .
- (٦٩) نفس المصدر ، والصفحة .

(٧٠) وقد أشار ابن عبد الحكم الى لفظ التابوت واستخدامه في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب لحفظ الوثائق والعهود عندما قال : كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد بما عاهده . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٠ ، الكندي : المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

(٧١) ابن عرنوس : تاريخ القضاء في الاسلام ، ص ١١٨ ،

Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle ages, p. 31.

(٧٢) القضاة ، ص ١١٠ .

(٧٣) نفس المصدر ، ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٧٤) Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle ages, p. 39.

(٧٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ١ ، ص ٤٧٢ .

(٧٦) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٩ .

(٧٧) الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

(٧٨) الكندي السولة ، ص .

(٧٩) نفس المصدر ، والصفحة .

(٨٠) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

(٨١) السولة ، ص ١١٧ .

(٨٢) نفس المصدر ، ص ٤٧٠ .

(٨٣) الاعلاق النفيسة ، ص ١١٦ .

(٨٤) الكندي : السولة ، ص ١٦٢ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٨٥) الخطط ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

(٨٦) يقول الله تعالى في سورة الأعراف (آية ١٧٦) : « فاقصص القصص لعلهم

يتفكرون » كما ورد في سورة يوسف (آية ٢٣) قوله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن

القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » ،

قال ابن كثير : أي نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر كما قال

الله تعالى .

(٨٧) نزلت سورة القصص في مكة المكرمة الا من الآية ٥٢ الى ٥٥ فنزلت بالمدينة

المنورة ، كما نزلت الآية ٨٥ بالجحفة اثناء هجرة النبي صلى الله عليه وسلم . وعند آياتها ٨٨ آية ، وقد ورد بها ذكر قوم موسى وفرعون مصر ، وقصة قارون ، وما كان لديه من الكنوز والأموال الطائلة وما كان من سوء عاقبته وهلاكه هو وفرعون .

ابن كثير : تفسير القرآن الكريم ، ج ٣ ، ص ٣٧٩ — ٣٨٨ .

(٨٨) عبد الحى الكنانى : نظام الحكومة النبوية ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ — ٣٣٦ .

(٨٩) الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

(٩٠) السولة والقضاة ، ص ٣٠٤ .

(٩١) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٤ ، ص ٧٣ .

(٩٢) الولاة والقضاة ، ص ٣٠٤ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

(٩٣) المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٩٤) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٠ .

(٩٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(٩٦) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٩٧) القصاص والمذكرين ، ص ١٦ .

(٩٨) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٧٢ ، المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

(٩٩) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧٦ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٩٩ .

(١٠٠) تلبيس ابليس ، ص ١٧٢ .

(١٠١) حسن المحاضرة : ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(١٠٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣١٤ ، المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

(١٠٣) الكندى : المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(١٠٤) الانتصار ، ج ٤ ، ص ٧٣ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢٢ ، السيوطى : حسن

المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥١ .

(١٠٥) القضاة ، ص ٣٤٨ ، ابن دقماق : الانتصار ، ص ٧٣ ، المقرئى :

الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .

- (١٠٦) آدم ممتاز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .
- (١٠٧) تاريخ بغداد ، ج ١٣ ، ص ٧١ .
- (١٠٨) السلمي : طبقات الصوفية ، ص ٣١ .
- (١٠٩) البغدادي : المصدر السابق ، ص ٧٢ .
- (١١٠) المقرئ : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢٢ .
- (١١١) الانتصار ، ج ٤ ، ص ٧٣ .
- (١١٢) نفس المصدر والصفحة .
- (١١٣) القصص والمذكرين ، ص ٧٢ .
- (١١٤) روى أحد تلاميذ ذي النون أنه كان يقول : ما خلع الله على عبد من خلعة أحسن من العقل ، ولا قلده قلادة أجمل من العلم ، ولا زينته بزينة أفضل من العلم ، وكمال ذلك كله التقوى . ابن الجوزي : القصص والمذكرين ، ص ٧٢ .
- (١١٥) الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

الفصل الثاني

جامع عمرو مركز الحركة العلمية في مصر



أولا : حلقات حفاظ الحديث في جامع عمرو .

ثانيا : حلق الفقه في المسجد الجامع .

ثالثا : حلق القراءات في المسجد الجامع .



أولاً : حلقات حفاظ الحديث في جامع عمرو

حرص الصحابة على العلم والتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم على الرغم من كبر سن بعضهم (١) ، وعلى التناوب في حضور مجلس النبي في المسجد حتى لا يفوت أحدهم من حديث الرسول شيء (٢) ، حيث كانت عنايتهم بالحفظ وضبط ما كانوا يسمعون ، حتى أنهم كانوا يتزاوون لمذاكرة ما فاتهم (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن العلم كلفظ أصبح مرادفاً للحديث في تلك الفترة من عهد النبي والخلفاء الراشدين ، فحرص الصحابة على العلم كان يعنى الحرص على حفظ الحديث وروايته فيما بينهم (٤) .

بدأت رواية الحديث في جامع عمرو في أعقاب تشييده سنة ٢١ هـ على يد هؤلاء الصحابة الذين شاركوا في جيش عمرو ، ولم يكن مضي على مفارقتهم الرسول إلا زمن يسير ، وذلك بعد أن سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام وشاهدوا عمله بينهم ، ومن ثم بدأوا يتحدثون بما رأوا وما سمعوا لغيرهم من النازحين الى مصر والتابعين (٥) .

وقد كان عبد الله بن عمرو من أوائل الصحابة المحدثين في هذا المسجد الجامع بالفسطاط ، ولا غرو فهو من أكثر الناس حفظاً لحديث النبي (٦) ، ومن ذوى الثقافة الواسعة (٧) ، والزاهدين في أمر الدنيا حينذاك (٨) .

كما ذاعت شهرة عبد الله بن عمرو يومئذ برخصة الرسول بالكتابة عنه في صحيفته التي أسماها «**الصادقة**» والتي نقلها معه الى مصر (٩) ، فكان حديثه أو ما يحدث به في أغلب الظن منها ، ولعل ذلك جعل أهل مصر كما يذكر المقرئ يفتخرون في الأكثر فتياناً (١٠) .

اشتملت صحيفة عبد الله بن عمرو على ألف حديث ، كان يحدث منها في حلقاته التي ربما كانت الأولى في جامع عمرو ، فقد ضمت العديد من مشاهير التابعين الذين أخذوا عنه ، نذكر منهم أبا عشامة المعافري وسالم بن أبي سالم ، وسويد بن قيس التميمي ، وعبد الله بن منين اليحصبي ، وعمرو بن الوليد ، ومحمد بن هدية الصدفي ، وهشام

ابن ابي رقية المصري ، والهيثم بن شفى الرعينى المصرى ، ويزيد بن رباح ، وأبا عبيد ابن عقبة نافع الفهــرى (١١) .

ومن تلاميذ عبد الله بن عمرو من طلاب العلم عابس بن سعيد المرادى ، فقد جلس الى عبد الله والى عقبة بن عامر الجهنى حتى استفرغ علمهما كما يذكر الكندى ، حتى ولاء عبد العزيز بن مروان على القضاء والشرط فى فسقاط مصر (١٢) .

وهكذا التف جزل عبد الله بن عمرو العديد من طلاب العلم والجديث حتى أصبح يعد بحق مؤسس المدرسة المصرية ، فقد أخذ عنه كثير من أهل مصر ، وكانوا يكتبون عنه ما يحدث ، نقل المقرئى (١٣) عن حيوة بن شريح أنه قال : دخلت على حسين بن شفى ابن مانع الأصبحى وهو يقول : فعل الله بفلان . فقلت : ما له ؟ فقال : عمد الى كتابين شفى سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أحدهما : قضى رسول الله فى كذا ، وقال رسول الله كذا ، والآخر ما يكون من الأحداث الى يوم القيامة ، فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب (١٤) .

وقد ظل عبد الله بن عمرو راويا للحديث فى حلقة حتى وفاته سنة ٦٥ هـ .

ومن حفاظ الحديث الذين وفدوا على مصر الصحابى جابر بن عبد الله (١٥) قدم الى الفسقاط فى ولاية مسلمة بن مخطد (٤٤ - ٦٢ هـ) وقيل ان سبب قدومه كان لمعرفة صحة حديث له فى « القصاص » وذلك من عبد الله بن أنيس الجهنى وكان عديده فى الأنصار الذين أقاموا بالفسقاط (١٦) .

أخذ عنه أهل مصر الحديث ، ولا شك أنه أصبح صاحب حلقة بالمسجد الجامع يؤخذ عنه العلم او الحديث وذلك على غرار ما كان عليه ، فقد كانت له حلقة فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة (١٧) .

ونذكر من رواة الحديث أيضا أبا بصرة الغفارى الصحابى اختط بالفسقاط ، ونقل عنه ابن عبد الحكم (١٨) عددا من الأحاديث ، منها أنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله قد زادكم صلاة فصلوها فيما بين العشاء الى الصبح » .

ويذكر السيوطى نقلا عن ابن الربيع الجيزى أن الصحابى عقبة بن كريمة الأنصارى كان ممن دخل مصر من الصحابة ولأهل مصر عنه نحو مائة حديث ، وكانت وفاته

بالفسطاط سنة ٥٨ هـ . كما يذكر أيضا من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر الصحابي الشهير ابا أيوب الأنصاري فهو ينقل عن ابن الربيع أن لأهل مصر عنه نحو عشرين حديثا (١٩) .

اهتم الولاة في العصر الأموي بما يجري في جامع عمرو من حفظ الحديث وروايته ، كما شجع هؤلاء حفاظ الحديث وغيرهم من طلاب العلم (٢٠) ، ولا غرو فأمرأء الأمصار أو الولاة هم الخطباء في نفس الوقت والأئمة والمحدثون الذين أسندت اليهم الخلافة ولاية الصلاة والحرب في هذه الأمصار (٢١) .

وقد ظل الولاة بمصر ينوبون عن الخليفة في امامة المسلمين في صلاتهم فضلا عن قيامهم بالخطبة في المسجد الجامع حتى ولاية عنبسة بن أسحق آخر وال من العصر العربي (٢٢) - من قبل الخليفة العباسي المنتصر على صلاتها سنة ٢٣٨ هـ .

كما بذل الولاة عنايتهم بهذا المسجد الجامع لما أصبح عليه من الأهمية والمكانة في النفوس (٢٣) ، فبين أروفته صار يقرأ القرآن ، ويروى الحديث ويجلس القاضى والفقيه ، فضلا عن اقامة الصلوات فيه .

وقد سارع أهل مصر الى حفظ الحديث والانتفاع به حتى يساعدتهم على فهم النصوص القرآنية وذلك بغية الاستفادة منها في استنباط الأحكام الشرعية ، وعلى نحو يعينهم على تدبير شئون الحياة التي وجدوها في مصر والتشريع لها ، وهكذا أصبح عليهم أن يجمعوا الأحاديث ويحفظوها ، كما أصبح كل حديث من أحاديث الرسول كنزا لا يقلو بضمن كما يقول أحد المستشرقين (٢٤) .

ونظرا لتلك الأهمية فقد ازدادت الحاجة الى تدوين الحديث أو تقييد العلم كما كان يقال حينذاك ، وقد شجع على ذلك الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز مخافة دروس العلم وذهاب العلماء (٢٥) ، حيث ورد في الموطأ لما لك أنه كتب الى أهل الأمصار يقول : أنظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه « كما ورد في سيرته انه بعث الى أمراء الأجناد يحثهم على نشر العلم والاهتمام بشرائع الاسلام وتشجيع المحدثين والفقهاء على نشر علمهم ، فقد جاء في كتابه الى أمير مصر يومئذ (٢٦) ، ثم مر أهل العلم والفقه من جندك فلينثروا ما علمهم الله من ذلك ، وليحدثوا في مساجدهم » .

كان أول من قام بتدوين الحديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري في المدينة (٢٧) ، فقد امتاز بإقباله على تدوين الحديث والأخبار التي يجمعها على غير المألوف في ذلك الوقت (٢٨) .

ويبدو أن ابن شهاب قام بتدوين كثير من الحديث والأخبار بأمر من الخليفة عمر ابن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، فقد حث الخليفة عمر بن عبد العزيز على الرحلة اليه والأخذ عنه ، وذلك كما ورد في كتابه :

« وعليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه » ، وكانت الأحاديث والأخبار التي جمعها الزهري أساسا للمؤلفات والمخطوطات التي كتبها تلاميذه مثل محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥١ هـ وغيره .

ومن أبرز الشخصيات العلمية التي ظهرت بمصر في العصر الأموي يزيد بن حبيب مولى الأزدي (٢٩) كان رجلا واسع المعرفة وأحد رواد تدوين الحديث في مصر ، له حلقة في جامع عمرو حث تلاميذه فيها الى وجوب دراسة الأحاديث وامعان النظر في معرفة روايتها والتحرى من صدقهم ، حيث كان قد شاع أمر وضاع الحديث في ذلك الوقت على السنة القصاص وأصحاب الأهواء في فضائل الأمويين وخلافتهم .

كان يزيد بن حبيب (٥٣ - ١٢٨ هـ) ثقة كثير الحديث ، كما كان أحد المفتين بالفسطاط ، فقد أسند اليه عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر مع جعفر بن ربيعة وعبد الله ابن أبي جعفر ، وكان يزيد من الموالى فأبوه من سبى دنقلة ، كما يذكر الكندي (٣٠) ، وعبد الله بن أبي جعفر أيضا ، أما جعفر بن ربيعة فكان من العرب (٣١) .

ومن أشهر تلاميذ يزيد بمصر جامع الحديث عبد الله بن لهيعة المكنى بأبي خريطة (٣٢) . اشتهر بجمعه للحديث وتدوينه ، كما ذاع صيته بالفسطاط ، وتعد صحائفه التي خلفها في الحديث من أقدم صحائف الحديث التي تم العثور عليها حتى الآن (٣٣) .

ويذكر أبو المحاسن المؤرخ ان ابن لهيعة كان عالم الديار المصرية وقاضيا ومحدثا ، ولا شك أن حلقة أو زاويته في جامع عمرو كانت من أهم الزوايا التي عقدت به ، وقد

روى ابن عبد الحكم من حديث ابن لهيعة الموصول بسنده الى عبد الله بن سعيد انه قال (٣٥) : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وغيرهم على جبل اذ تحرك بهم الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسكن حراء ، فانه ليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد . . » .

وهكذا كان ابن لهيعة يروى الأحاديث لطلاب حلقتهم بالمسجد الجامع حتى توفى سنة ١٧٤ هـ (٣٦) .

ومن علماء الحديث في مصر في العصر العباسى عبد الله بن وهب ، سماع من حفاظ كثيرين ، حيث يروى عنه أنه قال : سمعت من ثلاثمائة وسبعين شيخا فما رأيت أحفظ من عمرو بن الحارث ، وكان يحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث ، فكان يحفظ أهل زمانه ، فقد روى عمرو عن أبيه وعن محمد بن مسلم الزهرى بالمدينة ، وكان من أشهر تلاميذه عبد الله بن وهب وبكير بن الأشج وقتادة وغيرهم .

كان عبد الله من حفاظ الحديث ورواته المشاهير بمصر نقل السيوطى عن أحمد ابن صالح أنه قال : ما رأيت أكثر حديثا منه ، حدث بمائة ألف حديث ، ولا غربة في ذلك فهو تلميذ ابن الحارث المذكور وابن لهيعة ، وعنه أخذ أكثر مادة كتابه الشهير « الجامع في الحديث » الذى يعد من أقدم المخطوطات البردية التى عثر عليها بمدينة ادفسو بصعيد مصر (٣٧) .

كما روى في مناسبة وفاته ، أنه قرىء عليه كتابه في أهوال القيامة ، فخر مفشيا عليه ، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام وذلك في شعبان سنة ١٩٧ هـ (٣٨) .

ومن هؤلاء المحدثين الفقهاء المشهورين الليث بن سعد ، أقبل على جمع الحديث وتدوينه في ابواب مفصلة ، وكان لليث أربعة مجالس بجامع عمرو كل يوم ، منها مجلس لأصحاب الحديث ، وكان من تلاميذه ابنه شعيب وعبد الله بن المبارك وآخرون (٣٩) .

ومن تلاميذ الليث ، نذكر بلال بن يحيى الأسوانى (٤٠) ، وضمام بن اسماعيل المصرى ، وقد اشتهدا في ذلك الوقت برواية الحديث حتى صارا من مشاهير التابعين والمحدثين (٤١) .

ومن الجدير بالذكر أن الرحلة في طلب العلم أو الحديث صارت شائعة بين الحواضر والأقاليم ، حيث كثر عدد الرحالة لجمع الأحاديث والعمل على تدوينها بعد التحري عن صحتها ، حتى صار هؤلاء يرحلون في طلب الحديث الواحد الأيام الكثيرة للتأكد من صحة روايته أو أسناده ^(٤٢) . ومن المحدثين الذين رحلوا الى بغداد عثمان بن عتيق ، مولى غافق في تلك الفترة ، ذكر المقرئى نقلا عن الكندي أنه أول من رحل من أهل مصر الى العراق في طلب الحديث ^(٤٣) . ونعتقد أنه بعد عودته الى القسطنطينية أصبح له حلقة في المسجد الجامع للأخذ عنه والافادة منه في مجال علم الحديث .

ومن أصحاب الحديث الذين اشتهروا في أواخر القرن الثاني الهجرى عبد الله ابن صالح كاتب الليث ، وكانت له حلقة ، وإن كان ابن قتيبة لم يذكر شيئا عن تصانيفه أو كتبه التي ألفها في هذا المجال ^(٤٤) .

نشطت رواية الحديث وازدهرت زوايا المسجد الجامع بنشاط حفاظ الحديث وغيرهم من القراء والأئمة ، كما بذل العلماء جهدهم في تحري الرواية ومراجعة سلسلة الرواة على التوالي من أجل اثبات صحة الحديث ، كما نشط المحدثون في عصر الولاة العباسيين في تدوين الحديث ، وقد شجعهم على ذلك أن الحديث صار هو المادة الواسعة للفقهاء واستنباط الأحكام الشرعية .

كما ظهر لأول مرة كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس الذي صنّفه في المدينة قبل وفاته سنة ١٧٩ هـ ، اعتمد فيه على مجموعة من الأحاديث وصار الفقهاء ينظرون اليه باعتبار كتابه كتابا في الفقه ^(٤٥) .

ومن المعروف أنه لما آل الحكم الى العباسيين ، أخذ بعض القصاص وغيرهم من المروجين يضعون الأحاديث التي تؤيد حكمهم وتثبت حقهم في الخلافة دون العلويين من بنى هاشم أو بنى أمية ، وذلك على الرغم من تحذير النبي من ذلك حيث قال : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار ^(٤٦) ، وهكذا راجت في الحواضر الاسلامية تلك الأحاديث التي لا سند لها من الصدوق أو الأمانة في روايتها ، مما تطلب الأمر معرفة الناسخ والمنسوخ في الحديث ، حتى صار ذلك من أهم علوم الحديث وأصعبها آنذاك ^(٤٧) .

وقد أدى ذلك الى نشاط رواية الحديث وازدهار حلقاته في جامع عمرو مما أدى الى

اجتذاب مشاهير المحدثين من بلاد المشرق الى مصر ، لملاقاة شيوخ الحديث والجلوس معهم والأخذ عنهم ، وقد سبق أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي أئمة الحديث هؤلاء الى القنسطاط حيث كان قدومه اليها سنة ١٩٨ هـ (٤٨) ، ومما لا شك فيه أن لقاءه بأصحاب الحديث المصريين كان له أثره في تحرى الاسناد وفي معرفة الناسخ والمنسوخ في الحديث كما يقول ابن خلدون (٤٩) : فانه كان من أهم علوم الحديث وأصعبها ، وكان للشافعي رضى الله عنه فيه قدم راسخة ، ولا غرو فقد تتلمذ عليه في هذا العلم أئمة الفقهاء والمحدثين مثل أحمد بن حنبل الذى قال عنه : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي ، وقال عن الشافعي أنه كالشمس للدنيا والعافية للبدن (٥٠) .

ويصف ابن حجر حلقة الامام الشافعي بالمسجد الجامع ونشاطه فيقول (٥١) : « وكان الشافعي يجلس في حلقة بالمسجد الجامع اذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فيسألونه فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن معانيه وتفسيره ، فاذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة ، فاذا ارتفع النهار تفرقوا ، وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب منتصف النهار ثم ينصرف الى منزله » وهكذا كانت حلقة الشافعي أو زاويته تشمل سائر العلوم الاسلامية والعربية وليست قاصرة على طلاب الحديث أو الفقه حينذاك .

ومن الأئمة المحدثين الذين لازموا الامام الشافعي في هذه الحلقة عبد الله بن الزبير الحميدى ، نقل السيوطى عنه أنه كان ملازما له ، وقد ألف كتابا في الحديث فهو صاحب المسند ، ولما مات الشافعي سنة ٢٠٤ هـ رجع الى مكة وأقام بها حتى توفى سنة ٢١٩ هـ (٥٢) .

أخذت حلقات المسجد الجامع تنتظم في ذلك الوقت حيث كان يجلس الشيخ أو المحدث وحوله الآخذون عنه على شكل حلقة وبطبيعة الحال فان كل حلقة كانت تزداد أعدادها أو تقل تبعا لقدرة الشيخ ومكانته في حفظ الأحاديث وفي جمعها وتدوينها ، ولا شك أن غالبية هذه الحلقات كانت عامرة بطلابها لشهرة أصحابها من الشيوخ أو المحدثين المصريين (٥٣) .

وقد اجتذب الى هؤلاء المحدثين من سائر أنحاء البلاد الاسلامية ، من أمثال محمد

ابن اسماعيل البخارى (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) (٥٤) وفد على مصر وجمع من الأحاديث وقام بتدوينها عن المحدث المصرى عمرو بن خالد التميمى ، كما كتب الحديث عن عمرو ابن الربيع بن طارق المصرى (ت ٢١٩) والمحدث أحمد بن باشكباب الحضرمى (ت ٢١٧ هـ) وكان أحد الثقات في علم الحديث (٥٥) .

ومن المعروف أن امام المحدثين البخارى كان لا يأخذ الحديث الا عن الرواة الثقات المشهورين-بالورع والتقوى ، كما اهتم بمعرفة أحوالهم ، وكيفية تلقيهم للحديث ، يدلنا على ذلك فيما قاله عن نفسه : « كتبت عن ألف شيخ وأكثر ما عندي حديث الا وأذكر اسناده » (٥٦) ، وهكذا كان يتحرى الدقة في معرفة الثقات وغيرهم من حفاظ الحديث الذين خرج لهم في كتابه الشهير « صحيح البخارى » مثل يوسف بن عدى التميمى وحسان ابن عبد الله بن سهل الكندى (ت ٢٢٢ هـ) وغيرهما من أصحاب الحديث المصريين (٥٧) .

كما قدم الى مصر أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى صاحب المسند الصحيح وأحد الأئمة والحفاظ المتقنين ، وكان قد طوف بالعديد من البلدان الاسلامية (٥٨) ، التقى بالحفاظ والمحدثين المصريين في جامع عمرو منهم عمرو بن سواد العامرى (ت ٢٤٥ هـ) أحد تلاميذ عبد الله بن وهب والشافعى ، ويبدو نشاط عمرو في مجال الحديث حيث انه لم يقتصر في روايته على اسناد مسلم له في صحيحه ، بل خرج له وروى عنه كل من أبى داود والنسائى وابن ماجة من أصحاب الكتب الستة المشهورة (٥٩) .

كما روى الامام مسلم في صحيحه عن محدث مصر آنذاك عيسى بن حماد بن مسلم التجيبى (ت ٢٤٨ هـ) وكانت له حلقة مثل حلقة عمرو بن سواد العامرى ، وقد خرج له أصحاب السنن المشهورين .

ومن الشيوخ المصريين المحدث المصرى محمد بن سلمة بن عبد الله المرادى (٦٠) ، ذكر السيوطى نقلا عن ابن حجر أنه ممن خرج له مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة ، مما يدل على درجة علمه في مجال علم الحديث في ذلك الوقت (٦١) .

لم يقتصر الأمر على رحلة كل من الامام البخارى والامام مسلم الى مصر ومجالسة شيوخ مصر في جامع عمرو والأخذ عنهم في مجالس علمهم ، بل انه زار مصر في القرن الثالث الهجرى أصحاب كتب السنن المشهورين وهم أبو داود (ت ٢٧٥ هـ) والترمذى

(ت ٢٧٩ هـ) وابن ماجه (٢٧٢ هـ) والنسائي (٣٠٣ هـ) حيث ظهر التدوين المنظم للحديث على أيديهم فكانت تلك المجموعات من كتب الحديث والتي كان أهمها عند أهل السنة الكتب الستة المعروفة (٦٢) .

وتدل تراجم الشيوخ المصريين على مدى الانتفاع من علمهم لا سيما في عصر الولاية العباسيين ، نذكر من هؤلاء المحدثين عياش بن عقبة الحضرمي المصري (٦٣) ، وموسى ابن علي بن أبي رباح اللخمي والمحدث والراويّة النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادي (٦٤) .

وممن خرج لهم النسائي وقام بتوثيق أحاديثهم كذلك المحدث محمد بن هشام بن أبي خيرة ، وكان ثقة ثبتا حسن الحديث له حلقة بالمسجد الجامع وقد توفي سنة ٢٥١ هـ (٦٥) ، كما يذكر السيوطي من مشاهير تابعي التابعين كلا من ابراهيم بن مرزوق ابن دينار ، والحاترث بن أسد بن معقل الهمداني ، والحسن بن غليب الأزدي (٦٦) (من قبيلة الأزدي المشهورة) ومن المعروف أن الامام النسائي كان يلتزم الدقة والتحري في نقد الرجال والحفاظ ، والتشدد في قبول رواياتهم التي كانوا يحفظونها قبل توثيقها في كتابه « السنن » الشهير .

وتدل تراجم شيوخ مصر ومحدثيها على ازدهار علم الحديث في أواخر عصر الولاية ، وذلك من حيث كثرة عددهم وقيام أصحاب كتب السنن من أئمة الحديث بتدوين مروياتهم أثناء فترة اقامتهم بالحاضرة الاسلامية الفسطاط ، وقد حفلت كتب الطبقات بأسماء العديد من هؤلاء الشيوخ ممن سبقهم ذكرهم وغيرهم ، حيث ينقل السيوطي من كتب التراجم والطبقات في هذه وغيرها ، نذكر منهم سليمان بن داود بن حماد المهري (٦٧) (من قبيلة مهرة اليمنية) أخذ عنه أبو داود والنسائي ، والمحدث الراوية عبد الله بن محمد ابن عبد الله الرقي المصري ، وعلى بن معبد بن نوح البغدادي — الذي أقام بمصر ، روى عنه النسائي وغيره من أصحاب كتب السنن ، كما روى عن المحدث المصري عمر ابن عبد العزيز بن مقلص ، وعيسى بن ابراهيم بن عيسى الفافقي (٦٨) ، وغير هؤلاء ممن عاشوا بمدينة الفسطاط في ذلك العصر .

وفي أواخر عصر الولاية اشتهر ذو النون الأخيمي المصري ، فكان أوحد وقته علما وورعا كما ورد في سيرته ، تعلق الناس به في جامع عمرو ، روى الحديث عن عبد الله

ابن عمر كما روى عن مالك بن انس ، وعنه اخذ الجنيد وآخرون. من أهل الحديث (٦٩) .
وذكر السهيلي بعض الأحاديث التي رواها ذو النون ، منها حديث أسنده لابن عمر وانفرد
بروايته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » (٧٠) .

ونذكر من هؤلاء المحدثين الذين عاصروا ذا النون المصري وعمت شهرتهم في اواخر
عصر الولاية وعهد ابن طولون ، المحدث والفقهاء يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدقي ،
وقد انتهت اليه رئاسة العلم وعلو الاسناد ، وكان ورعا صالحا ، روى عنه مسلم والنسائي
وابن ماجة من أصحاب السنن ، مما يدل على مكانته العلمية التي بلغها في علوم
الاسلام وكانت وفاته سنة ٢٦٤ هـ (٧١) .

وهكذا أصبحت حلقات الحديث في جامع عمرو خاصة بطلاب العلم وشيوخ الحديث
يحفظون ويتحرون صحة الاسناد ، والناسخ والمنسوخ في الحديث كما غدت حلقاتهم
موضع التقدير والاجلال حتى صار الناس يتباركون بها ، يتجلى ذلك في وصف ابن رسته
لظاهر تلك الحفاوة والتقدير عندما أشار الى ذلك وقال (٧٢) : عند الاحتفال بزيادة
فيضان النيل .

« فاذا زاد نظروا الى بعض تلك العلامات فوقفوا على مقدار الزيادة لأن الزيادة في
الخراج على حسب الزيادة في المال ، فيصير هؤلاء الموكلون الى المسجد الجامع بأيديهم
الرياحين ، ويقفون على حلقة يرمون بما معهم من الرياحين اليهم ، وينادون أن الله عز
وجل قد زاد في النيل كذا وكذا فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له »
وهكذا كانوا ينثرون الرياحين على أهل الحلق في جامع عمرو وأصحاب الحديث في
المناسبات المختلفة اظهارا لحفاوتهم وحبهم لشيوخ العلم وطلابه آنذاك .



ثانيا : خلق الفقه في المسجد الجامع

نشأة علم الفقه (٧٣) :

لم يكن العرب يحكمون في جاهليتهم بقانون مدون ولا قواعد معروفة ، وانما كانوا يقضون في خصوماتهم وفقا لمقتضيات عرفهم وتقاليدهم الموروثة (٧٤) ، وعندما ظهر الاسلام وأصبحت المدينة مقرا للدعوة الاسلامية ومركزا للحكم ، كان الرسول الكريم يحكم بين الناس بما يوحى اليه من القرآن حيث كان ينزل بالأحكام ، وبما يشرحه للصحابة رضی الله عنهم سواء بالقول أو الفعل وهو ما عرف بالحديث والسنة . كما كان على الجماعة الاسلامية الناشئة أن تقبل بهذه الأحكام وتقوم بتنفيذها وفقا لما أمر به الله عز وجل في كتابه العزيز (٧٥) .

لم يظهر الفقه كعلم لوجود الصحابة والتابعين في عهد الراشدين الذين حرصوا على حفظ القرآن في صدورهم ، وما أجمعوا عليه من الحديث والسنة ، حيث صار الاجماع من دعائم التشريع الاسلامي .

كان عبد الله بن عمرو اول الجالسين في جامع عمرو للفتيا بعد انشائه (٧٦) ، حيث كانت الفتيا في عهد الخلفاء الراشدين تؤخذ عن الحافظين لكتاب الله العارفين بدلالاته والجامعين لحديث الرسول وسنته (٧٨) ، وقد اشتهر عبد الله في ذلك الوقت المبكر بحفظه للقرآن والسنة ، فلا غرو أن جلس للفتيا في المسجد وصار من أهل الاجتهاد في الأحكام والتبصر بمواقع المسائل التشريعية (٧٩) .

وقد حث الاسلام على التفقه في الدين وتعلم الفقه والفرائض ، كما ورد في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (٨٠) : « تعلموا الفرائض وعلّموا الناس فانه نصف العلم » كما أوصى النبي بأصحابه فهم أهل مشورته (٨١) ، كما ورد في حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وحث على طلب الفقه وتعليمه للناس .

ومن الذين جلسوا في جامع عمرو ، وكانوا من المعاصرين لعبد الله بن عمرو ، عبيد

ابن محمد المعافري ^(٨٢) ، والصحابى أبو تميم الجيشانى الذى يعد من أوائل عباد أهل مصر وفقهاؤها (ت ٧٧ هـ) ^(٨٣) ، وأبو علقمة مولى بنى هاشم الذى اشتهر بالفقه واسـتـنباط الأحكام الشرعية ^(٨٤) .

ومن هؤلاء الصحابة الذين شاركوا فى فتح مصر الأكرد بن حمام بن عامر بن مصعب اللخمي ، وكان علويا ذا فضل وفقه فى الدين ^(٨٥) ، كما اشتهر بالفقه والفرائض ^(٨٦) ، وإليه تنسب الفريضة الأكردية وهى مسألة فى الفرائض والمواريث ^(٨٧) .

خلق الفقه فى العصر الأموى :

كره الأمويون الفقهاء ولم يعملوا على تقرييهم والاعتماد عليهم لتأييد حكمهم كما فعل العباسيون من بعدهم ، وذلك لأن غالبية الفقهاء فى الأمصار لم يرتاحوا يومئذ الى استيلاء أرسـتقراطية قريش على الحكم وجنى ثمار الدعوة الى الاسلام بعد أن كانت مقاومتهم للنبي صاحب هذه الدعوة فى بداية أمرها ^(٨٨) .

ولكنه على الرغم من شيوع ذلك فى بداية حكمهم الا أنه حدث خلاف ذلك بمصر ولا سيما فى عهد أميرها عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٥ هـ) فقد ذكر الكندى أنه أسند القضاء الى عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى ، وكان من أفقه الناس آنذاك ، وأجرى عليه الرزق فى السنة ألف دينار ، فكان ينفقها على أهله وإخوانه ولا يدخر منها شيئا ^(٨٩) .

ومن المعروف أن وظيفة القضاء لم تكن يتولاها الا الفقهاء النابھون ، الذين بلغوا من العلم والفقه شأنا عظيما ^(٩٠) مثل ابن حجيرة ، فقد روى عبد الله بن لهيعة أن رجلا سأل ابن عباس عن مسألة فقال : تسألنى وفيكم ابن حجيرة ، كما نقل الكندى رواية أخرى عن يزيد بن أبى حبيب فى مسألة خاصة بالفقه أنه قال : سمعت ابن حجيرة الأكبر عند هذا المنبر (يعنى منبر جامع عمرو) يقول : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا رضاع بعد فصال ، ومن مص من ثدى فأنهم يتحاممون » .

ومن الفقهاء انبارزين فى عهد عبد العزيز بن مروان ، والى مصر ، أبو الخير مرثد ابن عبد الله اليزنى ، كان معاصرا للقاضى والفقيه ابن حجيرة ، ذكر ابن يونس أنه كان مفتى أهل مصر فى زمانه ، وكان الأمير عبد العزيز يحضره فيجلسه للفتيا . تفقه على يد

الصحابي العالم عقبة بن عامر الجهني ، كما روى عن ثابت بن عمرو وأبي أمامة وغيرهم من الحفاظ والتابعين (٩٢) .

ومن المعروف أن والي البلاد كان له الحق في اختيار من يراه مناسباً من أهل العلم للفتيا ، كما يقول ابن خلدون (٩٣) ، حتى لا يتعرض لذلك من ليس له أهل فيفضل الناس ، وللوالى الحق أيضاً في ترشيح من يراه لتعليم الناس والجلوس لذلك في المسجد .

كما كان من حق الخليفة أن يعين هؤلاء الفقهاء للفتوى ، وقد تجلّى ذلك فيما قام به عمر بن عبد العزيز عندما أسند أمر الفتوى بمصر الى ثلاثة فقهاء وهم جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبد الله بن أبي جعفر ، مما يدل على ما بلغوه في مجال الفقه والتشريع في ذلك الوقت (٩٤) .

ولا شك أن المحدث والفقهاء يزيد بن أبي حبيب كان أعلى مكانة من الآخرين ، حيث ذاع صيته (٩٥) ، فهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل والحلال والحرام ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك يتحدثون في الترغيب والملاحم والفتن (٩٦) .

لم يقتصر يزيد في أوائل القرن الثاني الهجري على حلقة العلم والدرس في جامع عمرو ، بل كان له تأثير واضح في مجرى الأحداث وفيما كان يعرض من مسائل ومشكلات أصبحت محل التنافس بين الأئمة المجتهدين وبين القضاة المصريين ، كما يتجلّى دوره أيضاً في دعوة كل من العلوية والعثمانية الى روح الاسلام والى جمع الكلمة وضم الصفوف ، وقد وقف موقف الرقيب الناصح للحكام أو الولاة أصحاب « السلطة الشرعية » يرشدهم الى الحق والخير ، وينتقد سياستهم اذا لزم الأمر (٩٧) .

اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعلم والعلماء ، كما كان له اهتمام خاص بحلقات العلم والفقه في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ولا غرابة في ذلك فقد نشأ في مصر وأبوه واليا عليها سنة ٦٣ هـ ، ودرس العلم وتفقه على أيدي شيوخ هذه الحلقات حتى بلغ مرتبة الاجتهاد . فلما صارت اليه الخلافة في دمشق ، يذكر السيوطي (٩٨) أنه بعث نافعاً مولى عبد الله بن عمر فقيه أهل المدينة الى مصر ليعلمهم السنن ، فأقام بها فترة يعلم الناس بالمسجد الجامع حتى عاد الى المدينة وتوفي بها سنة ١٢٠ هـ .

واشتهر من الفقهاء المصريين في العصر الأموي بمصر كذلك جعثل بن هاعان بن سعيد الرعيلى (ت ١١٥ هـ) (١٩) ، وبكر بن عبد الله الأشج (ت ١٢٢ هـ) وكان من ثقات أهل مصر وقرائهم (١٠٠) ، وبكر بن سواده الجذامى الفقيه مفتى مصر (١٠١) ، وكان جميعهم من المعاصرين للمحدث والفقيه والراوية الشهير يزيد بن أبى حبيب .

كما عاصر هؤلاء أيضا من الفقهاء خير بن نعيم الحضرمى الذى أسند اليه القضاء بمصر ، قال عنه يزيد : ما أدركت من قضاة مصر أفقه منه (١٠٢) ، وكانت له حلقة فى جامع عمرو وتتلّمذ على يديه الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة الحضرمى ممن اشتهروا بالعلم وذاع صيتهم بعد ذلك (١٠٣) .

ازدهار حلقات الفقه وظهور المذاهب بمصر فى العصر العباسى :

ازدهرت الحياة الثقافية فى الفسطاط فى العصر العباسى الأول نتيجة لعوامل متعددة منها حرية الرأى التى تمتع بها الفقهاء وغيرهم من أهل العلم والثقافة حيث عمل العباسيون على تقريب هؤلاء ، فلم يعد اهتمامهم قاصرا على النواحي السياسية فحسب كما كان الشأن أيام الأمويين بل غلبت عليهم النزعة الدينية ، وكان لذلك أثره الواضح فى رواج التشريع والفقه (١٠٤) .

كما شهد العصر العباسى الأول المزيد من الرحلات العلمية ، وتأثر العقول بثقافات الشعوب والأمم المختلفة ، حيث بلغ الجدل بين الفقهاء أشده واتسع مداه مما أدى الى نشاط حلقات العلم والدرس فى المساجد الجامعة وغيرها من مجالس العلم فى الدور والقصور ، وقد حرص الخلفاء العباسيون على عقد هذه المجالس ، ومما لا شك فيه أن هذه المناظرات أدت الى رواج الحركة العلمية وتقدمها حيث أنها شجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس ، وإعداد أنفسهم حتى لا يخذلوا فى مجلس المناظرة مما يسىء الى سمعتهم ومكانتهم (١٠٥) .

ومن هذه العوامل نشاط حركة التدوين والتأليف فى ذلك العصر فقد أصبح للتدوين الحظ الوافر من جهود الأئمة من الفقهاء والمحدثين ، كما صار أحد المظاهر الهامة للنشاط العلمى والفقهى ، وذلك لعظم فائدته ، فانه يساعد على الرجوع الى العلوم المختلفة مهما

كثرت وتنوعت ، ولا غرابة في ذلك فهو نقل المحفوظ في الصدور وقيلده في القرايطيس ليبقى محفوظا لا يذهب بذهاب أهله (١٠٦) .

وقد شجع الفقهاء وغيرهم من أهل العلم وفرة القرايطيس بمصر في ذلك العصر ، مما أدى الى نشاط حركة التدوين ، وكان في بغداد درب يسمى بدرب القرايطيس نسبة لهذا الورق الذي كان يجلب من مصر يقول ابن الكندي : ولهم القرايطيس (يعنى المصريين ، وليس هي في الدنيا الا بمصر) ولا شك أن الليث بن سعد ، (١٠٧) ، وعبد الله بن وهب وغيرهما من الفقهاء المصريين استخدموا هذه القرايطيس في كتابة تصانيفهم العديدة .

كان الليث من أشهر تلاميذ يزيد بن أبي حبيب ، كما قدمنا ، وقد سطع نجمه في سماء الفسطاط في مجال الفقه والفتوى والتشريع (١٠٨) ، وأصبحت حلقاته في جامع عمرو من أشهر الحلقات وأعمها ، كما أشاد بفزارة علمه معاصروه من الفقهاء والأئمة ومن خلفهم يقول عنه الامام الشافعى : « الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به » .

ويذكر ابن النديم (١٠٩) أن الليث بن سعد كان من أصحاب مالك وعلى مذهبه ثم اختار لنفسه ، وكان يكتب مالكا ويسأله في بعض المسائل فيرد عليه ، وقد صنف في ذلك مجموعة من الرسائل والكتب ، كما صنف كتابه مسائل في الفقه .

كما يذكر ابن قتيبة أنه كان ثقة سريا سخيا ، كان دخله في العام خمسة آلاف دينار يوزعها في الصلات وغيرها ، وقيل أنه لما وفد عليه عالم العراق يومئذ منصور بن عمار من بغداد منحه ألف دينار وكانت وفاته بالفسطاط سنة ١٧٥ هـ (١١٠) .

بلغت مكانته يومئذ أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور طلبه لامارة مصر فاعتذر عنها ، وقد أعجب به الخليفة هارون الرشيد بعد أن رحل اليه قادما من مصر ، وأفتاه في أمر زوجه زبيدة ، بما عجز عنه الفقهاء في بغداد ، وقد عبر ابن الكندي (١١١) عن ذلك فقال : « وهو الذي أخرج الرشيد من يمينه التي عجز عنها فقهاء الدنيا » .

وقد كان أمراء مصر يجلبونه ويرجعون الى رأيه دائما (١١٢) ، لما كان القاضى والنائب تحت امرته ومشورته ، وكان له أربعة مجالس في كل يوم كما يذكر الكندي في أكثر من

موضع (١١٣) ، منها مجلس لأصحاب المسائل ومجلس لحوائج الناس ، كما أشرنا من قبل عند دوره في مجال الحديث ، وكان يعقدها في المسجد الجامع .

كما يعزى الى الليث وأمثاله من الأئمة الذين اعتدروا عن قبولهم ولاية شئون البلاد أو تولى القضاء ، ازدواج الحياة التشريعية بمصر ، حيث أصبحت المسألة الواحدة تعرض على الفقهاء ، فتأخذ أكثر من حكم ، وكان الفقيه منهم يجتهد في تعرف الحكم ، ويذهب الى ما تطمئن اليه نفسه دون أن تتحكم فيه سلطة أو يحجر عليه في رأى ما دام أهلا للاجتهد (١١٤) ، كما كانت تلك المسألة يقضى فيها القاضى وفقا لخبرته ودراسته الفقهية (١١٥) ، وهكذا شهدت مصر ازدواج الحياة التشريعية مما أدى الى نشاط الحركة الفقهية في حلقات المسجد الجامع وازدهار الحياة الثقافية الاسلامية في ذلك العصر .

الفقهاء المالكية بمصر في العصر العباسى :

كان من أسباب اتساع الحركة العلمية وازدهارها في ذلك العصر أيضا ظهور المذاهب الأربعة السنية وانتشارها في الأمصار الاسلامية المختلفة ، ومن المعروف أن مذهب الامام أبى حنيفة النعمان كان اقدم هذه المذاهب التى ظهرت (١١٦) ، الا أن مذهب الامام مالك عرف طريقه الى مصر أولا حيث انتشر بها منذ أوائل الحكم العباسى للبلاد .

فقد نقل السيوطى (١١٧) أن عثمان بن الحكم الجزامى كان أول من أدخل علم مالك الى مصر ، وكان عثمان الفقيه قد توثقت صلته بالليث بن سعد مفتى مصر ، حتى انه أشار على والى مصر حينذاك باسناد القضاء اليه ، ولكن الفقيه المالكى عثمان أبى ذلك .

وذكر المقرئى أن أول من قدم الى مصر بفقهِه مالك هو عبد الرحيم بن خالد بن يزيد ابن يحيى - مولى جمع - وكان فقيها ، روى عنه الليث بن سعد وعبد الله بن وهب ورشيد بن سعد ، وقد توفى بالأسكندرية سنة ١٦٣ هـ (١١٨) .

أما مذهب الحنفية ، فلم يكن أهل مصر يعرفونه في ذلك الوقت حتى ولى القضاء اسماعيل بن اليسع الكوفى من قبل المهدي العباسى سنة ١٦٤ هـ ، ذكر احد رواة الكندى انه كان مؤمنا فقيها ، وكان يصلى الجمع وعليه كساء مربع من صوف وقطن ، وكان أول عراقى ولى قضاء مصر من قضاة الأحناف ، وأول من أدخل اليها مذهب أبى حنيفة ،

وكان من خير القضاة ، لكنه كان يذهب الى ابطال الأحباس (الأوقاف) فلم يلق قبولا من جانب الفقهاء المصريين لأنه أحدث أحكاما لم تكن معروفة لديهم من قبل ذلك (١٢٠) .

وقد كتب الليث بن سعد الى الخليفة العباسي المهدي يطلب عزله في كتاب جاء فيه : « انك وليت رجلا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا مع أنا ما علمناه في الدينار والدرهم الا خيرا » فورد الأمر بعزله عن القضاء (١٢١) . وهكذا لم ينتشر مذهب أبى حنيفة بمصر حتى أواخر عصر الولاة ، فلم نسمع عن فقهاء الحنفية حتى ولاية بكار ابن قبته الثقفي من قبل الخليفة العباسي المتوكل سنة ٢٤٦ هـ (١٢٢) .

ونعود الى مذهب المالكية وانتشاره بمصر (١٢٣) ، فمن الفقهاء الأوائل الذين عملوا على تعليمه ونشره بين أهل مصر عبد الله بن وهب الذي رحل الى المدينة ولازم الامام مالك نحو من عشرين سنة ، ثم عاد الى مصر وعمل على نشر مذهبه ففى حلقة بالمسجد الجامع روى عن مالك ما صنفه من كتبه وسننه ومنها كتابه الشهير « الموطأ » (١٢٤) .

وقد ذكر ابن يونس أن عبد الله بن وهب الفقيه المالكي المصري جمع بين الفقه والرواية والعبادة ، كما يذكر ابن الكندي (١٢٥) أنه اشتهر بجملته تصانيف في الفقه ، فقد ألف منها مائة جزء منها الموطأ الكبير والجامع الكبير ، وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب المناسك ، فضلا عن كتابه الجامع في الحديث الذي اشرنا اليه من قبل .

وكان يفضل العلم على القضاء ، روى الكندي انه لما طلب للقضاء تغيب وسمعه أحد الناس يقول في دعائه (١٢٦) : « يارب يقدم عليك اخواني غدا علماء حلماء فقهاء ، وأقدم عليك قاضيا ، لا يارب ولو قرضت بالمقاريض » .

ذاعت شهرته في الحديث والفقه والرواية ، ولا غرو فهو تلميذ الليث بن سعد امام مصر ومفتيها ، ومالك بن أنس ، بلغ من حرصه أنه صار يعلم الناس والشهود كيف يحلفون امام مجلس القضاء في جامع عمرو ، وذلك من رقاع كان يكتبها يروى لنا الكندي انه نقل عن أحد الشهود لاحدى تلك الرقاع قوله : « ورأيت مع رسول السلطان خط عبد الله بن وهب في كتاب قد كتبه لهم كيف يحلفون » .

ومن الفقهاء المعاصرين لابن وهب نخص بالذكر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد

العتقى المصرى . تفقه على مذهب مالك وفرع على أصوله ، وكان زاهدا صبوراً مجانباً للسلطان (١٢٧) ، متفرغاً للعلم وحلقته فى جامع عمرو ، روى كتاب المسائل عن مالك كما وروى عن أبى عينية وغيره من الفقهاء والأئمة (١٢٨) .

وتلقى العلم عنه فى حلقة كل من اصبح بن الفرج الفقيه المصرى المالكى وعالم القيروان سحنون وآخرون وفدوا عليه من بلاد المغرب والأندلس (١٢٩) ، وكان يرجع اليه فى مسائل مالك وفتاويه وروايته لكتاب الموطأ هى أصح الروايات فى عصره . وقد مات بالفسطاط سنة ١٩١ هـ ، ففقدت مصر بموته أحد فقهاء المالكية البارزين .

ومن تلاميذ مالك الذين أخذوا عنه بالمدينة الفقيه المصرى أشهب بن عبد العزيز العامرى ، وكان فقيهاً حسن الرأى والنظر ، واليه انتهت الرئاسة بمصر للمذهب المالكى بعد ابن القاسم .

التقى بالامام الشافعى بالفسطاط وأعجب به وقال عنه : « ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه » الف أشهب الفقيه المالكى كتاباً سماه المدونة وهو كتاب هام رجع اليه علماء القيروان والأندلس ، أملاه عليهم فى حلقة فى جامع عمرو وقد ذاعت شهرته بعد ذلك .

كما صنف كتباً أخرى أهمها الاختلاف فى الامامة ، وكتاب فى فضائل عمر بن عبد العزيز ، ولا شك أن هذه التصانيف كان لها أثر كبير فى نشأة حلقة فى جامع عمرو حيث كان يملئها على طلابه فيها (١٣٠) .

وقد اشتهر أشهب فى ذلك الوقت وصار علماً من أعلام الفسطاط (١٣١) ، كما شاع ذكره بين فقهاء وأئمة عصره ، وكانت له دار فى زقاق عبد الملك بن مسلمة يقيم بها حتى توفى سنة ٢٠٤ هـ (١٣٢) .

ومن أشهر علماء المالكية عبد الله بن عبد الحكم حيث أفضت اليه رئاسة المذهب المالكى بعد أشهب ، وكانت له حلقة عامرة فى جامع عمرو ، روى فيها عن مالك كتاب السنة ، وكان من تلاميذه بنوه محمد بن عبد الحكم وعبد الرحمن صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب (١٣٣) .

ويذكر الكندى أنه كان يحضر مجلس أمير البلاد ويستشير به فى سائر الأمور، ولا سيما

في مسائل القضاء وفيمن يرشحه من الفقهاء البارزين لهذا المنصب : مما يدل على تلك المكانة العلمية والأدبية التي بلغها حينذاك (١٣٤) .

صنف عبد الله بن عبد الحكم العديد من الكتب في علم الفقه وغيره من العلوم الإسلامية ، كان من أهمها ما رواه في حلقاته عن ابن وهب وابن القاسم وأشهب من فقهاء المالكية المشهورين . وقد اختصر ذلك كله في كتاب صغير كان يعول عليه علماء بغداد في عصره . وصنف في مذهب مالك تصانيف منها المختصر الكبير والأوسط والصغير . كما أملى على ابنه محمد كتابه في « سيرة عمر بن عبد العزيز » (١٣٥) .

صحب الإمام الشافعي عند وفادته إلى مصر ، وجعل ابنه محمدا يلازمه في مجلسه حتى ظن الناس لصديق مودتهما كما يقول الغزالي (١٣٦) : « أنه يفوض حلقاته إليه بعد وفاته . » وهكذا حظي إمام المالكية عبد الله بن عبد الحكم بمكانة مرموقة في العاصمة الفسطاط وخارجها وخاصة في بلاد المغرب والأندلس (١٣٧) .

ومن فقهاء المالكية الذين عمت شهرتهم في ذلك العصر أصبح بن الفرج بن سعيد ابن نافع الأموي ، تفقه على يد كل من شيوخه عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وكان أجل أصحابه ، حتى صار يعرف فقه مالك بن أنس مسألة مسألة ، ويقسم بتدريسه في حلقاته بالمسجد الجامع . وقد أخذ عنه وتلقى منه كل من المزني والربيع وذلك قبل مقدم الإمام الشافعي إلى مصر وملازمته في حلقاته (١٣٨) .

قام أصبح الفقيه المالكي بتأليف العديد من كتب الفقه والمسائل ، مما يدل على تفوقه ومكانته العلمية بين أقرانه من شيوخ المالكية حينذاك .

وقد أشاد بعلمه وأثنى عليه ابن اللباد ، أحد تلاميذ حلقاته فهو يقول عنه : « ما انفتح إلى طريق الفقه إلا من أصول أصبح » ونقل السيوطي عنه أنه كان من أعلم خلق الله كلهم برأى مالك ومذهبه في عصره (١٣٩) .

ومن الفقهاء الذين سطع نجمهم أيضا في سماء الفسطاط الحارث بن مسكين بن محمد ابن يوسف ، كان يعتز بمذهب مالك (١٤٠) ، ويرى نشره على سائر المذاهب الأخرى ، قيل

انه لما أسند له الخليفة المتوكل وظيفه القضاء ، امر باخراج أصحاب أبي حنيفة وأصحاب الشافعي من المسجد الجامع ، كما امر بنزع حصرهم وإبطال حلقتهم (١٤١) .

وعندما حكم الحارث في قضية دار الفيل ، وكانت دارا لأبي عثمان مولى مسلمة ابن مخلد الأنصاري ، بفسخ حكم القاضي ابن أبي الليث فيها وإخراج بنى السائح منها ، رفع الأمر الى المتوكل حينذاك ، فأمر بإحضار الفقهاء في بغداد للنظر في هذه القضية ، وكانوا على مذهب الكوفيين أي مذهب الامام أبي حنيفة النعمان ، فنظروا حكم الحارث فخطأوه (١٤٢) .

فلما بلغ الحارث ما جرى طلب اعفائه من ولاية القضاء فأعفى منها ، وما كان ذلك الا تمسكا بمذهبه المالكي .

وقد ألف الحارث بن مسكين العديد من الكتب الفقهية والحديث ، كما روى عنه من أصحاب كتب السنن أبو داود والنسائي من أعلام المحدثين في عصره . ومما لا شك فيه أن حلقاته كانت عامرة بطلاب العلم من مصر وخارجها (١٤٣) .

ونختتم حديثنا عن الفقهاء المالكية بمصر في عصر الولاة بالفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخذ مذهب مالك عن ابن وهب وأشهب بن عبد العزيز (١٤٤) ، فلما قدم الشافعي صحبه وتفقه به ، كما كان يقربه ويقبل عليه ، وكان الشافعي يقول عنه : « ما يقيمنى بمصر غيره » .

وكما أشرنا من قبل فقد ظن الناس في الفسطاط إنه يفوض أمر حلقاته اليه بعد وفاته ، لكن الشافعي لما قيل له في علته التي مات فيها : الى من يجلس بعدك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئذ اليه ، فقال الشافعي : سبحان الله : أيشك في هذا ؟ أبو يعقوب البويطي (١٤٥) .

فلما تولى الشافعي سنة ٢٠٤ هـ انقلب محمد بن عبد الله عن مذهبه ورجع الى مذهب أبيه عبد الله بن عبد الحكم المالكي ، ثم لم يلبث أن آلت اليه الرياسة لمذهب مالك بمصر ، وذكر ابن يونس أنه كان المفتي في أيامه وكان جلة العلماء الفقهاء ، ومن أهل النظر والمناظرة والفحجة ، واليه كانت الرحلة من بلاد المغرب والأندلس في العلم والفقه (١٤٦) .

الفقيه والقاضى يومئذ عن هذا الانقسام وذلك عندما كان يصيح بالشافعى فى جامع عمرو
والشافعى يسمع قائلا له : « دخلت هذه البلدة وأمرنا واحد ورأينا ففرقت بيننا » (١٥٤).

وهكذا أحدث الشافعى نشاطا كبيرا بأسانيده القوية وحججه الفائقة ، بعد أن خالط
علماء مصر وسمع ما عندهم من حديث وفقه فى حلقاته (١٥٥) التى كانت تضم نخبة من
تلاميذه النابغين الذين سرعان ما أصبحوا من مشاهير الفقهاء والأئمة المجتهدين مثل
البويطى والمزنى ويحيى بن نصر البخولانى وغيرهم من الفقهاء الشافعية فى مصر فى عصر
السلالة .

كان من أهم الكتب التى وضعها فى مصر كتاب « الأم » وكان يسمى هذا الكتاب
« المبسوط فى الفقه » (١٥٦) وهو فى الواقع عدة كتب ألفها فى مدة قصيرة ، ورواها عنه
تلميذه الربيع بن سليمان المرادى ، وقد عبر فيها عن مذهبه الجديد الذى اشتهر به
بمعنى ذلك (١٥٧) .

كما صنف الشافعى من الكتب « الأمالى الكبرى والاملاء الصغير ومختصر البويطى
ومختصر المزنى ومختصر الربيع والرسالة والسنن » وهى فى الواقع مختصرات أملاها على
تلاميذه فى حلقاته أو زاويته بالمسجد الجامع كما يظهر من أسمائها . وقد نقل السيوطى
عن ابن زولاق المؤرخ أن الشافعى ألف نحو من مائتى جزء ، ولم يزل بمصر ناشرا للعلم
ملازما للدرس بجامع عمرو حتى وفاته سنة ٢٠٤ هـ (١٥٨) ، وقد رثاه تلميذه
المزنى وآخرين (١٥٩) .

ومن أشهر تلاميذ الشافعى أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى (١٦٠) ، فهو أكبر
أصحاب الشافعى المصريين ، وخليفته فى حلقاته من بعده ، وذلك وفقا لما أوصى به ، فقد
قيل انه لما حضرت الشافعى الوفاة قالوا له : من يخلقك فى مجلسك ، فقال الشافعى :
ليس أحد أحق بمجلسى من أبى يعقوب وليس أحد من أصحابى أعلم منه (١٦١) .

صنف البويطى من كتب الفقه كتاب المختصر وكتاب المختصر الصغير وكتاب
الفرائض ، كما روى عنه كل من الربيع بن سليمان الجيزى ، وأبى اسماعيل الترمذى .
وكان الشافعى يعتمد فى الفتيا ، ويحيل عليه اذا جاءت مسألة وذلك قبل وفاته (١٦٢) .

وقد حظى البويطى امام الشافعية يومئذ بمنزلة سامية لدى أمير البلاد عبد الله

ابن طاهر (٢١١ - ٢١٣ هـ) ويحضر مجلسه الذى كان يحفل بالفقهاء واهل العلم والأدب، يذكر الكندى أنه كان يأخذ برأيه فى اختيار من يراه مناسبا لتولى القضاء ، كما كان يفعل الولاة ، يستشيرون عبد الله بن عبد الحكم رئيس طائفة المالكية وغيره من الأئمة المصريين حينذاك (١٦٣) .

كان أهم ما يشغله هو الحرص على العلم والعناية بطلاب حلقاته ، فمن ذلك انه حينما تم حمله الى بغداد أيام المحنة - والقول بخلق القرآن - كان يرسل من سجنه الى الربيع الجيزى يوصيه بأهل حلقاته (١٦٤) .

ومن تلاميذ الشافعى بمصر المزنى (١٦٥) وهو أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى ابن اسماعيل عاش تلك الفترة التى نشطت فيها حلقات العلم والدرس فى جامع عمرو ابن العاص وذلك لكثرة العلماء والفقهاء والأئمة ، ولما صنفوه من التصانيف الكثيرة فى الحديث والفقه .

وقد شارك المزنى بنصيب فى هذا النشاط العلمى فألف بعض الكتب التى أملاها على تلاميذه ، نذكر منها كتابه المبسوط المختصر وكتابه المنشور فى المسائل المقيدة وكلها فى مجال الفقه ، وكتاب فى الترغيب فى العلم ، وكتاب الوثائق والعقارب ، وسمى بذلك نظرا لصعوبته ، كما صنف كتابا مفردا على مذهبه ، لا على مذهب الشافعى ، أضاف فيه من آرائه الجديدة ، وقد خص ابن النديم بالذكر كتاب المختصر الصغير الذى وضعه المزنى فقال عنه : كان منتشرا بين الناس ، وعليه يعول أصحاب الشافعى وله يقرأون واياه يشرحون (١٦٦) وهكذا شغل الفقيه المزنى بتصانيفه وكتبه التى كان عليها كفايته من أصحاب الحلق بالمسجد الجامع فى ذلك العصر . ولما توفى سنة ٢٦٤ هـ ، صلى عليه الربيع ابن سليمان المؤذن صاحب الشافعى وتلميذه الشهير ، كما دفن قريبا من قبر أستاذه وشيخه الامام الشافعى (١٦٧) .

ونذكر من هؤلاء الفقهاء الشافعية بمصر يحيى بن نصر الخولانى نسبة الى قبيلة خولان اليمنية ، التى اختطت بالفسطاط فى أعقاب الفتح الاسلامى للديار المصرية (١٦٨) .

ويعد يحيى من تلاميذ الشافعى المشهورين فى عصره ، روى عن شيخه كتاب الشافعى فى الرد على ابن علىة احد فقهاء العراق ، كما قام بتدريس كتبه الأخرى فى حلقاته بالمسجد

الجامع (١٦٩) .. والظاهر أنه كان شافئاً - مخيداً - أيضاً ، فقد أشار الكندي إليه في غدة قضائيه يهجو فيها القاضي العمري (١٨٥ - ١٩٤ هـ) وذلك حينما اتخذ له شهوداً من أهل المدينة من موالي قرينين والأنصار نحو من مائة يشهدون في مجلس حكمه .

كما ظل يهجو هذا القاضي في قضية أهل الحرس الذين أرادوا الانتساب إلى بنى حوتكه بالحواف الشرقي من الغرب ، حتى تم عزله عن القضاء سنة ١٩٤ هـ في عهد الخليفة العباسي الأمين (١٧٠) .

ومن أصحاب الإمام الشافعي أثناء فترة إقامته بمصر الفقيه حرملة بن يحيى المصري ، فقد كان صاحباً لشيخه في الفقه ، روى عنه من الكتب ما لم يروه الربيع ابن سليمان المرادي نذكر منها كتاب الشروط وكتاب السنن وكتاب ألوان الأبل والغنم وصفاتها وأسنانها ، ومنها كتاب النكاح وكتب أخرى كثيرة انفرد بروايتها عن زمينته ومعاصره الربيع المرادي المؤذن (١٧١) .

وقد صنف حرملة بن يحيى من الكتب « المبسوط والمختصر » في الفقه وظل مشغولاً بالعلم والدرس حتى توفي سنة ٢٤٣ هـ (١٧٢) .

ومن تلاميذ الإمام الشافعي الربيع بن سليمان بن داود الجيزي ، روى الحديث وبعض المسائل في الفقه عن الشافعي في زاويته بالمسجد الجامع ، والفقيه أبو علي عبد العزيز بن عمران ، وكان من أكابر الفقهاء المالكيين ، فلما قدم الشافعي مصر لزمه وتفقه على مذهبه وصار من فقهاء الشافعية (١٧٣) .

أما أشهر تلاميذ الشافعي وأكثرهم له صحبة ورواية على الإطلاق فهو الربيع ابن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي ، صاحب الإمام ، ويبدو أنه اتصل به قبل قدومه مصر ، وقد ذاع صيته لما أملاه عليه شيخه الإمام الشافعي من الكتب وأهمها كتاب « الأم » كما إشرنا من قبل ، وكان المؤذن لجامع عمرو (١٧٤) كما ذكر ابن النديم وشيخه من الكتاب والمؤرخين .

روى عنه أصحاب السنن الأربعة والطحاوي وأبو زرعة وغيرهم في حلقته ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف ، وأبو عبد الله محمد بن حمدان ،

والأصم النيسابورى وعبد الله بن أبى سفيان الموصلى وغيرهم (١٧٥) وهكذا كانت الرحلة اليه من خارج البلاد ومن بلاد المشرق الاسلامى .

ويبدو من ترجمته أنه عمر طويلا ، فقد عاصر أحمد بن طولون وبنائه لجامعه الشهير ، فكان أول من ألقى الحديث به كما يذكر السيوطى أن ابن طولون وصله بجائزة سنوية ، وكانت وفاته بمصر سنة ٢٧٠ هـ (١٧٦) .

وهكذا انتشرت بمصر المذاهب الفقهية ، ولا سيما مذهب مالك والشافعى (١٧٧) ، وكانت حلقات كل من الشافعية والمالكية خير وسيلة لنشر هذين المذهبين فى سائر أنحاء مصر فى عصر الولاة ، وإن كان المصريون قد عرفوا المذهب الحنفى إلا أن عدد من تفقه به من أهل مصر كان محدودا ، أما المذهب الفقهى الرابع لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) (١٧٨) ، فهو لم يخرج من العراق إلا فى القرن الرابع الهجرى حينما أصبحت مصر مقرا للخلافة الفاطمية ومذهبها الشيعى المعروف (١٧٩)

وقد ظلت حلقات الفقه المالكى والشافعى تعقد فى جامع عمرو وكانت من الكثرة وازدحام أهلها حتى أنهم كانوا يؤثرون على إقامة الصلوات فيه ، مما جعل صاحب الشرطة ازجور التركى الذى تولى إمارة مصر يأمر أهل الحلق هؤلاء بتحويل وجوههم الى القبلة قبل إقامة الصلاة ، كما منع من المساند التى يستند اليها والحصر التى يجعلها الناس لمجالسهم فى المسجد الجامع حتى يخفف من حدة الزحام ويسود النظام بين أروقتهم وذلك فيما عرف بمتجددات ازجور التى أحدثها سنة ٢٥٣ هـ (١٨٠) .



ثالثا : خلق القراءات في المسجد الجامع

نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين في مدة تزيد على العشرين عاما وكان على الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من المسلمين حفظ كلام الله بما دونه كت الوحي حيث كان هؤلاء الكتاب يكتبون السور والآيات على المواد المتوفرة مثل العسيب واللخاف (١٨٢) والرقاع (١٨٣) والقراطيس (١٨٤) وقطع الأديم (١٨٥) والأقتاب (١٨٦) .

ومن المعروف أن الجمع الأول للقرآن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كان في أبى بكر الصديق ، حيث تم تدوين ما حفظ في صدور الرجال وما تم تدوينه بمعد كتاب الوحي . وقد عهد الصديق الى زيد بن ثابت كاتب الوحي بذلك (١٨٧) . اما القرآن النهائى فقد تم في عهد الخليفة عثمان بن عفان (١٨٨) .

ومن المعروف أيضا أن جيش عمرو الفاتح قد ضم عددا كبيرا من هؤلاء الصب وغيرهم من الحفاظ والقراء لكلام الله العزيز . . وقد نزلوا بالفسطاط واختلطوا بها والمنازل (١٨٩) . وكان جل اهتمامهم آنذاك هو نسخ المصاحف وحفظها : بحيث الصحابي لا يخرج من داره صباحا الا وقد نظر في المصحف الشريف (١٩٠) .

وقد حث الاسلام المسلمين على تعلم القرآن وتعليمه للناس (١٩١) ، كما كان الحا عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنهم أجازوا الحصول على الأجر في سبيل كـتاب الله العزيز .

وهكذا شجع الخلفاء الراشدون والولاة في الأمصار . حيث أقبل هؤلاء على الة يتفهمونه ، والحديث يجمعونه ويشرحونه وذلك لأنهم آمنوا بأن الاسلام هو عزه الدنيا ورجاؤهم في الآخرة (١٩٢) .

وكما يذكر ابن عبد الحكم فان عمر بن الخطاب خطب في الناس فأوصاهم بالة وقراءته على الناس ، وأن يكونوا أشد الاخلاص في ذلك ، ألا يريدون به الدنيا ، وا خطبته هذه قائلا لهم : « ألا فاريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقراءتكم » (١٩٣) . كما نة ابن عبد الحكم أيضا عن الرواة أن عمرو بن العاص أمير الديار المصرية في أعقاب الفتح شديد الاهتمام بأمر القرآن وما تضمنه من نصوص واحكام ، يتضح ذلك فيما نة

الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمر أن صبيفاً عراقياً جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبحث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب في المدينة (١٦٤) .

وحينما عرض الأمر على أمير المؤمنين عاقبه على ذلك وكتب الى أبي موسى الأشعري عامله على البصرة ألا يجالس أحد من المسلمين ، ثم عفا عنه وكتب اليه بأن يأذن للناس في مجالسته والأخذ عنه (١٦٥) .

ولعل السبب في ظهور القراءات المختلفة للقرآن لم يكن راجعاً الى اختلاف لهجات العرب أو فيما دب من خلاف بين جند الشام وبين أهل العراق ، وإنما كان مرجعه الى طبيعة الخط العربى يومئذ ، فالكلمة الواحدة في رسمها قد تقرأ بأشكال مختلفة وذلك تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربى قد يجعل للكلمة حالات مختلفة من حيث موقعها من الاعراب وبالتالي من حيث قراءتها في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الاسلام (١٦٦) .

وهكذا كان منشأ القراءات المتنوعة وقد عبر ابن خلدون عن تلك القراءات واختلافها بقوله (١٦٧) : « وهو متواتر بين الأمة الا أن الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكيفيات الحروف في أدائها » .

وكان من أشهر هؤلاء الصحابة القراء الذين يحفظون كتاب الله ويعلمونه للآخرين ، أبو ذر الغفارى الذى وفد على مصر واختط بها بعد الفتح (١٦٨) ، وعبد الرحمن بن ملجم المرادى (ت ٤٠ هـ) ، وعقبة بن عامر الجهنى .

كان عبد الرحمن بن ملجم المرادى (١٦٩) ممن أخذ القراءة عن الصحابى معاذ ابن جبل ، كما ذكر ابن النديم ، فان ابن جبل كان من الصحابة الأوائل الذين كان لهم السبق في جمع القرآن كله على عهد النبي صلى الله عليه وسلم (٢٠٠) .

وقد وفد ابن ملجم على مصر وأقام بها بتكليف من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لاقراء المصريين القرآن الكريم ، وصارت له حلقة بالمسجد الجامع لتعليم الناس القرآن ، وكما يذكر ابن دقماق (٢٠١) فإنه تسهلاً لمهمته فان أمير المؤمنين كتب الى عمرو بن العاص يأمره بمنزل له بالقرب من المسجد الجامع .

ومن تلاميذ الصحابي الجليل معاذ بن جبل أيضا كان أبو نعيم الجيشاني عبد الله ابن مالك ، فقد قرأ القرآن على معاذ قبل قدومه مصر ، وكان ممن تفتتاد أهل مصر وعلمائهم ، ولا شك أنه جلس في جامع عمرو للاقراء وتعليم المصريين القرآن ، حتى مماته سنة ٧٧ هـ (٢٠٢) .

ومن فقهاء الصحابة وقرائهم الصحابي عقبة بن عامر الجهني ، فقد كان مقرئا فصيحا مفوها ، ومن الذين شهدوا فتح مصر واختطوا بها ، ومن آلت اليه اماره البلاد سنة ٤٤ هـ في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية . وقد كان له مصحف بخط يده على غرار الصحابة الذين جمعوا القرآن من قبل فهو أحد مشاهير الصحابة كما يذكر الكندي وصاحب بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم الشهباء التي يقودها في الأسفار . ومما لا شك فيه أنه كان يعمل على تشجيع القراءات بالمسجد الجامع حيث نال مصحفه عناية المصريين الذين أحبوا صاحبه فقد كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن (٢٠٣) .

كما تشير المصادر الى الصحابي مسلمة بن مخلد الأنصاري الذي شهد فتح مصر واختط بها في المكان الذي عُرف بدار الرمل بالقرب من المسجد الجامع ، كما اختط معه في هذه الدار أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٠٤) ، وكان مسلمة ممن يجيد حفظ القرآن ويقرأ من مصحف عثمان (٢٠٥) ، وثمنا يروى عنه أنه صلى بالناس اماما بالمسجد فقرا بسورة البقرة بجمعها في صلاة الظهر ، فلا غرو أن بلغ إهتمامه بالاقراء والقراءات وحلقها بجامع عمرو لا سيما خلال سنوات إمارته للديار المصرية (٤٧ : - ٦٢ هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد (٢٠٦) .

ومن هؤلاء القراء الذين ذاع صيتهم وأفردت لهم حلقة بجامع عمرو الصحابي عبيد ابن محمد أبو أمية المعافري ، نقل السيوطي أنه شهد فتح مصر (٢٠٧) ، كما نقل المقرئ أنه كان أول من أقرأ القرآن بمصر ، لكنها لم يشيرا الى طريقته في القراءة وعمن أخذ قراءته التي أخذ يعلمها للناس يومئذ بالمسجد الجامع (٢٠٨) .

كما يذكر ابن عبد الحكم الصحابي إياس بن عبد الله القاري بمصر الذي اختط له دارا غربى دار بنى شرحبيل بن حسنة بالقرب من المسجد الجامع ، ولا شك أنه كان قارئاً مشهوراً وربما كانت له حلقة للاقراء أيام الأمويين (٢٠٩) .

وفي عهد الأمير عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٥ هـ) كانت حلقات القراءة عامرة بالمسجد الجامع ، فمن هؤلاء القراء نذكر المتابعي أبا الخير مرثدا البيزني : (٢١٠) ، أخذ القراءة عن الصحابي عقبة بن عامر ، كما أخذ عن عبد الله بن عمرو ، وقد بلغ في علوم القرآن شأوا عظيما في عصره حتى أن الوالي عبد العزيز كان يجلسه للفتيا بالمسجد الجامع ، كما أشرنا من قبل (٢١١) .

كما نذكر كذلك المقرئ عبد الرحمن بن جبير المصري الذي أخذ القراءة عن عقبة وعبد الله بن عمرو أيضا ، وقد كان عبد الرحمن عالما بالفرائض ، ومؤذنا لجامع عمرو ، كما كان عالما بالقراءة (٢١٢) ، وهكذا كانت مشاركته في تعليم القرآن الذي صار أصل التعليم في صدر الاسلام (٢١٣) .

وقد أشار ابن عبد الحكم الى اهتمام أمير مصر عبد العزيز الملقب بأمر المصاحف والقراءة فيها ، لا سيما بعد أن بعث الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العسراق ببعض المصاحف الى مصر ، فقد أمر حينذاك بكتابة المصحف الذي جعله في المسجد الجامع (٢١٤) ، ويبدو من قول المؤرخ الاسلامي المقرئ أنه ظل موجودا به حتى زمانه (٢١٥) . وقد تمت مراجعة هذا المصحف ، ولما فرغ من ذلك كان يحمل الى المسجد غداة كل جمعة من دار الامارة فيقصر فيه ثم يرد الى موضعه (٢١٦) .

ومن أصحاب حلل القراءة بجامع عمرو نذكر القارئ أبا طعمة الأموي مولى عمر ابن عبد العزيز ، قدم مصر من المدينة بعد أن أخذ عن مولاة عمر عندما كان واليا على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك ، كما أخذ عن عبد الله بن عمرو أيضا ، وقد أقام أبو طعمة وحدث أهلها وأصبح ثقة ، وكان ممن أخذ عنه عبد الله بن لهيعة المحدث المصري الشهير (٢١٧) .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز جلس للقراء بجامع عمرو القارئ والفقيه جعثل ابن هاعان بن سعيد الرعي (٢١٨) ، وكان شيخه في القراءة أبو تميم الجيثاني المعروف ، ومما يدل على اهتمام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بأمر القرآن وحلقات القراء في المساجد بالأصناف ، وعلى ما بلغه القارئ جعثل في مجال القراءة أنه أمره بالخروج من مصر الى المغرب لتعليم أهلها القرآن حينذاك (٢١٩) .

كما تشير المصادر التاريخية الى بعض الشخصيات التي كان لها نشاطها في اواخر العصر الأموي في مجال القراءات ، منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج صاحب أبي هريرة حيث كان أحد القراء والعلماء بالعربية وأعلم الناس بأنساب العرب ، تلقى تعليمه بالمسجد الجامع ، ثم خرج الى الإسكندرية ومات بها سنة ١١٧ هـ ، والقارئ بكير بن عبد الله الأشج ، وكان من العلماء الأجلاء ومن القراء المشهورين ، أقام بمصر بعد أن وفد عليها من المدينة وظلّ بالقسطاط حتى مات سنة ١٢٢ هـ (٢٢٠) . وصارت له حلقة بالمسجد الجامع (٢٢١) ، وقد أخذ عنه جماعة من أهل العلم الذين ذاع صيتهم بعد ذلك أمثال يزيد ابن أبي حبيب ، وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وغيرهم من المصريين ، وهو من أوائل الذين رحلوا الى مصر بقراءة نافع وقرأ بها في حلقة (٢٢٢) .

ومن هؤلاء اصحاب الحلق في تلك الفترة أيضا نذكر الامام قباث بن رزين ، فهو لم يكن يؤم الناس في صلاتهم بالمسجد الجامع فحسب على حد قول ابن يونس المؤرخ المصري ، بل كانت له حلقة يقرئ المسلمين فيها القرآن أيضا ، ومن تلاميذه عبد الله ابن لهيعة وغيره من كبار المحدثين والقراء وأصحاب علوم القرآن في عصر الولاة .

ظهور قراءة نافع وتلاميذه بمصر في عصر الولاة العباسيين :

كان من أوائل المصريين الذين رحلوا الى المدينة طلبا للعلم الليث بن سعد ، حيث وجد يومئذ امام الناس في القراءة بها نافعا فأخذ القرآن عرضا عليه ، وبعد أن استمع الى مالك وغيره رحل الى العراق ثم عاد الى مصر ، وجلس في المسجد الجامع وتحلق الناس من حوله فكانوا يسألونه عن خصائص قراءة نافع ، وما تميزت به عن غيرها من القراءات فيجيبهم الى ذلك (٢٢٣) .

كان الليث يدرك قيمة قراءة نافع الذي انتهت اليه رئاسة الاقراء بالمدينة ذلك لأن نافعا أخذ قراءته عن التابعين من أهل المدينة الذين تلقوها عن الصحابة الذين شهدوا العرضة الأخيرة التي لحق بعدها الرسول بالرفيق الأعلى ، وهكذا كان يرى أن قراءة أهل المدينة أثبت القراءات وأدقها أداء لاتصال سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم (٢٢٤) . هذا ولم يكن ذلك تعصبا من الليث لالتقائه مع نافع في النسبة الى أصبهان (٢٢٥) .

والواقع أن الليث بن سعد مفتي مصر في ذلك الوقت لم يكن هو أول من تعلم قراءة

نافع وعلمها لأهل مصر ، بل سبقه الى ذلك القارىء عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي (٢٢٦) ، حيث كان أول من أقرأ بمصر بحرف نافع قبل سنة ١٥٠ هـ ، ولا شك انه كان صاحب حلقة بالمسجد الجامع لتعليم المصريين قراءة القرآن على طريقة شيخه نافع صاحب أحد القراءات السبع المعروفة وكانت وفاته سنة ١٨٨ هـ (٢٢٧) .

ومن أئمة القراءات بالفسطاط كان سقلاب بن شنينه أبو سعيد المصرى ، قرأ على نافع ، وكانت له حلقة يقرئ الناس بها وقد عاصر القارىء الشهير عثمان بن سعيد الشهير بورش ، وأخذ عنه يونس بن عبد الأعلى ، ويعقوب بن الأزرق ، وظل يعلم المصريين قراءة نافع حتى مات سنة ١٩١ هـ (٢٢٨) .

ومن هؤلاء القراء الذين أخذوا عن نافع امام المدينة في القراءة آنذاك القارىء على ابن دحية بن قيس (٢٢٩) ، فقد رحل الى المدينة وتعلم قراءة نافع التى تفرد بها ، ومن الطريف أن دحية فوجئ أن شيخه يقرئ الناس بجميع القراءات ، وكان يعتقد أنه يقتصر في القراءة على حرفه (٢٣٠) ، وهذه الرواية تدل أوضح دلالة — ان صحت — على تمكن قارىء المدينة نافع في القراءات السبع التى صارت أصولا للقراءة عند الأئمة القراء ، وبعد عودته الى مصر أصبحت له حلقة للاقراء بجامع عمرو . وقد قرأ عليه بها كل من يونس بن عبد الأعلى ، وعبد القوى بن كمونة ، وأبو مسعود المدني (٢٣١) ، وهكذا انتشرت قراءة نافع بين المصريين في ذلك الوقت .

ظهور قراءة ورش المصبرى :

كان عثمان بن سعيد المعروف بورش من الموالى المصريين الذين أسلموا فهو مولى آل الزبير بن العوام (٢٣٢) ونبغ في قراءة القرآن بعد أن رحل الى المدينة وأخذ عن نافع طريقته في القراءة وهو الذى لقبه بورش لشدة بياضه ، ثم لم يلبث أن عاد الى مصر واشتغل بالاقراء في جامع عمرو ، وقد ذاعت شهرته حيث انتهت اليه رئاسة الاقراء يومئذ (٢٣٣) فقد استطاع نتيجة لتعمقه في الدراسات النحوية واللغوية ، أن يختار له طريقة تختلف عن القراءة التى تلقاها عن شيخه نافع ، وذلك من حيث مخالفته في بعض الأصول العامة للأداء وفي قراءة بعض الحروف المنتشرة في القرآن ، وهكذا تمكن ورش من أن يخرج بقراءة ذات طابع خاص يميزها عن غيرها من القراءات وأصبح امام القراءة المنسوبة اليه ، وقد توفي سنة ١٩٧ هـ (٢٣٤) .

ومن الملاحظ ان غالبية القراء بمصر كانوا يقرأون على طريقة نافع حتى ظهرت قراءة ورش التي كان لها صدها بين المصريين آنذاك، وكان من أشهر تلاميذه بمصر ، أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمر بن يسار المدني ، فقد لازم ورشا في حلقته بالمسجد الجامع مدة طويلة وأتقن عنه الأداء ، يقول السيوطي (٢٣٥) وخلفه في الاقراء بالديار المصرية ، وانفرد عنه بتقليظ اللامات وترقيق الراءات ، وظل في حلقته يعلم الناس حتى كانت وفاته في عهد والي عنبسة بن اسحق سنة (٢٣٨ - ٢٤٢ هـ) آخر الحكام من العنصر العربي الذين تولوا اماره مصر من قبل الخلافة العباسية (٢٣٦) .

ومن الأئمة الأعلام عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم أبو الأزهر المصري ، وكان كوالده شهيرا في القراءة ، حدث عن أبيه عبد الرحمن بن القاسم الفقيه المالكي المشهور الذي سبقت الاشارة اليه ، كما حدث عن عبد الله بن وهب المحدث والفقيه المشهور أيضا ، تتلمذ عبد الصمد وقرأ القرآن على ورش ، وصارت له حلقة للاقراء فيها على طريقة شيخه .

وكان أبو الأزهر لا يجيد فقط قراءة ورش ، بل انه استطاع ان يجيد قسرا حمزة الكوفي كاجادته قراءة نافع ، فقد التقى مع علي بن يزيد بن كيسه الذي وفد على مصر وأقام بها ، وكان يجيد قراءة حمزة أحد القراء السبعة الذين ذاع صيتهم في ذلك العصر (٢٣٧) .

وقد تمكن أبو الأزهر من جمع هاتين القراءتين في كتاب واحد بلغ من جودته ان حرص علي سماعه في حلقته تلميذاه من الأندلس وهما ابن بازى ، وابن وضاح اللذان وفدا على مصر وأخذوا عنه كما أخذوا عن غيره من الفقهاء والمحدثين المصريين (٢٣٨) وهكذا ظل أبو الأزهر علما من أعلام القراء بمصر حتى وفاته سنة ٢٣١ هـ .

كانت القراءات وحلقها بالمسجد الجامع وغيره من المساجد موضع اهتمام الولاة والقضاة خلال عصر الولاة ، كما كان وقف المصاحف على المساجد تقربا الى الله ومصدرا هاما من مصادر حصول جامع عمرو على حاجاته المتزايدة من المصاحف ، ومما يدل على ذلك ما قام به الفقيه المعروف الحارث بن مسكين الذي تولى القضاء ، حيث منع القراء الذين كانوا يقرأون القرآن بالألحان (٢٣٩) ، كما كشف امر المصاحف التي بالمسجد الجامع وولى عليها أمينا من قبله (٢٤٠) .

ومن حضر إلى مصر من الكوفة من هؤلاء القراء في ذلك الوقت أبو سفيان بن يحيى ابن سليمان الخثعمي المقرئ الحافظ ، لكن ما نقله السنيوطي عنه لا يدل على أنه كان يقرئ الناس بقراءة ورش ، ولعله كان يقرأ على خروفت أهل الكوفة بالعراق وهم عاصم وحزمة والكسائي من أصحاب القراءات السبع المشهورة في ذلك العصر (٢٤١) .

وكان قد سبقه إلى مصر أبو الحسن علي بن يزيد بن كيسان ، وأخذ عنه نفر من تلاميذ ورش ، حيث عرض عليه داود بن أبي طيبة (ت ٢٢٣ هـ) وروى عنه حرف حمزة أحد الحروف السبع التي اشتهرت حينذاك .

وكان داود من أشهر القراء آنذاك ، فقد قرأ على ورش وأصبح من جلة أصحابه ، وقد اشتغل مع الزاهد أبي الأسود النضر بن عبد الجبار المرادي في الكتابة لعيسى ابن المنكدر قاضي مصر (٢١٢ - ٢١٤ هـ) كما كان صاحب حلقة بالمسجد الجامع ، حيث أخذ عنه القراءة كثيرون منهم مواس بن سهل ، وابنه عبد الرحمن داود (٢٢٢) ولعل داود كان أول من قام في مصر بتأليف كتاب في علم القراءة ، فقد صنف كتاب اللامات (٢٤٤) ، ولا شك أن القارئ داود اتبع فيه مذهب شيخه ورش وطريقته في القراءة .

ومن الجدير بالذكر أنه حتى أوائل القرن الثالث الهجري لم تكن هناك تصانيف في القراءات أو في علم التفسير ، وذلك على الرغم من كثرة عدد القراء في الأمصار واختلاف القراءات ، جعلها بعضهم سبع قراءات ، وأصبح يعرف أصحابها بأصحاب القراءات ، وهي لنافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبي عمر من البصرة ، وعاصم (ت ١٢٧ هـ) وحزمة (ت ١٥٦ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ) من الكوفة ، واعتبر نافع أهمهم بسبب أن مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي كان يقرأ على نافع ، الذي قرأ عليه معظم القراء المصريين حتى عثمان بن سعيد صاحب قراءة ورش التي شاع ذكرها في ذلك الوقت بين المصريين (٢٤٥) .

ومن هؤلاء القراء الذين أسهموا في نشاط الحركة العلمية في أواخر عصر الولاة والتي اصطبغت بالصبغة الدينية ، القارئ والفقيه أحمد بن صالح المصري ، فقد كان إماما في القراءات والفقه والنحو وأحد الحفاظ البارزين (٢٤٦) .

قرأ ابن صالح على ورش وغيره ، كما أخذ القراءة عن غيرهما من مشاهير القراء من

تلاميذ نافع المدني ، وهكذا استطاع جميع شتى اتجاهات مدرسة المدينة في القراءة ، ولا شك أن حلقة كانت عامرة لعلمه الغزير ، حيث أفرد لطلاب حلقة بالمسجد الجامع للتعليم والدرس علوم الفقه والنحو والقراءات التي برز فيها ، كما كان عليه حال خلق الأئمة السابقين (٢٩٧) .

ومن مشايخ القراء الذين خلد التاريخ ذكرهم في مجال القراءات سليمان بن داود ابن حماد الرشديني ، قرأ على ورش ، كما روى عن أئمة الفقه والحديث كابن وهب وأشهب من الذين سبقت الإشارة إليهم من قبل ، كان سليمان من أجلة القراء وعبادهم (٢٩٨) ، وكانت حلقة في القراءات من أهم خلق المسجد الجامع في عصره ، حيث تتلمذ عليه كثير من القراء ، وما يدل على تفوقه في هذا المجال أنه جمع كتابا وصفه في « الحروف » وبما اشتمل الحديث فيه على القراءات السبع ، وقد سمعه منه تلميذه محمد بن حماد بن ماهان البغدادي ، وكانت وفاته بمصر سنة ٢٥٣ هـ (٢٩٩) .

كما نذكر من مشاهير الأئمة القراء يونس بن عبد الأعلى ، قرأ على ورش ، كما تفقه على الشافعي ، وقد تصدر للأقراء والفقه في جامع عمرو (٣٠٠) ، حيث خصص حلقة لكل من طلاب الفقه والحديث والقراءات ، وهكذا ظل مشغولا بتدريس علوم الاسلام حتى صار ابن عبد الأعلى أحد أقطاب مدرسة عصر الدينية التي شاع ذكرها في العالم الاسلامي في ذلك العصر (٣٠١) .



هوامش الفصل الثاني

- (١) الكشاني : نظام الحكومة النبوية ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
- (٢) ذكر الامام البخاري في صحيحه في باب التناوب في العلم قول عمر بن الخطاب « كنت انا وجار لي من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت يوما حدثته بخبر ذلك اليوم من الوحي ، واذا نزل فعل مثل ذلك » . صحيح البخاري ، الجزء الأول ، طبعة دار الشعب ، ص ٣٣ .
- (٣) ورد في الأثر أن الرسول عليه الصلاة والسلام امر أصحابه يوما عند صلاة العشاء فقال . احتشدوا للصلاة غدا فان لي اليكم حاجة فقال رفقة منهم دونك اول كلمة يتكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت التي تليها وأنت التي تليها لثلا يفوتكم شيء من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . نفس المرجع ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
- (٤) اقترن لفظ العلم بالحديث الشريف منذ عهد النبي وظل حفاظ الحديث يطلقون عليه هذا اللفظ فكانوا يسمون العلماء : واستمر هؤلاء يتناقلون الحديث حفظا عن طريق الاسناد أو أن يكتبوه ، وخير دليل على ذلك ما أوضحه الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في كتابه تقييد العلم وما دونه من الروايات الخاصة بعدم قيام الصحابة بتدوين الحديث مخافة الانشغال بغير القرآن .
- (٥) احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٨ .
- (٦) روى ابن منبه أنه سمع أبا هريرة الصحابي يقول : « لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا مني الا عبد الله بن عمرو ، فانه كتب ولم اكتب » . الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ص ٨٢ .
- (٧) ذكر الطبري وغيره من المؤرخين أن عبد الله بن عمرو كان يقرأ السريانية ، وكتب دانيال بمصر بعد اقامته بها في داره الواقعة الى جوار دار أبيه عمرو وهي دار الامارة أو الدار الكبرى .
- فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٩ ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٧٧ .
- (٨) ومما يدل على ذلك أنه أشار على أبيه بعدم الخوض في الخلاف بين معاوية وعلى ابن أبي طالب : يذكر الطبري أنه عندما استشاره أبو عمرو في ذلك رد عليه قائلا :

- « توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ، أرى أن تكف يدك وتجلس في بيتك حتى يجتمع الناس على امام فتبايعه » . تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٥٦ .
- (٩) الخطيب البغدادي : المصدر السابق ، ص ٨٢ ، ستيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٢٢ .
- (١٠) الخطيب ، ج ٣ ، ص ٥٩ .
- (١١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩ ، ٢٦١ - ٢٦٤ .
- (١٢) الولاة والقضاة ، ص ٣١٣ .
- (١٣) الخطيب ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .
- (١٤) قال أبو سعيد بن يونس : يعني بقوله الخولة والرباب مركبتين كبيرين من سفن الجسر ما بين الفسطاط وجزيرة الروضة ، تجوز من تحتها لكبرهما المراكب . المقرئزي : الخطيب ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .
- (١٥) صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٢٩ .
- (١٦) نقل السيوطي نص هذا الحديث عن ابن الربيع الجيزي ، ويدل ذلك على مدى حرص الصحابة آنذاك في التحري عن صحة الأحاديث ، فقد قدم الصحابي جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر لملاقة صحابي يعرف أنه لم يبق أحد من الصحابة يحدث به سواء . حسن المحاضرة : ج ١ ، ص ١٨١ - ١٨٢ .
- (١٧) نفس المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨١ .
- (١٨) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤٠ ، ١٥٩ - ١٦٠ .
- (١٩) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٤٣ .
- (٢٠) كان المحدث يلقب في فجر الاسلام بأمير المؤمنين ، فقد ورد في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم ارحم خلفائي : قلنا من خلفائك يا رسول الله ؟ » قال : الذين يروون أحاديثي ويعلمونها الناس . الكشي : نظام الحكومة النبوية ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .
- (٢١) يذكر الكندي عددا كبيرا من هؤلاء الولاة المصريين الذين جمعوا في ولايتهم بين الصلاة والحرب ، وأيضا الخراج وذلك في كتابه الشهير « الولاة والقضاة » .

- (٢٢) الكندي : الولاة ، ص ٢٠١ - ٢٠٠ .
Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, p. 40.
- (٢٣) ذكر الكندي على سبيل المثال أن عنبسة كان حسن السيرة فقد رد المظالم وانصف الناس وأظهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح الى المسجد ماشيا من العسكر . الولاة ، ص ٢٠٠ .
- (٢٤) هل : الحضارة العربية ، ص ٧٠ ، ترجمة ابراهيم العلوى .
- (٢٥) في صحيح البخارى فى باب كيف يقبض العلم : « وكتب عمر بن عبد العزيز الى بكر بن حزم أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبی صلى الله عليه وسلم ولتجلسوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » صحيح البخارى ج ١ ، ص ٣٦ ، الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ص ١٠٦ .
- (٢٦) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٦٨ .
- (٢٧) درس فى المدينة وتنقل بين الحجاز ودمشق واتصل بالخلفاء الأمويين ، واشتهر بسعة معارفه ، وكان قوى الذاكرة شغوفًا بجمع الأخبار وكان يقول : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ولا بذله بذلى ، وكان الزهرى ربما كتب الحديث فى ظهر نعله مخافة أن يفوته .
- الخطيب البغدادي : تقييد العلم ، ص ١٠٧ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٨ - ٢٩ .
- (٢٨) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٨ .
- (٢٩) ابن ظهيرة : محاسن مصر والقاهرة ، ص ٩٨ حاشية .
- (٣٠) فى سنة ٣١ هـ غزا عبد الله بن سعد بن أبى سرح بلاد النوبة وبلغ دنقلة ، وأبرم معاهدة مع ملك بلاد النوبة ورجع جيشه ومعه عدد من الجنود الأسرى ، ومن بينهم محارب نوبى من دنقلة ، فلما بلغ الفسطاط اعتنق الاسلام وسماه مولاه سويد وكناه بأبى حبيب ، وزوجه من مولاة تنتمى الى قبيلة تجيب اليمنية وكانت لهم خطة بالفسطاط تعرف باسمهم . وأنجب سويد طفلا سماه يزيد فوهبه مولاه لأسرة من الأزد كانت تعيش فى الفسطاط أيضا . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧١ ، الكندي : الولاة ،

ص ١٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٩ ،
عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٥٦ .

(٣١) السولة والقضاة ، ص ١٣ .

(٣٢) المقرئى : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣٣) وذلك لأنه كان يدور بالعاصمة كلها وله خريطة معلقة في عنقه ، وكلما قدم قوم من
العرب بخططهم يدور عليهم ، فاذا رأى شيخا سأل من لقيت وعمن كتبت ثم يدون ذلك في
خريطته . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة .

(٣٥) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٥ .

(٣٦) الكندى : السولة والقضاة ، ص ٣٧٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة في أخبار
مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٣٧) ويوجد الآن في معرض دار الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، وقد نشره
وعلق عليه David Wiell ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .

عبد العزيز الدالى : البرديات العربية ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٣٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٣٩) نفس المصدر ، ص ٣٠١ .

(٤٠) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ١٧٤ .

(٤١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(٤٢) المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ .

(٤٣) نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٤٤) المعارف ، ص ٢٩٢ .

(٤٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٤٦) صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٣٨ في باب اثم من كذب على النبى .

(٤٨) الكندى : السولة ، ص ١٥٤ .

Lane - Poole : A History of Egypt, p. 31.

(٤٩) المقدمة ، ص ٣٨٩ .

(٥٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٥٦ ، عصام الدين عبد الرؤوف :
الحواضر الإسلامية الكبرى ، ص ٢٥٦ .

(٥١) رفع الأصغر عن قضاة مصر ، ص ٢١ .

(٥٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .

(٥٣) هل : الحضارة العربية ، ص ٧٠ .

(٥٤) ولد أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بمدينة بخارى ، واتجه الى حفظ القرآن الكريم وحفظ الحديث الشريف ، اعتمد على العناية بالسند والمتن وقد شهد له عالم السنة الامام الترمذي صاحب السنن ، قال عنه : لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل . البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٥٥) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٥٦) أحمد عمر هاشم : السنة النبوية وعلومها ، ص ١٥٢ .

(٥٧) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٥٨) اشتهر الامام مسلم بقوة حفظه وسعة أفقه ، فكان كثير من الأئمة يشنون عليه ويقدمونه على مشايخ عصرهم في معرفة الصحيح من الحديث ، وقد نهج مسلم نهج البخارى في تدوين صحيحه ، وكانت وفاته سنة ٢٦١ هـ ، أحمد عمر هاشم : السنة النبوية وعلومها ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(٥٩) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

(٦٠) من قبيلة مراد اليمنية التي اختطت بالفسطاط زمن الفتح العربى ، وعاش أفرادها حتى أواخر القرن الثالث الهجرى ، كما تدل على ذلك شواهد القبور التي عثر عليها بمصر . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ ،
G. Wiet : Repertoire, Chronologique, Tome 11, p. 144, p. 237.

(٦١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨٨ .

(٦٢) سيده كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(٦٣) نسبة الى قبيلة حضرموت اليمنية الشهيرة التي كان منها القواد والقضاة واصحاب الشرطة وغيرهم من اصحاب المناصب الهامة بمصر ، وظل الحضرميون يتمتعون بمكانة مرموقة حتى القرن الثالث الهجرى . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ ، الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ .
M. Hassan Hawary et H. Rached, Steles Funeraires, tome 1, pp. 39 — 40, p. 102.

(٦٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٨ .

(٦٥) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(٦٦) اختطت الأزد حول المسجد الجامع بالفسطاط ، ثم اتسعت في دورها حتى بلغت قبالة دار سعيد بن غفيرة المؤرخ المعروف . كما تدل أوراق البردى على دورهم في الحياة العامة بالفسطاط حتى القرن الثالث الهجرى . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٥ .
Grohmann : Arabic Papyri tome 11, pp. 127, 179.

(٦٧) من قبيلة مهرة اليمنية كانت منازلهم كما يذكر ابن عبد الحكم قبلى اهل الراية مما نلى منازل ابن سعد بن أبى السرج ، وكانوا اذا اتوا لصلاة الجمعة بالمسجد الجامع وربطوا خيولهم وقد اتسعت خطتهم حتى لقيت خطة غافق في ناحية السوق .

(٦٨) نسبة الى قبيلة غافق التي اختطت بالفسطاط منذ أيام الفتح وعاشت بها حتى أيام الطولونيين والاشقيدين ، كما تدل على ذلك شواهد القبور التي عثر عليها . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٦٩ .
M. Hassan Hawary et Hussein Rached : Steles Funeraires, tome 1, p. 12.

(٦٩) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٧٠) طبقات الصوفية ، ص ١٢٤ نشر أحمد الشرباصى .

(٧١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٧٢) الأعلام النفسية ، ص ١١٦ .

(٧٣) الفقه لغة الفهم كما ورد في قوله تعالى: « **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً** » أما الفقه اصطلاحاً فهو العلم بالأحكام الشرعية وكيفية استنباطها من كتاب الله وسنة نبيه .

(٧٤) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٢٥ .

(٧٥) يقول الله تعالى في سورة النساء الآية ٦٥ « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** » ،

(٧٦) كان أهل الفتوى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومحاولة استخراج الأحكام ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت وأبو برداء وأبو موسى الأشعري وسلمان الفارسي رضي الله عنهم أجمعين . عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٧٧) المقرئى : الخطوط ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ ، أحمد تيمّور : المذاهب الفقهية الاربعية ، ص ٤٨ .

(٧٨) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٩ .

(٧٩) صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٤٥ باب ذكر المعلم والفتيا في المسجد .

(٨٠) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٨١) أشار الله عز وجل الى مكانة الصحابة ومنزلتهم في الاسلام بعد منزلة رسوله الكريم في قوله تعالى : « **وشاورهم في الأمر** » فقد رضى صاحب التنزيل أن يشاورهم ويرضى باجتهادهم وذلك لأن ضمايرهم مرضية عند الله تعالى ، ولولا ذلك لما أمر نبيه بمشاورتهم ، فدل ذلك على يقينهم وصحة ايمانهم ومنزلتهم في العلم . المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٨٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص

(٨٣) الذهبى : كتاب دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٨٤) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

(٨٥) ذكر الكندى أن الأكر كان سيد لخم وشيخها ، وقد ضربت عنقه سنة ٦٥ هـ بسبب رفضه المبايعه لروان بن الحكم وجماعة معه من قبيلة المعافرة اليمنية .

- (٨٦) عرف ابن خلدون علم الفرائض فذكر أنه معرفة فروض الوراثة وتصحيح
مضاهم الفريضة ، المقدمة ، ص ٣٩٧ .
- (٨٧) أشار السيوطي الى تلك المسألة وأوضح أن الأكدرية هي محاولة قسمة الميراث
بين زوج وام وجد وأخت وام . حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (٨٨) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٢٣ .
- (٨٩) السولة والقضاة ، ص ٣١٤ - ٣١٧ .
- (٩٠) Lane -- Poole : A History of Egypt, in the Middle ages p. 39
- (٩١) الكندي : السولة والقضاة ، ص ٣١٧ .
- (٩٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .
- (٩٣) المقدمة ، ص ١٩٣ .
- (٩٤) المقرئ : الخطوط ، ج ٣ - ص ٢٥٩ .
- (٩٥) ذكر ابن الكندي من كان بمصر من الفقهاء والعلماء فكان أولهم يزيد بن
أبي خبيب ثم الليث بن سعد . فضائل مصر ، ص ٤٠ .
- (٩٦) المقرئ : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .
- (٩٧) عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٤٧ .
- (٩٨) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .
- (٩٩) نسبة الى رعين القبيلة اليمنية التي اختطت حول المسجد الجامع ، وظل
أفرادها يعملون بمصر حتى القرن الثالث الهجري . ابن عبد الحكم : فتوح مصر
والغـرب ، ص ١٧٢ .
- M. Hassan Hawary et H. Rached : Steles Funeraires, tome 1, No,
8317, p. 60.
- (١٠٠) تفقه بالمدينة ثم رحل الى مصر وأقام بها قال عنه ابن المديني : لم يكن بالمدينة
بعد كبار التابعين اعلم من ابن شهاب ، ويحيى الأنصاري وبكير الأشج . السيوطي :
المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
- (١٠١) قال ابن يونس عنه أنه توفي بأفريقية وقيل بل غرق في بحار الأسكندرية
سنة ١٢٨ هـ . السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

- (١٠٢) تولى القضاء سنة ١٢ هـ من قبل الأمير حنظلة بن صفوان الكلبي وذكر الكندي العديد من مسائل الفقه التي واجهته أثناء توليه منصبه. (القضاة، ص ٣٤٨ - ٣٥١ .
- (١٠٣) السيوطي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
- (١٠٤) سيده كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٢٣ .
- (١٠٥) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص ٢٤٥ .
- (١٠٦) الشهاوي : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص ١٣٨ .
- (١٠٧) فضائل مصر ، ص ٦٩ .
- (١٠٨) ولد الليث بقرية قلقشندة من أعمال القليوبية سنة ٩٣ هـ . وقيل ان أصله من أصبهان في فارس ، وكان لليث دار بقرية فهدمها ابن رفاعه والى مصر عناداً له .
- ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٠٣ .
- (١٠٩) طوف الليث في كثير من البلدان لتلقى العلم ، حيث رحل الى مكة والمدينة وبيت المقدس وبغداد ، وتلقى من الأئمة التابعين نحو تسعة وخمسين حديثاً ، وكان من أشهرهم الامام مالك بن انس في المدينة . ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨١ .
- (١١٠) حزن المصريون جميعاً لموته ، نقل ابن خلكان : أنه سمع احدهم يقول
- يوم مات الليث :
- ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريباً وقبر
- وقد أصبح قبره من المزارات الشهيرة بالقرافة . وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٤٩ .
- المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ .
- (١١١) فضائل مصر ، ص ٤٠ .
- (١١٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠١ .
- (١١٣) القضاة ، ص ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٤ .
- (١١٤) السيد أحمد خليل : الليث بن سعد ، ص ٩٤ .
- Lane -- Poole : A History of Egypt, in the Middle ages p. 39 (١١٥)

١١٦) ولد أبو حنيفة النعمان بالكوفة سنة ٨٠ هـ وتوفي في بغداد سنة ١٥٠ هـ .
وجده من أهل كابل ، وأدرك أربعة من الصحابة ، وكان عالماً عابداً ورعاً كثير الخشوع ،
وكان أبو حنيفة ممن تبحر في الفقه ، فاذا سئل فيه تفتح وسال كالوادي وقيل في عصره :
من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة . وكان إماماً في القياس ، يتحرى
الحديث فلا يروى الخبر إلا إذا رواه جماعة ثقات ، وأجمع الفقهاء على الأخذ به ، وقد
اندثرت كتب الفقه التي صنفها أبو حنيفة التي ذكرها ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٤ ،
عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، ص ٢٥٤ .

(١١٧) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

(١١٨) السيد خليل : الليث بن سعد ، ص ١٤٤ .

(١١٩) الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦١ ، أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٦٦ .

(١٢٠) الولاة والقضاة ، ص ٣٧٢ .

(١٢١) المصدر السابق والصفحة .

(١٢٢) الولاة والقضاة ، ص ٤٧٦ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٦٣ .

(١٢٣) ولد مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي في المدينة سنة ٩٣ هـ ، كان شديد
البياض يميل الى الشقرة ، طويلاً عظيم الهامة ، يلبس الثياب العنيدة الجياد ، ويكثر
خلق شارب ، وسعى به الى جعفر بن سليمان والى المدينة فدعى الى مجلسه وجرده من
ثيابه وضربه أسواطاً فزاد بذلك رفة وشأناً وهو ثاني المذاهب الأربعة في القدم ، ويقال
لأصحابه أهل الحديث .

ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٠ ، أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٦٤ .

(١٢٤) ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٢٨١ ، السيوطي : المصدر السابق ،

ص ٣٠٢ .

(١٢٥) فضائل مصر ، ص ٤٠ ، ابن النديم ، المصدر السابق .

(١٢٦) القضاة ، ص ٤١٨ .

(١٢٧) وكان يقول * ليس في قرب الولاة ولا في الدنو منهم خير ، وقد سبق في ذلك
حجة الاسلام الامام الغزالي الذي كان يرى أنه من واجب العلماء الا يقفوا على باب
سلطان . احياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ١١٥ .

- (١٢٨) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .
- (١٢٩) المالكي : رياض النفوس ، ص ٢٥ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٣٠) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨١ .
- (١٣١) المقدمة : ابن خلدون ، ص ٣٩٦ .
- (١٣٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦١ ، ابن دقماق : الانتصار
ج ٤ ، ص ٩ .
- (١٣٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨١ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٣٤) القضاة ، ص ٤٣٣ .
- (١٣٥) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧٢ ، المقدمة ،
ص ١٨ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨١ ، السيوطي : حسن المحاضرة ،
ج ١ ، ص ٣٠٥ .
- (١٣٦) احياء علوم الدين ، ج ٥ ، ص ١٩٣ ، الطبعة الثانية ، دار الفهد
العربي ، ١٩٨٧ م .
- (١٣٧) أشار المقرئ إلى جوسق بن عبد الحكم وهو الحصن الذي بناه عبد الله
ابن عبد الحكم وكان جوسقا كبيرا به فناء في وسط القرافة وقد تم دفنه به كما ظل
مشتهرا حتى عهد المقرئ وسمى « جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الامام »
الخطوط ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .
- (١٣٨) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .
- (١٣٩) المصدر السابق ، والصفحة .
- (١٤٠) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٤١) الكندي : القضاة ، ص ٤٦٩ .
- (١٤٢) المصدر السابق ، ص ٤٧٤ .
- (١٤٣) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .
- (١٤٤) الغزالي : احياء علوم الدين ، ج ٥ ، ص ١٩٣ .

- (١٤٥) الفزالي : احياء علوم الدين ، ج ٥ ، ص ١٩٣ .
- (١٤٦) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .
- (١٤٧) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٥٤ .
- (١٤٨) انشد الشافعي في هذا المعنى :
- لقد اصبحت نفسي تتوق الى مصر ومن دونها قطع المهامه والقفور
فوالله ما أدري ألفتوز والفنى اساق اليها أم أساق الى القبر
- (١٤٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٥ .
- (١٥٠) عرفت بالخشابية بعد وفاته نسبة الى القاضي الفقيه مجد الدين عيسى ابن الخشاب الذى درس بها ، وكان وكيلا لبيت المال فى عصر الماليك . ابن دقمقاق : الأمصار ، ج ٤ ، ص ٨٠٠ .
- (١٥١) كان تلاميذ الشافعي يقدرونه حق قدره ، فمن ذلك ما قاله تلميذه الربيع ابن سليمان المرادى المؤذن : « والله ما جرؤت أن اشرب الماء ، والشافعي ينظر الى هيبة له » كتاب الأم ، العدد الأول ، ص ١٧ - ١٨ ، طبعة دار الغد العربى ، ١٩٨٩ م .
- (١٥٢) الشافعي : كتاب الأم ، المقدمة نشر دار الغد العربى ، القاهرة .
- (١٥٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ ، أحمد تيمور : المذاهب الأربعة ، ص ٧٦ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٦ .
- (١٥٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٤٣٨ .
- (١٥٥) قيل ان السبب فى ذلك التغيير الفقهي الذى أحدثه الشافعي بمصر ، انما يرجع الى مخالطة أهل مصر وما رآه من عادات وحالات اجتماعية مصرية. تخالف ما سمع ورأى فى الحجاز والعراق ، وهكذا تغير وجه الاجتهاد عنده فى بعض مسائله وامكنه من وضع أصول علم الفقه الذى اشتهر به وأصبح ينسب اليه كما قال الفخر الرازى (٦٠٦ هـ) عنه « ان نسبة الشافعي الى علم الأصول كنسبة ارسطو الى علم المنطق وكنسبة الخليل بن أحمد الى علم العروض . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٥ ، المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٦ .
- (١٥٦) يقع هذا الكتاب فى سبعة مجلدات ضخمة كأنها جهد فريق من العلماء وذكر

ابن النديم من أسماء كتبه التي جمعها وأملأها في كتابه الأم ما يزيد عن مائة وعشرين كتاباً . الفهرست ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(١٥٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٦ .

(١٥٨) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(١٥٩) أنشد المزنى في رثائه يقول :

سقى الله هذا القبر من وبل مزنه من العفو ما يغنيه عن طلل المزن
لقد كان كفواً للعداة ومعقلاً وركنا لهذا الدين بل أيما ركن
كما رثاه شاعر آخر بالفسطاط حيث قال :

لله در الثرى كم ضم من كرم بالشافعي حليف العلم والأثر
يا جوهر الجوهر المكنون من مضر ومن قريش ومن ساداتها الآخر
لما توليت ولي العلم مكتئباً وضر موتك أهل البدو والحضر

هذا ولم يزل قبر الامام الشافعي يزار ويتبرك به بعد وفاته حتى قام الملك الكامل
الأيوبي ببناء قبة على ضريحه في جمادى الأولى سنة ٦٠٨ هـ ، وقيل أنه وجد مكتوباً
عند رأسه :

قضيت نحبى فمر قوم حمقى بهم غفلة ونوم
كان يومى على حتم وليس للشافعين يوم
ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٥ ، ابن جبير ، كتاب الرحلة ، ص ٢١ ، المقرئى :
الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٨١ - ٤٨٢ .

(١٦٠) نسبة الى بويط احدى قرى صعيد مصر ، وقد ذكر ياقوت قريتين يحملان
نفس الاسم احدهما بالقرب من بوصير تلك القرية التى قتل بها مروان بن محمد آخر
خلفاء بنى أمية سنة ١٣٢ هـ والأخرى قرية فى كورة سيوط ولم يحدد ياقوت أى القريتين
وانما قال : « والى احدهما ينسب أبو يعقوب بن يحيى البويطى المصرى الفقيه صاحب
الشافعي رضى الله عنه والمدرس بعده فى حلقتة » . معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١٣ .

(١٦١) ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .

(١٦٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .

- (١٦٣) الكندي : الولاية والقضـاة ، ص ٢١٢ .
- (١٦٤) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٨ .
- (١٦٥) ذكر ابن النديم انه من قبيلة مزينة احدى قبائل اليمن ولكن ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب يشير الى هذه القبيلة وينسبها الى مضر من عرب الشمال فهي من بني طابخة المضرية ، ومنهم الشاعر المشهور زهير بن أبي سلمى ، الفهرست ، ص ٢٩٨ ، الجمهرة ، ص ٢٠١ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٥٧ .
- (١٦٦) الفهرست ، ص ٢٩٩ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .
- (١٦٧) أصبح قبره من المزارات السبعة الشهيرة التي أشار اليها المقرئ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٧٩ .
- (١٦٨) شاركت خولان اليمنية في أعمال الفتح ، وقد عظم شأنها أيام الأمويين والعباسيين فكان منها القادة والعلماء ورجال الحكم ، وتدل شواهد القبور على كثرة عـندهم وقوتهم الظاهرة .
- G. Wiet : Repert, Chro, tome 11, pp. 54, 64, 65, 80, 129, 162, 207.
- (١٦٩) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٩ .
- (١٧٠) الولاية والقضـاة ، ص ٣٩٩ .
- (١٧١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٨ .
- (١٧٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .
- (١٧٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٩٨ ، الشهاوي : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص ١٨٥ .
- (١٧٤) اتفق الجميع على أن راوى كتاب الأم هو الربيع بن سليمان المرادى وليس الجيزي ، ومما يثبت ذلك ما ورد في العدد الأول من الأم وفي باب الطهارة وهو أول الكتاب حيث ورد فيه : « أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أخبرنا الشافعي رحمه الله تعالى قال ، قال الله عز وجل : « اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى

الموافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين» الآية . نشر دار الفد العربي
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

(١٧٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٧ .

(١٧٦) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٨

(١٧٧) المقدمة ، ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(١٧٨) ولد ابن حنبل ببغداد سنة ١٦٤ هـ ورحل في طلب العلم ، ورجع الى بغداد
حيث تتلمذ على الشافعي من سنة ١٩٥ حتى سنة ١٩٧ هـ صنف كتاب المسند وجمع فيه
من الحديث ما لم يجمع غيره ، وقد تأخر ظهور مذهبه بمصر الى القرن السابع .
ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٥ ، أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٨٨ - ٨٩ ،
عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية ، ص ٧٥٨ .

(١٧٩) ذكر السيوطي أن العبيديين يعنى الفاطميين أقاموا مذهب الرافض والشيعة ،
ولم يزالوا من حكم مصر حتى أواخر القرن السادس الهجري ، فتراجعت اليها الأئمة
في سائر المذاهب ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٠ .

(١٨٠) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢١٠ - ٢١١ .

(١٨١) العسب : جمع العسيب وهو جريد النخل .

(١٨٢) اللخاف : الحجارة الرقيقة جمع اللخفة .

(١٨٣) الرقاع : من جلد أورق في جمع رقعة .

(١٨٤) القراطيس : جمع قرطاس وما كان يعمل من سيقان البردي وقد اشتهرت
مصر بانتاج أوراق البردي أو هذه القراطيس .

(١٨٥) الأديم : هو الجلد .

(١٨٦) الأقتاب : جمع قتب وهو الرحل أو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير .

(١٨٧) الطبرى : تاريخه ، ج ٣ ، ص ٢٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، حوادث
بسنة ١٢ هـ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ١٧ .

(١٨٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، حوادث سنة ٣ هـ .

- (١٨٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤١ — ١٤٥ .
- (١٩٠) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .
- (١٩١) أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « تعلموا القرآن واقرءوه فان تعلم القرآن لمن يتعلمه فقراءه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه من كل مكان - ومثل من يتعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل صرات او كئت على مسك » المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ .
- (١٩٢) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩٤ ، الطبعة الثامنة .
- (١٩٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .
- (١٩٤) ويبدو أن صبيفا كانت قراءته للقرآن تختلف عما كانت عليه طريقة الجند العرب بمصر ، فخشى عمرو من أن يحدث فتنة كما وقع بعد قليل عندما نشب الخلاف بين جند الشام وجند العراق فى أرمينية وأذربيجان ، حيث كان جند الشام ممن يقرأون على قراءة المقداد بن الأسود وأبى الدرداء ، وجماعة اهل العراق ممن يقرأون على قراءة ابن مسعود وأبى موسى الأشعرى وبين فريق ثالث حديث عهد بالاسلام . وقد أسرع حذيفة بن اليمان الى المدينة خشية وقوع الفتنة وطلب من عثمان بن عفان أن يدرك الأمة قبل ان تهلك ، وهكذا سارع عثمان بالعمل على جمع القرآن فى مصحف واحد وهو ما عرف بمصحف عثمان أو بالمصحف فقط . ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٣ هـ ، هيكل : عثمان بن عفان ، ص ١٠٩ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ، ص ٢٥١ ، الطبعة الثانية .
- (١٩٥) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٦ .
- (١٩٦) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .
- (١٩٧) المقدمة ، ص ٣٨٥ .
- (١٩٨) اختط بالفسطاط تلك الدار التى ذكر اسمها ابن عبد الحكم وهى دار العمدة ذات الحمام ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٣ .
- (١٩٩) ذكر المسعودى أن عبد الرحمن لم يكن من قبيلة مراد بل من قبيلة تميم ، لكن جاء عداؤه فى مراد اليمينية فنسب اليها ، وهو قاتل الامام على بن أبى طالب سنة ٤ هـ . مروج الذهب : ج ٢ ، ص ٤٢٣ .

(٢٠٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٤ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٤١ .

(٢٠١) الانتصار ، ج ٤ ، ص ٦ .

(٢٠٢) الولاة ، ص ٣٦ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢٠٣) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

(٢٠٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤٣ .

(٢٠٥) كانت المصاحف تباع منذ عهد عثمان ، كما كان حرص الصحابة على مصاحبة المصاحف في أسفارهم ، وليس أدل على انتشارها حينذاك فيما ورد ذكره في واقعة صفين بين جيش العراق وجيش الشام عندما تم رفع المصاحف التي قدرت بنحو خمسمائة مصحف . المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤ . الكتاني : نظام الحكومة النبوية ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٢٠٦) الكندي : الولاة ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢٠٧) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٢٠٨) الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢٠٩) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٤ .

(٢١٠) من قبيلة يزن التي تنسب الى الأذواء اليمنية ، واليهم تنسب الرماح اليزنية الشهيرة . الثعالبي : فقه اللغة ، ص ٢٥١ ، البري : القبائل العربية في مصر ، ص ٢٣ .

(٢١١) المقرئزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٢٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

(٢١٢) السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٢١٣) يعلل ابن خلدون اسباب ذلك في أن الصحابة والتابعين احبوا أن ينشئوا اولادهم على حفظ القرآن لما يسبق به الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث ، المقدمة ، ص ٤٩٠ .

(٢١٤) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٣ .

(٢١٥) يقول المقرئى : فامر (يعنى عبد العزيز بن مروان) فكتب له هذا المصحف
الذى فى المسجد الجامع « اليوم » .

(٢١٦) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٧٢ .

(٢١٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

(٢١٨) نسبة الى قبيلة رعين اليمنية التى اختطت حول المسجد الجامع فى الفسطاط
وتدل شواهد القبور التى تم العثور عليها على أنها ظلت تقيم بمصر حتى القرن الثالث
الهجرى . ابن عبد الحكم : فتح مصر والمغرب ، ص ١٧٢ .

M. Hassan Hawary et H. Rached, Steles, Funeraires, tome 1,
No, 8317, p. 60.

(٢١٩) السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ٢٩٨ .

(٢٢٠) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ ، ص ٢٩٨ .

(٢٢١) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

(٢٢٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم أحد القراء السبعة ، كان ممن عنى
من القراء الأوائل بمعرفة الوقف والابتداء فى القرآن أى معرفة المواضع من الآيات التى
يحسن بالقارئ الوقوف منها ثم يبدى بما بعدها ، وكان نافعاً قد قرأ على أبى ميمون
مولى أم سلامة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يلبث أن ذاع صيته بعد أن استمع
الناس الى قراءته فأعجبوا بها وأقبلوا عليها يتعلمونها ، وهكذا تجاوزت المدينة الى سائر
الامصار حيث انتهت اليه رئاسة القراء آنذاك ، ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٩٤ ،
عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٦٨ - ١٦٩ .

(٢٢٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٩٠ .

(٢٢٤) السيد احمد خليل : الليث بن سعد فقيه مصر ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، طبعة
دار المعارف .

(٢٢٥) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٩٤ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٣٢٨ ،
القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٠٣ .

(٢٢٦) الملامس بن جذيمة كان عريف حضرموت القبيلة اليمنية الشهيرة التى

اختطت بالفسطاط بعد أن وفدت الى مصر في عهد الخليفة عثمان بن عفان .
ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ - ١٧٠ .

(٢٢٧) الكندى : الولاة ، ص ١١٨ ، المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢٢٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .

(٢٢٩) المصدر السابق ، والصفحة .

(٢٣٠) ورد في الأثر عن القراءات السبع أنها مشتقة من الحروف السبعة نظرا لما
روى : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، السيد خليل : الليث بن سعد ، ص ١٢٠ .

(٢٣١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٨٥ ، البرى : القرآن وعلومه في مصر ، ص ١٨٨ .

(٢٣٢) ظهر عدد كبير من المصريين الموالي ، كان آبائهم أو أجدادهم من القبط أو
النوبة الذين أسلموا في أعقاب الفتح الاسلامى لمصر مثل يزيد بن أبى حبيب النبوى الأصل
ومثل عثمان بن سعيد الملقب بورش .

(٢٣٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .

(٢٣٤) البرى : القرآن وعلومه في مصر ، ص ١٩٥ .

(٢٣٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ٤٨٦ .

(٢٣٦) الكندى : الولاة ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ ،

Lane - Poole : A History of Egypt, p. 40.

(٢٣٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .

(٢٣٨) ابن الفرضى : تاريخ العلماء بالأندلس ، ج ٢ ، ص ١٥ مطبعة الخانجى :

البرى : القرآن وعلومه في مصر ، ص ٢٤٦ .

(٢٣٩) اختلف أصحاب المذاهب السنية في استجازتها ، ولم يوافق عليها الا الامام

الشافعى وهى القراءة بالتلحين ، كما اختلف الامر بالنسبة لوقت ظهورها . عبد المنعم

ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٦٩ .

(٢٤٠) ذكر الكندى أنه منع القراء الذين في مسجد محمود من القراءة بالالحنان

وغيره ، وهذا المسجد من المساجد التى ذكرها المقرئى وينسب لمحمود بن سالم بن مالك

- الطويل من أجناد السرى بن الحكم الذى تولى إمارة البلاد سنة ٢٠٠ هـ . الولاة والقضاة ، ص ١٦١ ، ٤٦٩ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .
- (٢٤١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .
- (٢٤٢) البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٢٤٦ .
- (٢٤٣) الكندى : الولاة ، ص ٤٣٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١١ ، ص ٢١٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .
- (٢٤٤) هذا الكتاب يعالج أساسا مواضع تغليظ اللام وترقيتها فى القرآن ، البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٢١٧ .
- (٢٤٥) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٦٨ ، الطبعة الثانية .
- (٢٤٦) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤٩ .
- (٢٤٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .
- (٢٤٨) المصدر السابق ، ص ٤٤٨ ، ص ٤٨٦ .
- (٢٤٩) البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٢٢١ .
- (٢٥٠) السيوطى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .
- (٢٥١) وقد توفى ابن يونس سنة ٢٦٤ هـ عن ثلاث وتسعين عاما . الذهبى : دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

الفصل الثالث

مجالس الأدب ورواية الأخبار
وقبله العلماء من بلاد المغرب والاندلس



- أولا : مجالس أرباب اللغة والنحو والأدب .
- ثانيا : مجالس الرواة والأخباريين .
- ثالثا : قبلة طلاب العلم من أهل المغرب والاندلس .



أولاً : مجالس أرباب اللغة والنحو والأدب

لم تقتصر حلقات العلم والدرس بالجامع العتيق على رواية الحديث والعمل على تدوينه بعد ذلك ، أو قراءة القرآن ودراسة الفقه والفرائض ، بل وجدنا عددا كبيرا من الصحابة والتابعين الذين أقاموا بالقسطنطينية ، وقد أصبح لهم نشاط ملموس في عقد مجالس الأدب وإنشاء الأشعار والعمل على نقدها وذلك في أعقاب الفتوح وبناء الأمصار الإسلامية .

جاء العرب المسلمون إلى مصر يحملون معهم ثقافتهم التي ورثوها عن أسلافهم في الجاهلية ، وكانت تتضمن ذكر أيامهم وأنسابهم التي حفظوها في أشعارهم ، ولكن الإسلام كان له أثره الذي أحدثه في تراثهم ، فقد أصبح عليهم أن يغيروا من أغراض الشعر الموروث ، ولا سيما تلك الأشعار الخاصة بالعصبة القبلية (١) .

ومن المعروف أن العرب كانوا يقدرون شعراءهم ويجلونهم حتى قيل أنهم كانوا يعتبرونهم بمنزلة الأنبياء في الأمم (٢) ، ولكنه لما نزل القرآن الكريم ، حقر من شأنهم ونال من أغراضهم ومكانتهم ، وما كان ذلك إلا بالنسبة لشعراء المشركين وقصائدهم التي انشدوها في مهاجمة الدعوة الإسلامية والعمل على تكذيبها ، وفي النيل من صاحب هذه الدعوة بمكة والمدينة وهكذا رد عليهم القرآن وكشف عن مزاعمهم كما حط من قدرهم (٣) .

وقد عبر ابن خلدون عن أهمية الشعر أبان الفتوح الإسلامية حيث قال : « وجعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطبهم وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم » (٤) .

تطور الشعر بعد ظهور الإسلام فأصبح وسيلة التعبير القوية عن حوادث الفتح وأعمال الجهاد في سبيل الله حينذاك ، فمن ذلك ما عبر به القائد العربي الفاتح عمرو بن العاص عند حصاره لحصن بابلين (٥) :

يوم لهمدان ويوم للصفد والمنجنيق في بلى مختلف
وعمر و يرقل ارفال الشيخ الخرف

ولما استحر القتال وكثر البلاء والجهاد بين العرب الفاتحين واهل النوبة ، عبر الشاعر
كذلك كما نقل الكندى حينما قال (٦) :

والخيل تعدو بالدروع المثقلة لم تر عيني مثل يوم دمقلة
وهكذا تطورت أغراض الشعر ، فبعد أن كانت قاصرة على المباهاة والتمدح بالعصبية
من نسب وحسب ، أو الهجاء والمرائي والوصف والتشبيب صارت سجلا صادقا لأحداث
الفتح وسائر الوقائع التي وقعت بين العرب والمسلمين أنفسهم ، ومرآة تعكس سائر
الاتجاهات الدينية والمذهبية المختلفة .

وقد شجع على ذلك وجود طائفة من الصحابة الذين شاركوا في فتح مصر واختلطوا
بها وكانوا من الشعراء البارزين ، نذكر منهم بحرا الرعيني (من قبيلة رعين اليمنية)
وبدر بن عامر الهذلي ، ذكر أبو الفرج الأصبهاني أنه كان شاعرا مخضرمًا ، وأبا الورداء
عويمر بن عامر الأنصاري . أما ذؤيب الهذلي الشاعر وهو خويلد بن مخلد ، وأبا صرمة
الأنصاري واسمه مالك بن قيس مالك وكان شاعرا مجيدا (٧) .

ومن هؤلاء الشعراء التجبيين نذكر الصحابي أبا قبان بن نعيم بن بدر التجبي
والشاعر أبا مصعب قيس بن سلعة ، وقد وردت أشعارهما التي أنشدتها كل منهما
بمناسبة تفاعل قيسية بن كلثوم عن موضعه لبناء الجامع عليه ، التي ظلت تتردد بين
أروقة هذا المسجد في أعقاب بنائه سنة ٢١ هـ (٨) .

ومن الشعراء المخضرمين نذكر أيضا حسان بن ثابت (٩) شاعر الرسول ويبدو أنه
وقد على مصر في أعقاب الفتح الاسلامي ، وقد انفرد ابن جبير (١٠) بذكر مشهده من بين
المشاهد الأولى بالقرافة (١١) ، كما ذكر مشهد معاذ بن جبل وعقبة بن عامر الجهني
وغيرهما من المواضع التي ظل المصريون يقومون بزيارتها حتى القرن السادس الهجري .

كما ذكر الكندى أن الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني كان قارئاً فقيها وقارضا
للشعر (١٢) ، وهكذا صار بمصر في المسجد الجامع من هؤلاء الصحابة عدد كبير ممن
يقولون النثر المنظوم أو الشنعر .

مجـالـس الأدب في العصر العباسي :

شجع الولاة العباسيون اهل العلم والأدب، كما أجازوا العطاء للشعراء الوافدين عليهم من بغداد وغيرها من حواضر الاسلام ، وكان من هؤلاء الشاعر المشهور أبو نواس ، قدم الى مصر على الخصيب بن عبد الحميد ، وكان صاحب الخراج يومئذ من قبل الخليفة هارون الرشيد ، وقد استأذن الخصيب في انشاده بعض قصائده فأذن له ، ومما يذكر انه لما شغب اهل مصر على الخصيب لزيادة في اسعارهم حينذاك ، طلب الشاعر أبو نواس أن يأذن له في الخروج اليهم ، فكان أن خرج حتى وافى المسجد الجامع ، وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه فخطب فيهم وأنشد بعض الأبيات ، قيل أنه ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع من الناس تفرقوا فلم يبق أحد منهم (٢٠) .

وقد اقام أبو نواس بالفسطاط فترة من الزمن ، ثم رحل الى بغداد حيث توفي بها سنة ١٩٥ هـ (٢١) .

كما تشير المصادر التاريخية والأدبية الى الشاعر أبي تمام الطائي الذي نشأ بمصر ، فكان يسقى أول امره الماء بالمسجد الجامع ، فيسمع من الشيوخ واصحاب مجالس الأدب والشعر ، وقد اتجه الى بغداد حاضرة الخلافة العباسية فجالس الأدباء والعلماء ثم عاد الى مصر وجالس الأدباء بها وأخذ عنهم حتى قال الشعر فأجاد وشاع ذكره حينذاك بمصر وخارجها ونقل السيوطي عن الخطيب البغدادي أنه توفي في الموصل سنة ٢٢٨ هـ (٢٢) .

كان الشاعر في ذلك الوقت اذا ما أنشد شعرا وأحس بأنه قد اجاد فيه ، فانه يسرع الى المسجد حيث يتناقش مع المشاهير من اهل العلم والأدب ، وقد عبّر المستشرق « لينبول » عن مجالس الأدب والشعر آنذاك فقال : « وحيث يوجد فريق من الفقهاء والشعراء وقد جلسوا جميعا يتحلقون حول صحن الجامع ، وأخذوا يشرحون للفيف الناشئين من طلاب العلم والأدب بلاغة الأسلوب ودقته » ، فكان الشاعر ينشد قصيدته أمام هؤلاء النقاد في زهر ولكن في شيء من الخوف والرجاء ، حيث كان المستمعون اليه ممن لا يسمعون بأية هفوة أو خروج عن الوزن أو القافية أو خطأ في المعنى (٢٣) .

وهكذا كانت مجالس الأدب تعقد في المسجد الجامع ، فقد كان لهؤلاء الأدباء من اهل البلاغة والبيان أسلوبهم في التعبير عن آرائهم حول تلك القصائد الشعرية واصحابها من الشعراء المبتدئين ، لا سيما بعد أن وضعت القواعد والأوزان وعرفت تلك البحور ، وهو

ما عرف أيضا بعلم العروض ، فضلا عما قام به الادباء في ذلك الوقت من جمع الأشعار وتدوينها بعد أن كانت تنشد في مجالس الأدب في المسجد الجامع وغير من المساجد (٢٤) .

ونعتقد أن من هؤلاء الأدباء الذين شاركوا في مجالس الأدب بجامع عمرو الشاعر دعبل الخزاعي ، حيث كانت وفادته على مصر في عهد الخليفة العباسي المأمون وواليه على مصر آنذاك الأمير المطلب بن عبد الله بن مالك (١٩٨ - ١٩٩ هـ) ، وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على رضى الله عنه ، ولا غرابة في ذلك فمن المعروف ان المأمون حاول نقل الخلافة من البيت العباسي الى البيت العلوي وتغير لباس آبائه وأجداده من السواد الى الخضرة ، الا أن العرب في بغداد رفضوا ذلك كما رفضوا ازدياد نفوذ الفرس حينئذ (٢٥) .

ونقل الأصفهاني تلك القصيدة التي مدح بها دعبل الشاعر المطلب أمير البلاد حينئذ ، وكان اكرامه له أن ولاه أسوان ، ثم ما لبث أن عزله عنها (٢٦) .

ويبدو أنه أصبح ذائع الصيت في عصره ، فقد خلف نحو ثلاثمائة ورقة من القصائد الشعرية ، كما يذكر ابن النديم أنه صنف كتاب « طبقات الشعراء » (٢٧) . ومما لا شك فيه أنه شارك بنصيب كبير في نشاط حلق اهل اللغة والعروض والشعر بالمسجد الجامع وذلك طوال فترة اقامته بالفسطاط وقد عاصر المطلب حتى ولايته الثالثة على مصر التي انتهت سنة ٢١٠ هـ (٢٨) .

كما نعتقد أن الشاعر عبد العزيز العامري كان من شعراء الفسطاط البارزين في العصر العباسي ، حيث أصبح له زقاق يحمل اسمه بالحاضرة المصرية (٢٩) .

كان الفتن والاضطرابات السياسية والخلافات القبلية التي وقعت بمصر في اواخر القرن الثاني الهجري ، وتحريض الولاة أو حكام البلاد أثر كبير في نظم الشعر وكثرة انشاد القصائد الشعرية ، وفي ظهور طائفة من الشعراء والأدباء الذين كانت تهزمهم تلك الأحداث وما يجرى في حاضرة مصر وغيرها من الحواضر الاسلامية الكبرى . نذكر من هؤلاء الشعراء سعيد بن عفير (١٤٦ - ٢٢٦ هـ) وقد نقل الكندي له اثنتى عشرة قصيدة تتناول الأحداث التي وقعت في الفترة من عام ١٦٨ هـ الى سنة ٢٠٩ هـ (٣٠) ويتجلى في معظم قصائده ميوله القبلية وعصبيته الواضحة لعرب الجنوب القحطانيين ، كما يظهر نقده الشديد للولاة في أكثر من مناسبة ، ولم يعرف عنه أنه اتصل بباب هؤلاء الأمراء أو الحكام مما يدل على شخصيته القوية واستقلالها آنذاك .

ومن أهم قصائده الشعرية التي ألقاها سعيد بن غفير ما عبر فيها عن الأحداث التي وقعت وتلك الثورات ، منها ثورة أهل الحوف الشرقي والفسطاط على موسى بن مصعب الخنفي الذي تولى أمور البلاد سنة ١٦٧ هـ (٣١) ، وثورة عبد العزيز الجروى التي بدأت سنة ١٩٩ هـ (٣٢) وشغلت بال الولاية والخطفاء العباسيين في بغداد ، وأيضا ما وقع بين المصريين وبين الخراسانيين من نزاع وصدام سنة ٢٠٠ هـ وذلك عندما تولى السرى ابن الحكم حيث استقبله الجند من أهل خراسان وعقدوا له كما يقول الكندى وامتنع المصريون من ولايته ، فكان مقتل هيرة بن هشام بن حديج (٣٣) وهزيمة المصريين .

كان الشاعر ابن غفير لسان حال المقاومة الشعبية في الواقع فهو يهجو الأمير هجاء صريحا لا مواربة فيه ، وربما لقى مصرعه من معاصريه الذين كانوا يتحلقون بالمسجد الجامع من أجل التعبير عن مساندتهم لهؤلاء الأمراء ، وذلك كما فعل الشاعر المعلى الطائي الذي كان معاصرا لابن غفير، حيث كان يمتدح الولاة ، ثم لا يجد حرجا في الاشادة بأعدائهم أو منافسيهم اذا ما آلت اليهم السلطة أو حكم البلاد بعد ذلك .

وقد نقل الكندى من شعر المعلى الشئ الكثير ، فمن ذلك ما أنشده في امتدادح المطلب بن عبد الله عندما استطاع أن ينتصر الأمير على خصومه من أتباع الجروى والقيسين (٣٤) . ومن المعروف أن الشاعر معلى الطائي كان قد اتصل بأبى نواس أثناء فترة إقامته بمصر .

ومن شاركوا في مجالس الأدب وانشاد الشعر الشاعران يحيى الخولانى (من قبيلة خولان اليمنية) وطاهر القيسى (من قيس المضرية) وقد أظهر كلاهما الغضب للعنصر العربى وبغضهم لأهل الذمة آنذاك ، ويتجلى ذلك فى القضية التى عرفت فى تاريخ مصر الاسلامية بقضية أهل الحرس ، ومحاولة الانتساب الى احدى القبائل العربية . فقد كان هجاءهما للقاضى العمرى وأهل الحرس شديدا فى أشعارهما (٣٥) .

وحينما أصدر البكرى القاضى حكمه وقام بنقض قضية أهل الحرس وردهم الى أصلهم ، رأينا الشاعر طاهر القيسى يمتدح هذا القاضى فى ابيات له (٣٦) :

ولقد قمعت بنى الخبائب عندما راموا المعلى وتحوتكوا وتعربوا
فرددتهم قبطا الى آبائهم ونسيب أصلهم الذى قد فينوا

وتركتهم مثلاً لكل ملصق نسباً إذا التقت المحافل يضرب

ومن هؤلاء الشعراء الذين برزوا في مجال الأدب ولا سيما خلال سنوات المحنة والقول
بخلق القرآن الشاعر الحسين بن عبد السلام ، فقد ذكر الكندي له أكثر من قصيدة
يهجو فيها القاضي محمد بن أبي الليث الذي أمر بالاكنتاب على المساجد : « لا اله الا الله
رب القرآن المخلوق » فمن ذلك قول الشاعر يهجو هذا القاضي المعتزلى (٣٧) :

وليت حكم المسلمين فلم تكن برم اللقاء ولا بقط ازور
ولقد بجست العلم في طلابه وفجرت منه منابعا لم يفجر

كما أورد الكندي قصيدته الشعرية التي هاجم فيها ابن أبي الليث قاضى مصر يومئذ
لتعطيله خلق المسجد الجامع من العلم والدرس . فمن أبيات هذه القصيدة (٣٨) :

وحطمت قول الشافعى وصحبه ومقالة ابن عليّة لم تصحر
الزقت قولهم الحصر فلم يجز عرض الحصر فان بدا لك فأشبر
والمالكية بعد ذكر شائع اخملتها فكأنما لم تذكر

وكان القاضي قد منع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس في المسجد
وأمره أن لا يقربوه ، وما أعقب ذلك من هروب الفقهاء من امتحانهم أمامه أيام المحنة التي
ابتلى بها العالم الاسلامي في عهد الخليفة الواثق .

وهكذا عبر الشاعر الحسين بن عبد السلام عن هذه المحنة ايما تعبير ، كما هجا
القاضى ابن أبي الليث عندما بطش بالقطاس الفقيه والعالم الذي كانت له حلقة في المسجد
الجامع ، وكذلك حينما منع القاضي الفقهاء والعلماء المصريين من لبس القلائس نحو
سنة ٢٣٠ هـ ، فكانوا لا يدخلون اليه ولا يحضرون مجلسه في قلنسوة .

وقد ذاع صيته بين معاصريه وأقرانه حينذاك ، وذكر ابن النديم (٣٩) أنه خلف نحو
خمسین ورقة من الشعر . كما خلف محمد بن الحارث الشاعر والخليل بن جماعة المصرى
كذلك بعض المدونات الشعرية .

ومن الشعراء المجيدين أحمد بن يحيى الوزير التجيبي وكان معاصراً للشاعر

الشهير ابن عبد السلام ، وقد أشار اليه ابن يونس في ترجمته وقال أنه كان فقيها وعالما بالشعر والأدب والأخبار أيام الناس (٤٠) .

وفي تلك الأثناء وفد على مصر صاحب السيرة الشهير عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافى ، وكان إماما في اللغة والنحو والعربية أديبا ، ولا بد أنه جلس مع معاصريه بالمسجد الجامع وشاركهم مجالس الأدب والشعر ، وقد ذكر ابن كثير أنه اجتمع به الشافعى حين قدم مصر وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة ، وكانت وفاته بمصر سنة ٢١٨ هـ (٤١) .

والواقع أن كثيرا من علماء ذلك العصر كانوا يجمعون من علوم الفقه والحديث ، وبين علوم العربية والنحو والشعر ، ومن هؤلاء محمد بن إدريس الشافعى ، وكانت حلقاته تضم سائر طلاب العلم والمعرفة في عصره ، حيث اشتملت على دروس العربية والعروض ، والشعر (٤٢) ولا غرو فقد أشار ابن زلاق الى نشاط الامام العلمى وقال : «انه صنف نحوا من مائتى جزء في علوم الاسلام والعربية ، كما خلف العديد من القصائد الشعرية» (٤٣) ، وكان ينزع في أشعاره النزعة الدينية التى تغلبت عليه ، كما تميزت دعوته فيها بالزهد والتوكل حيث كان يقول فى هذا المعنى (٤٤) :

توكلت فى رزقى على الله خالقى وأيقنت أن الله لا شك رازقى
ففى أى شىء تذهب النفس حسرة وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

كما نذكر من أصحاب مجالس الأدب وحلق الشعر ذا النون المصرى الذى سطع نجمه فى سماء الفسطاط والعالم الإسلامى آنذاك ، اذ كانت حلقاته تضم طلاب العربية والأدب والشعر بجامع عمرو كما هو الحال بالنسبة لمن سبقه من العلماء والفقهاء كالشافعى وغيره من الأئمة المجتهدين .

خلف العالم الصوفى ذو النون الكثير من القصائد والأشعار ولا سيما فى مجال الزهد والحب الإلهى . فكان شعره وما فيه من وجد وإشراق وضع إعجاب مريديه وتلاميذه حينئذ (٤٥) .

وهكذا أصبحت حلقة ذى النون المصرى ، وغيرها من الحلقات مؤثلا للأدب ومشارا للشعر ونقده ، مما أدى الى نشاط الحركة الأدبية وازدهارها خلال القرنين الثانى والثالث من الهجـرة .

ثانياً : مجالس الرواة والإخباريين

نشأ التاريخ الاسلامى متفرعا من علم الحديث ، كما قيل ان التاريخ العام ولد من ضلع الأسطورة قديما ، فمن الملاحظ أن بداية التأليف أو التدوين التاريخى عند العرب المسلمين كان وثيق الصلة بالحديث والسنة ، فعلم الحديث وما يهدف اليه من دراسة أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله كان جل الاعتماد فيه على الرواية الشفوية فى بداية الأمر ، كذلك علم التاريخ عند المسلمين كان يهدف فى البداية الى دراسة سيرة النبى وأعمال الصحابة وأخبار الغزوات والجهاد ، وكان الاعتماد فيه أيضا على الرواية الشفوية قبل كل شىء (٤٦) .

لذلك كان الرواة والاخباريون فى القرن الأول الهجرى لا يختلفون كثيرا عن المحدثين اللهم فى هدف كل منهما ونوع الروايات الشفهية فالمحدثون يهتمون بالأحاديث النبوية أو الأخبار كما أطلقه عليها الشيعة (٤٧) التى تقرر مسائل فى الفقه والدين ، بينما اتجه الاخباريون الى سرد السير والحوادث والمغازى وأخبار الفتوح للبلدان المختلفة .

ومما تجدر الإشارة اليه أنه غالبا ما يكون هؤلاء الرواة هم حفاظ الحديث ورواته من الصحابة والتابعين حيث سلكوا النهج نفسه فصارت كل طبقة من التابعين تروى عن الطبقة التى سبقتها من الصحابة والسابقين فى الاسلام .

وكما تعرض الحديث من حيث متنه واسناده للتحقيق والتدقيق بعد ذلك لاثبات صحة روايته (٤٨) ، كذلك نرى الرواة والاخباريين يمعنون النظر فى اسانيدهم للتأكد من صحة رواياتهم التاريخية التى اعتمدت على السماع والمشاهدة فى ذلك الوقت ، قبل القيام بالتدوين التاريخى وتقييد العلم فى أواخر العصر الأموى .

وبرى غالبية المؤرخين أن العرب المسلمين كانوا يعتمدون على الذاكرة فى معرفة أنسابهم وأيامهم وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة ، وأنهم لم يعملوا على تدوين السير والمغازى أو الملاحم والفتن كما كانوا يسمونها الا فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، بينما يرى البعض أنه ظهر عدد لا بأس به من كتاب السير والمغازى من الرعيل الأول ، وان كانت كتابات كل منهم لا تعدو صحفا أو صحائف دونوا فيها من الأحاديث

والأخبار عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أو قوائم بأسماء الصحابة الذين اشتركوا في غزواته قبل انتقاله الى الرفيق الأعلى (٤٩) .

نذكر من هؤلاء ابان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) وعروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣ هـ) الذين كانوا من أوائل كتاب السير والمغازي في المدينة المنورة (٥٠) .

وقد عاصر هؤلاء عدد من الرواة وحفاظ الحديث من الصحابة والتابعين الذين اشتركوا في أعمال فتح مصر أو نزحوا اليها في أعقاب هذا الفتح ، وسعوا في جمع الأخبار لسردها أو روايتها في جامع عمرو بن العاص ، كان من أشهرهم تميم بن أوس الداري الصحابي ، وكان من علماء أهل الكتاب ، ثم أسلم ، ولأهل مصر عنه حديث وقيل أنه كان أول من أسرج السراج في جامع عمرو ، وأول من قص وروى فيه وقد توفي سنة ٤٠ هـ (٥١) .

ومن أهل الكتاب الذين أسلموا تبع بن عامر الحميري المتوفى سنة ١٠١ هـ ، كان من الرواة المخضرمين ، كما كان عالما بالكتب القديمة ، عاش بالفسطاط بعد تخطيطها وعمارتها ، ونعتقد أنه قام بتدوين بعض الصحائف له في الأخبار والحوادث والتي نقل عنها كثير من أهل مصر من المحدثين والأخباريين (٥٢) .

ومن كتاب السير والمغازي الذين رحلوا الى مصر في أعقاب الفتح عروة بن الزبير ، ولا شك أنه جلس في جامع عمرو راويا للسير والمغازي وما دونه منها خلال فترة اقامته بالفسطاط التي امتدت لسبع سنوات تزوج خلالها ، ولعله كان مقيما في دار أبيه التي اختطها بالقرب من الجامع كما يذكر ابن عبد الحكم ، كما كان ينزل أخوه عبد الله ابن الزبير فيها متى قدم الى مصر (٥٣) .

وقد تطورت حركة التدوين والتأليف في المغازي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري تطورا سريعا حتم ، الفت في أواخر العصر الأموي مدونات أو تأليف شاملة ، ومن أقدم هؤلاء من أهل مصر آنذاك ، أبو قبيل حبي بن هاني بن ناضر المعافري (من قبيلة المعافر اليمنية) فهو يعد من أقدم الرواة والمؤرخين الذين أرخوا لفتح مصر (٥٤) ، حيث كان له علم بالفتن والملاحم ، وكانت وفاته بالفسطاط سنة ١٢٨ هـ (٥٥) .

ومن هؤلاء التابعين الرواة الذين جلسوا في المسجد الجامع ، حسين بن شفى بن مطيع الأصبحي المتوفى سنة ١٢٩ هـ (٥٦) ، ومما يذكر أن حيوة بن شريح كان يزوره مرة فوجده في غاية الألم بسبب استيلاء بعض الناس على كتب له ، ويظهر أن اهتمامه بالحديث وتدوينه كان الغالب عليه أكثر من التأليف في المغازي والسير حينذاك (٥٧) .

ومن أهم الرواة والمؤرخين الذين نقل عنهم ابن عبد الحكم ثم الكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ المحدث يزيد بن أبي حبيب ، وعبد الله بن أبي جعفر مولى بنى أمية المتوفى سنة ١٣٢ هـ ، الذي كان معاصرا ليزيد بن أبي حبيب والحوارث بن يزيد الحضرمي (ت ١٣٠ هـ) وابنه عبد الكريم (ت ١٣٦ هـ) الذي تتلمذ على يديه الليث بن سعد وروى عنه في حلقته بالمسجد الجامع (٥٨) .

اهتم يزيد بن أبي حبيب بالرواية التاريخية ، فلم يقتصر نشاطه العلمي على رواية الحديث أو دراسة الفقه كما قدمنا ، ولا شك أن ما نقله كل من ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر والمغرب ومن بعده الكندي في كتاب « الولاة » يدل على مدى اهتمامه بالأخبار والمغازي والفتوحات خاصة فيما يتعلق بأخبار فتح مصر وولاتها الذين تولوا شئونها في أعقاب الفتح الاسلامي لها (٥٩) .

كما يعد عبد الله بن وهب من أهم الرواة والمؤرخين المصريين ، وذلك فضلا عن شهرته التي ذاعت في مجال الحديث والفقه خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، حيث يذكر ابن يونس المصري أنه جمع بين الفقه والرواية والعبادة ، وأن له تصانيف كثيرة ، وليس من المستبعد أن يكون قد أملى من كتابه في تاريخ مصر الذي أشار اليه المقرئ (٦٠) على طلاب حلقته من أخبار المغازي والفتوح لمصر وغيرها من البلدان والتي كانت جل اهتمامهم حينذاك .

أما الليث بن سعد مفتي الديار المصرية ، والذي كان معاصرا لابن وهب وزميله في حلقة العلم والدرس بالمسجد الجامع ، فكان له أيضا اهتمام واضح بالرواية والتاريخ ، وقد ذكر ابن النديم من بين الكتب التي ألفها كتاب له في التاريخ (٦١) .

والواقع أن النصف الثاني من القرن الثاني الهجري شهد طائفة من الاخباريين والمؤرخين المصريين الذين كان لهم نشاط ملحوظ ، أمثال أسعد بن موسى المتوفى سنة

٢١٢ هـ ، وعبد الله صالح المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، والنضر بن الجبار المتوفى سنة ٢١٩ هـ ،
والمؤرخ عثمان بن صالح المتوفى سنة ٢١٩ هـ (٦٢) .

ذكر المقرئ أن عثمان حضر مجلس الأمير عبد الله بن طاهر في عهد الخليفة المأمون فسأله : أنت عثمان بن صالح الذي وجهنا إليك في كتاب بقط النوبة ، قال : نعم ، ثم وجه حديثه الى أحد الجالسين وقال : ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ ، فما شفانا أحد منهم . فقلت (يعنى عثمان بن صالح) : أصلح الله الأمير ، ان الذى طلبت من خبر النوبة عندي ، قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هناك الهدنة والصلح الذى جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبة .

وكان هذا المجلس كما يقول المقرئ بفسطاط مصر سنة ٢١١ هـ ، بعد ان تم الصلح بين أمير البلاد عبد الله بن طاهر وعبد الله بن السرى بن عبد الحكم التميمي الأمير الذى كان قبله فى حكم البلاد .

ويبدو أن المعاهدات وغيرها من الرسائل كانت تحفظ فى الديوان مما يدل على ذلك قول المقرئ نقلا عن عثمان بن صالح حين قال : فوجه الأمير الى الديوان بظهر المسجد الجامع بمصر ، فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرت فسر ذلك (٦٣) .

وهكذا كان اهتمام هؤلاء الرواة والمؤرخين المصريين بأخبار الفتح وما جرى من حوادث ووقائع بين أهل مصر فى أعقاب الفتح العربى والعمل على تدوينها فى مخطوطات لهم .

وقد شجع على نشاط الرواية التاريخية فى المسجد الجامع وعلى التأليف توافد بعض المؤرخين المشاهير آنذاك الى مصر ، نذكر منهم عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافى (٦٤) كان مولده بالبصرة حيث تلقى تعليمه فيها ، ثم رحل الى مصر وأقام بها ، وكان إماما فى اللغة والنحو والعربية ، كما أشرنا من قبل ، كما كان أخباريا نسابا ، أى عالما بالأنساب العربية (٦٥) ، وقد اشتهر ابن هشام بتأليفه لكتاب السيرة النبوية الشهير ، وليس لدينا ما يفيد جهة تأليفه لهذا الكتاب وما اذا كان تم ذلك بالفسطاط أم قبل قدومه مصر ، وبمهما يكن فإن إقامته بمصر كان لها أثرها فى نشاط الحركة العلمية وبصفة خاصة فى مجال اللغة والأدب والتاريخ (٦٦) .

وقد عاصر ابن هشام من المؤرخين المصريين والادباء المشهورين سعد بن عفير (٦٧)، ذكر المقرئى أنه التقى بالخليفة المأمون حين قدم مصر لاختاد احدى الثورات التى نشبت بها سنة ٢١٧ هـ ، وقد وصف ابن عفير هذا اللقاء حينما قال (٦٨) : « كنا بقبة الهواء (بفسطاط مصر) عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا : ما ادرى ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول : اليس لى ملك مصر ؟ فقلت : أقول يا أمير المؤمنين (يريد الاستئذان) فقال : قل يا سعيد ، فقلت : ان الذى ترى بقية ما دمر ، لأن الله عز وجل يقول : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

وهكذا نقل المقرئى من كتاب سعيد بن عفير الذى وضعه قبل وفاته سنة ٢٢٩ هـ ، كما نقل عنه المالكى المتوفى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى ، فهو يذكر من روايته امر خروج عبد الله بن سعد الى افريقية والتقاءه بجمع كثير من الروم ، وما جرى من مقتل جرجير ملك قرطاجنة وقائد جند الروم على يد عبد الله بن الزبير سنة ٢٧ هـ (٦٩) .

وقد سبق عبد الرحمن بن عبد الحكم كل من المالكى عالم القىروان والمقرئى حيث نقل عنه من أخبار غزو افريقية فى كتابه « فترح مصر والمغرب » مما يدل على أن كتاب المؤرخ ابن عفير المصرى ظل معروفا وهاما لدى المؤرخين الذين خلفوه حتى أواخر القرن الثامن الهجرى فى مصر وخارجها (٧٠) .

ومن هؤلاء الفقهاء البارزين فى مصر فى العصر العباسى عبد الله بن عبد الحكم كما ذكرنا من قبل ، فهو مؤسس تلك الأسرة التى اشتهرت بمكانتها العلمية والأدبية فى الفسطاط ، والتى أصيبت بمحنة اليممة ذهبت بمالها وجاهاها أيام الخليفة المتوكل العباسى وواليه مصر على بن يحيى الارمنى (٧١) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن عبد الحكم حينذاك ، لم يقتصر اهتمامه على علوم الفقه والحديث كما قدمنا ، بل انه كان اخباريا ومؤرخا ايضا ، وخير دليل على ذلك ما جمعه فى مناقب عمر بن عبد العزيز فى تصنيف له أورد فيه جميل سيرته وحسن طريقته ، ولعله اول ما ألف فى سيرته على الأرجح (٧٢) ، فلم نسمع عن أحد من الاخباريين أو المؤرخين سبق عبد الله بن عبد الحكم فى مصر أو خارجها الى ذلك ، وقد حوى الكتاب من الحوادث الهامة والأخبار مثل امر الخليفة ابن عبد العزيز قائد جيشه مسلمة بالقول من

القبطية وعزل اسامة بن يزيد عن مصر وحبسه اياه وعزله يزيد بن ابي مسلم عن افريقية ، وكتابه الى الخوارج ، وكتابه الى العمال في رد المظالم ، واكتفائه في ردها باليسير من البيئات الى غير ذلك من الموضوعات الهامة التي وقعت في فترة خلافته القصيرة .

وقد نهج في تأليف هذا الكتاب نهج المحدثين يتضح ذلك فيما أوضحه في عنوانه « سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه » كما قام ابنه محمد بروايته في المسجد الجامع قبل وفاته سنة ٢٦٨ هـ (٧٣) .

ومن الذين اشتهروا في مجال الرواية وكتابة التاريخ بمصر في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث المؤرخ سعيد بن أبي مريم المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وقد خصه ابن النديم في كتابه « الفهرست » بالذكر دون المؤرخين المصريين ، ذكر انه ألف ثلاثة كتب في التاريخ هي كتابه في النسب وكتابه المآثر وكتاب نوافل العرب ، ولا شك أن حلقته في جامع عمرو كانت من حلقات العلم والدرس العامة ، حيث أنه كان من الفقهاء وحفاظ الحديث المشبهين كذا (٧٤) .

ومن شاع ذكره ايضا في ذلك الوقت في مجال الرواية وأخبار الناس يحيى بن عبد الله بن بكر ، صنف الكثير من الكتب والمدونات التاريخية (٧٥) ، نقل فيها عن ابن لهيعة والليث بن سعد ، ومما ألفه محمد بن عمر الواقدي صاحب كتاب المغازي الشهير وكان من أشهر من نقل وزوى عنه مؤرخنا عبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب (٧٦) ، كما قيل أنه جمع عددا من السجلات والوثائق في كتاب له أهداها له قبل وفاته سنة ٢٣١ هـ (٧٧) .

كما نذكر من هؤلاء الرواة والمؤرخين الذين كانوا من أصحاب الحلق بالمسجد الجامع محمد بن ربح بن مهاجر النخعي المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ، يقول عنه ابن يونس المصري المؤرخ أنه كان من أعلم الناس بأخبار بلدنا (يعني مصر) ، وذلك فضلا عن شهرته آنذاك في مجال علم الحديث ، ولا غرو فهو تلميذ الليث وابن لهيعة ، قال النسائي عنه : ما أخطأ في حديث واحد (٧٨) وهكذا جمع بين رواية الحديث ورواية الأخبار وتحري الدقة فيهما على النحو الذي كان سائدا في ذلك الوقت .

ومن الفقهاء الذين نالوا شهرة في مجال الرواية والتاريخ كذلك ، نذكر الفقيه عبد الحميد بن الوليد بن المغيرة المصري ، كان فقيها نحويا ، عالما بالأخبار أعجوبة فيها ،

ولا شك أن علمه بالأخبار على هذا النحو الذى وصف به انما يدل على ما بلغه من الشهرة واجتذاب الطلاب اليه في مجال الرواية والأخبار حينذاك (٧٩) .

ونختتم حديثنا عن الرواة والمؤرخين من أصحاب الحلق في جامع عمرو وذلك بالحديث عن المؤرخ الذى ذاعت شهرته في أواخر عصر الولاة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ابن رئيس المالكية بمصر الشهير . كان من أهل الحديث والرواية ، ثم شغف بالقصص والأخبار وكلف بالتأريخ (٨٠) .

صنف كتابه « فتوح مصر والمغرب » الذى يعد أقدم الكتب في تأريخ مصر وصل إلينا، اعتمد فيه على رواية أبيه ابن عبد الحكم في مواضع كثيرة كما نقل عن جماعة من المحدثين والرواة الآخرين كالليث بن سعد وعبد الله بن صالح وابن لهيعة ويزيد بن أبى حبيب وخالد بن حميد ويحيى بن أيوب وغيرهم من الاخباريين المصريين الذين كانت لهم حلقات للعلم والدرس يعقدونها في جامع عمرو بن العاص (٨١) .

كما تكشف مصادر هذا الكتاب على أن ابن عبد الحكم كان يعتمد الى حد كبير على الروايات الشفوية لهؤلاء الرواة والمحدثين الذين كانوا يشكلون طائفة كبيرة في مصر، وعلى المعلومات المدونة التى استطاع الحصول عليها كمخطوطات يحيى بن عبد الله بن بكير ، وفيما كتبه الواقدي وعبد الله بن لهيعة من التصانيف التاريخية (٨٢) .

وهكذا نرى ان الكتابة التاريخية سارت جنبا الى جنب مع حركة التدوين والتأليف في مجال الحديث والفقه وغيرهما من العلوم الاسلامية ، مما يدل على نشاط الرواية واملائها على طلاب العلم والدرس في جامع عمرو من جهة ، وعلى ازدهار الحركة العلمية في أواخر عصر الولاة من جهة أخرى .

ثالثا : قبلة فقهاء وطلّاب العلم من أهل المغرب والأندلس

(أ) في مجال الحديث .

(ب) في مجال القراءات .

(ج) في مجال الفقه .

(أ) في مجال الحديث :

اشتهر جامع عمرو بن العاص بكثرة الصحابة رضى الله عنهم الذين وفدوا على مصر سواء ممن اشترك في أعمال الفتح منهم او ممن كان هذا الجامع في شرف استقبالهم بعد انشائه في ولاية عمرو بن العاص وما خلفه بعد ذلك من الحكام والولاة المسلمين .

وقد أحصى السيوطي ثلاثمائة ونيف من هؤلاء الصحابة ، وكان كثير منهم رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أشرنا من قبل ، ولا شك أن ذلك كان خير حافز على حفظ الحديث وروايته بمصر قبل غيرها من بلاد أفريقية والمغرب التي تم فتحها نهائيا بعد أكثر من نصف قرن من الزمان أي في أواخر القرن الأول من الهجرة (٨٣) .

ونذكر من هؤلاء الصحابة الذين رووا الحديث في جامع عمرو وكان لهم جهاد في سبيل فتح بلاد أفريقية والمغرب سفيان بن وهب الخزرجي « وعقبه بن نافع القيرواني الذي اختط القيروان سنة ٥٠ هـ (٨٤) » وكان معه — كما يذكر المالكي — في عسكره خمسة وعشرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٥) .

ومن الصحابة الذين قاموا بغزو أفريقية رويفع بن ثابت السكن المتوفى سنة ٥٦ هـ ، والحارث بن حبيب بن خزيمة الذي تم استشهاده بأرض أفريقية مع الصحابي معبد ابن العباس بن عبد المطلب (٨٦) ، كما يذكر السيوطي نقلا عن ابن يونس المصري من هؤلاء

الصحابية كلا من مسعود بن الأسود البلوى والمسود بن مخزومة بن نوفل الزهرى المتوفى
سنة ٦٤ هـ (٨٧) .

ومن رواية الحديث الذين جلسوا الى الصحابي عبد الله بن عمرو في جامع عمرو وأخذوا
عنه أبو عبد الرحمن الحيلى عبد الله بن يزيد المعافى ، ذكر المالكى أن الخليفة عمر
ابن عبد العزيز بعثه الى أهل إفريقية ليفقههم فى الدين ، فانتفع به أهل القيروان وبث
فيهم علما كثيرا وكانت وفاته سنة ١٠٠ هـ (٨٨) .

كما روى الحديث عن عبد الله بن عمرو ، اسماعيل بن عبيد الأنصارى ، وأصبح
صاحب علم وفقه ، ثم توجه الى القيروان ، فروى عنه من أهل المغرب بكر بن سواد
الجنذامى وعبد الرحمن بن زياد وغيرهما ، وقد أشرف على بناء المسجد الكبير الذى
يعرف بمسجد الزيتونة فى تونس ، وكان يصلى به ولا شك أنه كان أول من جلس
فيه لتعليم الناس السنن (٨٩) .

ومن التابعين الذين رحلوا الى القيروان بعد أن تلقوا تعليمهم فى جامع عمرو ، وفى
المسجد النبوى أبو تمامة بكر بن سواد الجنذامى ، روى الحديث عن الصحابي الجليل
عقبة بن عامر الجهنى ، وسهل بن سهل الساعدى وسفيان بن وهب الخولانى ، كما
روى عن جماعته من التابعين ، ذكر المالكى نقلا عن ابن يونس أنه كان فقيها مفتيا، ولا شك
أنه أصبح صاحب حلقة فى المسجد الجامع بالقيروان (٩٠) .

ومن هؤلاء التابعين أيضا أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير ، ذكر ابن يونس أنه
روى عن أبى تميم الجيثسانى عبد الله بن مالك فى جامع عمرو وكان أحد العشرة الذين
أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتعليم الناس وإقراءهم القرآن ، وقد ولى قضاء الجند
فى القيروان فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، وكانت وفاته سنة ١١٥ هـ (٩١) .

ومن هؤلاء التابعين الذين قدموا الى مصر من القيروان أبو محمد خالد بن أبى عمران
التنجيبى ، روى عنه عبد الله بن لهيعة ، وعمرو بن الحارث فى جامع عمرو بن العاص ، وقد
اشتهر بامامته فى بلاد المشرق والمغرب حينذاك ، وكان أكثر إقامته فى تونس ، كما كان

مقبولا لدى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ولما ثار الصفورية بمنطقة « القرن » بأفريقية برز اليهم خالد بن أبي عمران وقتل رئيسهم ابن عم عبد الواحد الزناتي الصفري وكانت وفاته سنة ١٢٧ هـ (٩٢) .

كما نذكر من العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز الى القيروان من مصر طلق بن جابان ، جلس في جامع عمرو معلما قبل أن يرسله الخليفة عمر الى اهل افريقية ليعلم اهلها السنن والدين (٩٣) .

ومن رواة الحديث الذين تولوا القضاء في القيروان ابو عبد الحميد اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر القرشي ، روى عن جماعة من مشاهير التابعين في جامع عمرو ، ثم توجه الى القيروان وأقام بها ، وقد صارت له حلقة عامرة في المسجد الجامع ، قال عنه أحد الرواة : « ما رأيت زاهدا في هذه الأمة غير اثنين : عمر بن عبد العزيز ، واسماعيل ابن عبد الله المخزومي » وكانت وفاته سنة ١٣٢ هـ (٩٤) .

ومن مشاهير التابعين الذين حفلت بهم كتب التراجم والطبقات ابو عبد الله علي بن رباح بن نصير اللخمي ، رحل الى القيروان غازيا ومجاهدا واختط بها دارا ومسجدا ، وانتفع به وتفقه على يديه كثير من طلاب العلم (٩٥) .

وكذلك أبو رشيد حنش بن عبد الله السبأي « الصنعاني » روى عن عبد الله بن عمرو وعامر بن يحيى المعافري وغيرهما من رواة علم الحديث في جامع عمرو بن العاص ، وقد شهد غزو الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري كما ورد ذكره في كتاب الجامع في الحديث ، لابن وهب المصمري (٩٦) .

ومن علماء القيروان يذكر المالكي التابعي عبد الرحمن بن أشفع بن وعلة الشيباني (٩٧) وأبا الأشعث ربيعة بن يزيد ، وكان يعرف بربيعة بن يزيد الدمشقي لأن أصله كان من دمشق ، بعثه الخليفة هشام بن عبد الملك الى افريقية فأوطنها وذلك بعد أن روى عن جماعة من الصحابة الذين اختطوا بمصر ، وقد اشتهر ربيعة بعلمه وورعه بين أهل القيروان وافريقية (٩٨) .

ومن الذين رحلوا الى مصر من مشاهير التابعين في العصر الأموي أبو يحيى عياض ابن عقبة بن نافع الفهري ، روى عن عبد الله بن عمرو وغيره من الصحابة والتابعين في المسجد الجامع بالفسطاط ، كما روى عنه يزيد بن أبي حبيب واسحاق بن أبي فروة ، مما يدل على أنه جلس تلميذا ومعلما او صاحب حلقة في جامع عمرو قبل عودته الى القيروان حيث أقام بها بعد وفاة أبيه عقبة الى أن توفي سنة ١٠٠ هـ (٩٩) .

ومن حفاظ الحديث الذين قدموا من القيروان لتلقى العلم بجامع عمرو بن العاص أبو عقيل زهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام ، رحل الى مصر فروى عن جماعة مشاهير التابعين منهم سعيد بن أيوب مقلص الخزاعي ، وكان معاصرا لعمر بن عبد العزيز وقد عاد الى مصر وأقام بها ثم تركها وسكن الاسكندرية حتى توفي بها (١٠٠) .

كما قدم الى مصر من القيروان أبو قبيل المعافى حيي بن هاني ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر الجهني ، ثم اتجه الى افريقية مجاهدا مع القائد حسان بن النعمان الغساني وشهد المغازي معه ، وقد عاد الى مصر مرة أخرى وكانت وفاته بالبرلس سنة ١٢٨ هـ (١٠١) .

ومن رواة الحديث أبو ليلى دحيم بن عامر الحجري، روى عن عقبة بن عامر الجهني ، ثم اتجه الى القيروان ، فأخذ عنه بكر بن سواد الجذامي ويزيد بن أبي منصور وعبد الرحمن بن زياد بالقيروان ، ثم رجع الى مصر بعد أن شهد المشاهد والفتوحات الاسلامية بأرض المغرب (١٠٢) .

أما بلاد الأندلس فبعد أن تم فتحها في أواخر القرن الأول الهجري ، فإنه كان من أوائل المحديثين المصريين الذين دخلوها من التابعين على بن رباح اللخمي وحنش بن عبد الله الصنعاني (١٠٣) .

كان ابن رباح كما اشتهر بين اهل مصر من الثقة في الحديث، كما كان الليث بن سعد يشئى عليه في روايته قائلا عنه : « من قال في موسى بن علي لم أجعله في حل » وكان له مع عبد العزيز بن مروان منزلة ، يقول ابن الفرضي : « ثم عتب عليه عبد العزيز فأغزاه افريقية » وقد توفي سنة ١١٤ هـ (١٠٤) .

كما كان من رواة الحديث عن الصحابة الذين دخلوا الأندلس أحمد بن حازم المعافري المصرى الذى بلغ درجة عالية فى حفظ الحديث ، حتى أن عبد الله بن لهيعة كان يروى عنه وذلك قبل رحيله الى الأندلس ويحدث بها (١٠٥) .

وقد أخذ أهل الأندلس من المسلمين يرحلون الى مصر طلبا للحديث منذ أوائل القرن الثانى الهجرى ، ولعل أول من ارتحل الى بلاد المشرق الاسلامى من هؤلاء معاوية بن صالح الحضرمى ، كان قد دخل الأندلس سنة ١٢٣ هـ ثم كلفه عبد الرحمن بن معاوية الداخل بالتوجه الى المشرق لاحتضار اخته أم الأصبع ، وفى هذه الرحلة اتصل معاوية بأهل الحديث والعلم بمصر حيث جالس الليث بن سعد فحدثه ، وعبد الرحمن بن مهدى ويحيى ابن سعيد القطان وعبد الله بن صالح كاتب الليث وغيرهم (١٠٦) .

وبصور لنا عبد الله بن صالح كاتب الليث يومئذ نشاط معاوية بن صالح فى طلب الحديث وروايته أيضا بالفسطاط ، حيث روى عن المصريين ورووا عنه قبل عودته الى الأندلس فيقول : « قدم علينا معاوية بن صالح فجالس الليث بن سعد فحدثه ، فقال لى الليث يا عبد الله : ايت الشيخ فاكتب ما يملى عليك ، قال فأتيته فكان يملئها على ثم نصير الى الليث فنقرأها عليه فسمعتها من معاوية بن صالح مرتين » .

وقد عاد معاوية الى الأندلس حيث اشتهر بعلمه وحفظه للحديث فتولى القضاء بها وكان يروى الحديث ، وظل ينتفع الناس بعلمه حتى وفاته فى أخريات أيام عبد الرحمن ابن معاوية الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس (١٠٧) .

وعلى الرغم من أن تلك الجهات النائية أصبحت تحت حكم الأمويين بعد زوال ملكهم فى بلاد المشرق الاسلامى ، فقد توالى وفود العديد من المحدثين الى مصر أيام حكم العباسيين لها ، فمن حفاظ الحديث الذين وفدوا على جامع عمرو وشيوخه الأعلام حينذاك الحافظ عبد الله بن محمد بن زرقون السرقسطى ، حدث عن عبد الله بن صالح وعن أصبغ ابن الفرج من حفاظ الحديث والأئمة فى ذلك الوقت ، ثم رجع الى قرطبة لينشر العلم بها (١٠٨) .

كذلك يذكر ابن الفرضى من الذين رحلوا الى بلاد المشرق محبوب بن قطن بن عبد الله ، قدم مصر طلبا للعلم فسمع بها من عبد الله بن صالح أيضا كما تلقى عن غيره

من حفاظ الحديث ومن أهل الرواية آنذاك . ثم عاد الى قرطبة حيث اخذ يحدث بها ، كما ذاع صيته وقد حدث عنه من أهل قرطبة سعد بن معاذ (١٠٩) .

كذلك نذكر من الرحالة في طلب العلم نحو بلاد المشرق بقى بن مخلد المحدث الفقيه القرطبي الشهير ، رحل الى مصر وسمع من شيوخها في الحديث والفقه ثم ما لبث أن رجع الى بلاده ، ويصف ابن الفرضي شهرته التي عمت آنذاك في قرطبة فيقول : وبقي بن مخلد ملأ الأندلس حديثا ورواية وما ادخله من كتب الحديث بها مثل كتب الاختلاف وغرائب الحديث حتى أن أقرانه أغروا به السلطان وأخافوه به ، ولكن الله تعالى من عليه بفضل ف أظهره عليهم وعصمه منهم فنشر حديثه ، كما قرأ للناس روايته ، ثم يستطرد ابن الفرضي (١١٠) : « فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس » .

كما نقل كتاب الفقه لمحمد بن ادريس الشافعي وهو الام ، وكتاب « التاريخ » للمؤرخ خليفة بن خياط ، وقد أرخ فيه لفتوح مصر والمغرب وبلاد الأندلس (١١١) . وكانت وفاته بقى بن مخلد سنة ٢٥٧ هـ .

وقد لازم ابن مخلد في رحلته الى مصر ولقائه بشيوخ المسجد الجامع محط الأنظار والآمال في ذلك الوقت المحدث قاسم بن محمد قاسم بن يسار ، مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، من أهل قرطبة ، قدم الفسطاط ، وسمع من محدثيها وفقهائها البارزين حينذاك مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحارث بن مسكين وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ، ويونس بن عبد الأعلى ، وقد لازم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم للتفقه والمناظرة وبالفقيه المزني أيضا ، ولما استفرغ علم هؤلاء وهم بالعودة الى الأندلس عاتبه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم على ذلك حيث ينقل ابن الفرضي عن أحد معاصريه قوله (١١٢) : « سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول : لم يقدم علينا من الأندلس أحد أعلم من قاسم بن محمد ، ولقد عاتبته في حين انصرافه الى الأندلس ، فقلت له : أقم عندنا فانك تفقد هاهنا رئاسة ، ويحتاج الناس اليك فقال : لا بد لي من الوطن » .

وتدل هذه الرواية على ان الرحالة الأندلسيين كانوا من العلماء والفقهاء البارزين في عصرهم ، وأن رحلتهم ما كانت الا لكمال العلم بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، حيث يصعب العالم اشد استحكما وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ كما يقول ابن خلدون يكون حصول الملكات ورسوخها يعنى بذلك رسوخ العلم في الأذهان (١١٣) .

ومن الرحالة الأندلسيين الذين رحلوا في سبيل العلم الى بلاد المشرق بعد ذلك محمد ابن عامر القيسي ، روى عن عبد الله بن وهب صاحب كتاب « الجامع في الحديث » وغيره من محدثي المشرق الاسلامي ، ثم عاد الى الأندلس حيث سمع منه الناس ، ويبدو أنه رحل في أخريات أيامه الى القيروان فقد ذكر ابن الفرضي أنه مات بالقيروان سنة ٢٠٠ هـ ، وفل توفى بسوسة أو قفصة من بلاد المغرب سنة ٢٥٧ هـ (١١٤) .

ومن أهل الحديث والفقهاء الأندلسيين الذين قدموا مصر في العصر العباسي أحمد ابن عمر الألبيري المحدث ، سمع من يونس بن عبد الأعلى الذي انتهت اليه رئاسة العلم وعلو الاسناد في الحديث آنذاك ، كما لقي غيره من حفاظ الحديث بمصر أمثال الربيع ابن سليمان الجيزي وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، ومحمد بن سنجر الجرجاني صاحب المسند المتوفى سنة ٢٥٨ هـ (١١٥) .

وقد ظلت رواية أحمد بن عمرو هذا لمسند ابن سنجر متداولة بين الأندلسيين حتى القرن السادس الهجري . وكان أحمد بن عمرو عالما بالحديث حافظا له بصيرا بعلمه اماما فيه ، وكانت اليه الرحلة في وقته (١١٦) .

كما نذكر من أهل الأندلس الذين رحلوا الى مصر عبد الله بن ابراهيم بن وزير من أهل قرطبة ، سمع من حفاظ الحديث والفقهاء المصريين الحارث بن مسكين كما سمع بافريقية سحنون بن سعيد ، وكانت وفاته في آخر أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي توفى سنة ٢٧٣ هـ (١١٧) .

ومن هؤلاء الذين قدموا بلاد المشرق في سبيل العلم كذلك مدلج بن عبد العزيز بن رجاء المدلجي ، بلغ العراق فسمع بها ، ثم رحل الى مصر وأقام بها محدثا في المسجد الجامع حتى توفى سنة ٢٥٩ هـ (١١٨) .

لم تنقطع الرحلة في طلب الحديث الى مصر حتى نهاية عصر الولاة وأيام الطولونيين ، ففي عام ٢٥٧ هـ قدم الى مصر من أهل الحديث محمد بن فطيس بن واصل الغافقي من أهل البيرة بالأندلس ، فلقى بها من حفاظ الحديث والفقهاء المصريين يونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، واسماعيل بن يحيى المزني ومحمد بن أصبغ بن الفرج

وأبى عبيد الله ابن أخى أبو دهب وبحر بن نصر وغيرهم من أصحاب الحلق في جامع عمرو حينئذ .

وقد ذكر أحد معاصري ابن وأصل الفافقى في البيرة أنه سمعه يقول : لقيت في رحلتى نحوا من مائتى شيخ ما رأيت فيهم مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وقد اشتهر بأنه كان ضابطا للكتابة ، ثقة في روايته ، صدوقا في حديثه ، واليه كانت الرحلة من سائر أنحاء الأندلس حيث بلغ علو الدرجة ورئاسة الاسناد فيها (١١٩) .

وهكذا ظلت مصر وجامعها الشهير قبلة العلماء يفدون اليه من سائر الأنحاء وخاصة من بلاد المغرب والأندلس في عصر بنى أمية وكذلك أيام حكم الولاة العباسيين .



(ب) في مجال القسرات :

كانت الرحلة الى مصر وبلاد المشرق لاغراض عديدة منها للحج وايضا للتجارة واعلم بالعلم ، او لهذه الاغراض جميعا . كما كانت الرحلة للحج تعنى بالضرورة التوجه نحو مصر ، اذ لم يكن من طريق آخر الى الحجاز دون المرور بها ، ومن المعروف ان مصر أصبحت قاعدة الفتوحات الاسلامية نحو بلاد المغرب والأندلس ، فقد كان غزو افريقية على يد الحامية العربية التي أقامت بالفسطاط ، وكان رجال الحامية من هؤلاء الصحابة وأبنائهم من التابعين الذين ورد ذكرهم في تلك الفترات منذ عهد معاوية بن أبي سفيان وما خلفه من حكام بنى أمية مثل عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك (١٢٠) .

وكما ارتبط جامع عمرو بشرف استقبال الصحابة والتابعين الذين كان جل اهتمامهم نشر العلم والدين ورفع راية الجهاد في مصر وما أعقب ذلك من اشتراكهم في فتح بلاد افريقية والمغرب والأندلس (١٢١) . وكذلك كان بناء جامع القيروان (١٢٢) وغيره من المساجد الجامعة في هذه الامصار مرتبطا بهؤلاء المسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين الذين بذلوا من ألوان الجهاد في سبيل فتح تلك الأقاليم ، وفي تعليم الناس القرآن والحديث وهما عماد الدين والسنة وعماد الحركة العلمية الدينية كذلك .

أصبح جامع عمرو في تلك الفترة التي شهدت الفتوح الاسلامية في بلاد المغرب والأندلس دأب النشاط والحركة ، ومحط الأنظار من قبل طلاب العلم من أهل تلك البلاد ممن راحوا يعتنقون الاسلام ويعملون على نشره ، ويرفعون راية الجهاد في الثغور والامصار التي اختطوها كالقيروان وغيرها .

وقد شجع أهل مصر وغيرهم في افريقية في ذلك الوقت ما ضمه هذا المسجد الجامع بالفسطاط من رواة وحفاظ الحديث والقراء مثل أبي ذر الغفاري وعبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر الجهني وأبي تميم الجيشاني ، وعبد الرحمن بن داود المدني صاحب أبي هريرة أحد الحفاظ والقراء المشهورين آنذاك (١٢٣) .

قدم عبد الرحمن بن داود من المدينة الى مصر بعد أن أخذ القرآن عن أبي هريرة وابن عباس ، وكما يذكر السيوطي نقلا عن الذهبي أنه كان أول من برز في القسرات والسنن وأول من وضع العربية بالمدينة كما قيل أن نافع بن أبي نعيم صاحب القسرات

المعروفة أخذها عنه ، ولا شك أن قدومه الى الفسطاط ومشاركته في حلقات القراءة والحديث كان لها أثرها في نشاط الحركة العلمية الدينية في أواخر القرن الأول من الهجرة وأوائل القرن الثاني الهجري (١٢٤) .

وكان من أوائل القراء الذين تلقوا تعليمهم في جامع عمرو جعثل بن هاعان بن سعيد الريني ، روى عن ابن تميم الجيشاني القاري والمحدث ، وعنه أخذ بكر بن سودة . كان أحد القراء الفقهاء كما ذكر ابن يونس وقد أمره عمر بن عبد العزيز بالخروج من مصر الى المغرب ليعلمهم القراءة للقرآن الكريم ، وكانت وفاته سنة ١١٥ هـ (١٢٥) .

وكان ظهور قراءة ورش وشيوع ذكرها آنذاك له أثره في اجتذاب العديد من القراء والحفاظ من أهل المغرب وبلاد الأندلس إليها . فعلى الرغم من أن الأندلسيين قد تعرفوا على قراءة نافع بالمدينة بعد أن حملها اليهم القاريء الغازي بن قيس في عهد مؤسس الامارة الأموية عبد الرحمن الداخل ، إلا أن أهل قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية سرعان ما اقبلوا على قراءة ورش المصري ينهلون منها (١٢٦) .

ومن أوائل الذين رحلوا الى مصر محمد بن عبد الله القرطبي حيث لازم ورش نفسه وأخذ القراءة عنه ، وصار الى الأندلس يعلمها للناس . ثم اتبع ذلك قيام كثير من الأندلسيين بالرحلة الى الفسطاط للتتلمذ على أصحاب ورش كابى يعقوب الأزرق يوسف ابن يسار الذي خلف ورش على الاقراء بمصر كما أشرنا من قبل ، قال عنه أحد المعاصرين وهز أبو الفضل الخزاعي : « أدركت أهل مصر والمغرب على أبى يعقوب وورش لا يعرفون غيرهما » (١٢٧) .

والواقع أن شهرة ورش بمصر في ذلك الوقت لم تقتصر على بلاد المغرب والأندلس بل عمت شهرته أيضا بلاد المشرق الاسلامي ، فمن ذلك ما قام به أبو بكر الأصبهاني محمد ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن شبيب من أهل أصبهان في فارس ، حيث لم يكتف بأن أخذ قراءة ورش عن محمد بن عيسى بن رزيق أحد مواطنيه ، فاتجه الى المصيصة (١٢٨) فقرأ على أحد أصحاب ورش من المصريين ويدعى عامر بن سعيد الحرسى المتوفى سنة ٢٥٠ هـ . ثم واصل رحلته الى مصر فوجد أبا مسعود الأسود أو المدنى صاحب ورش المصرى يقرئ في جامع عمرو بن العاص ، فقرأ عليه بقراءة نافع ختما ، ولم تقصر همته ورغب في اللقاء بمن كان يجيد قراءة ورش حتى يقرأها عليه ، فقصده الى حلقة أبى الربيع

سليمان الرشدينى (ت ٢٥٣ هـ) صاحب ورش فسأله : الى من تسند قراءتك ، فقال الى ورش ، فقرأ عليه احدى وثلاثين ختمة (١٢٩) .

كما سمع ابو بكر الأصبهانى القراءة على يونس بن عبد الأعلى ولم يأخذها عنه عرضاً ، وعلى مشايخ القراء الآخرين كمواس بن سهل المعافرى المصرى ابن أخت أبى الربيع الرشدينى ، وهكذا قرأ أبو بكر على أصحاب ورش ، كما قرأ على غيرهم مثل عبد الرحمن ابن داود بن أبى طيبة (ت ٢٧٤ هـ) وأبى الأشعث الجيزى والحسين بن الجنيد المكفوف والفضل بن يعقوب الحمراوى ولما نفدت دنائره التى أنفقها على تلك الختمات التى بلغت ثمانين ختمة ، رحل الى العراق ونزل بغداد حيث جلس يقرئ الناس قراءة ورش (١٣٠) .

ومن طبقات القراء عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقى أبو الأزهر المصرى ، قرأ القرآن على ورش — كما قدمنا — وكان له تأثير كبير فى اجتذاب الأندلسيين الى مصر والقراءة عليه بطريقة ورش المعروفة ، يذكر السيوطى : ما بلغه من مكانة عند أهل الأندلس فيقول : ولما كان أبى الأزهر اعتمد الأندلسيون على قراءة ورش ، وكان من أشهر تلاميذه الذين وفدوا عليه محمد بن وضاح بن بديع الذى زاد مصر مرتين ، وفى رحلته الثانية تعلم قراءة ورش على أبى الأزهر وكتب عنه نسخة أخذها معه الى الأندلس (١٣١) .

كما كان ابن وضاح عالماً بالحديث ، سمع من سعيد بن أبى مريم وحرملة بن يحيى التجيبى والحارث بن مسكين وهارون بن سعيد الأيلى وغيرهم من حفاظ الحديث والأئمة المصريين (١٣٢) .



(ج) في مجال الفقهاء :

لم تقتصر رحلة طلاب العلم على رواية الحديث أو الاقراء في جامع عمرو بن العاص في بلاد افريقية والأندلس . بل كانت رحلتهم في سبيل التفقه على أيدي اصحاب الحلق من مشاهير الفقهاء المالكية والشافعية الذين ذاع صيتهم خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين .

وكان من أوائل الفقهاء الذين شدوا الرحال الى مصر من بلاد افريقية والمغرب عبد الله بن عبد الحكم البلوى ، حيث يمّم وجهه شطر جامع عمرو وجلس الى جملة من شيوخه . كما ذكر ابن يونس ، ثم عاد الى افريقية وصارت له حلقة عامرة في جامع القيروان (١٢٣) .

ومن الفقهاء الذين رحلوا الى مصر ابو عمران موسى بن علي رباح اللخمي توجه الى مصر وروى عنه شيوخ العلم واصحاب الحلق بالمسجد الجامع بالفسطاط مثل الليث ابن سعد وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب ، ذكر ابن لهيعة المحدث والفقير المصري : أن موسى هذا قدم الى مصر سنة ١٢٠ هـ وافدا الى الخليفة هشام بن عبد الملك في دمشق ، وكان يخضب بالسواد يومئذ ، وقد مكث بعد عودته فترة من الوقت بالفسطاط التقى بهؤلاء الشيوخ المصريين من اصحاب العلم والفقهاء البارزين (١٢٤) .

كما تجدر الاشارة أن ابراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة في اواخر القرن الثاني الهجري (١٢٥) قد تلقى تعليمه في جامع عمرو بن العاص ، حيث يذكر الكتاب أنه قضى صباه في الدرس والتحصيل بالفسطاط ، وأنه كان يحضر حلقة فقيه مصر الأشهر الليث ابن سعد ، وقد أعجب الليث بجدة ابراهيم واجتهاده ، وبما تميز به من الخلال حتى قال يوما عنه « ليكون لهذا الفتى شأن » (١٢٦) .

ومن فقهاء المالكية الذين برزوا في تلك الفترة وسبقوا غيرهم في الرحلة الى مصر على ابن زياد وكان من علماء القيروان مثل البهلول بن راشد وشجرة بن عيسى : كما كانت له حلقة في القيروان ، وبه تفقه كل من أسد بن الفرات ، وسحنون بن سعيد الذين أصبحا من شيوخ افريقية والمغرب المشاهير بعد ذلك وكان سحنون الفقيه يقول عنه : « ما أنتجت

أفريقية مثل علي بن زياد » ويبدو أنه بلغ منزلة حفاظ الحديث وفقهاء مصر يومئذ ، حيث يقول عنه سحنون عالم القيروان « ما فاقه المصريون الا بكثرة سماعهم » .

وذكر ابن يونس المؤرخ المصرى أنه كان أول من أدخل المغرب من الكتب « جامع سيفيان الثورى وموطأ مالك » وهما من التصانيف الشهيرة آنذاك (١٣٧) .

ونذكر من هؤلاء الذين اشتهروا بعلمهم ورحلوا الى مصر في العصر العباسى ابا خارجة عنيسة بن خارجة الغافقى ، قيل أن أكثر اعتماده على مذهب مالك ، سسمع بمصر من الليث بن سعد واليسع بن حميد ، وعبد الله بن وهب وغيرهم من جلة الفقهاء والمحدثين المصريين ، ثم عاد الى افريقية من أجل نشر علمهم بها ، وكانت وفاته سنة ٢١٠ هـ (١٣٨) .

لم تقتصر الرحلة الى القسطنطينية وتلقى العلم والفقهاء بالمسجد الجامع على الشيوخ المغاربة ، بل كانت الرحلة أيضا من قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس الى مصر حينذاك ، فقد رحل الى مصر معاوية بن صالح بن حدير الذى سبقته الإشارة اليه في مجال الحديث ، وكان فقيها راوية كما ذكر ابن الفرضى ، وقد تولى القضاء على الأندلس بعد رجوعه اليها (١٣٩) .

كما قدم من الأندلس الى مصر وبلاد المشرق الفقيه يحيى بن كثير وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، سمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب منه وسمع بمصر من الليث بن سعد مفتى الديار المصرية آنذاك وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وأنس بن عياض فى المسجد الجامع بالقسطنطينية ، وكانت عودته الى قرطبة ، قال عنه أحد معاصريه : قدم (يعنى يحيى) ، بعلم كثير فعادت فتيا الأندلس اليه بعد عيسى بن دينار ، وذلك مما يدل على ما بلغه فى الفقه وعلوم الحديث آنذاك . وقد توفى سنة ٢٣٣ هـ (١٤١) .

كذلك نذكر من فقهاء الأندلس الذين عملوا على نشر المذهب المالكي بقرطبة وغيرها من بلاد الأندلس ، الفقيه محمد بن خالد الأشج المعروف بابن مرتنيل من أهل قرطبة ، رحل الى بلاد المشرق ، وسمع بمصر من ابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز من فقهاء المالكية البارزين وكان الغالب عليه الفقه والاشتغال به حيث يذكر ابن الفرضى أنه لم يكن له بالحديث علم . ولا شك أنه عمل بعد عودته على نشر المذهب المالكي بتلك البلاد النائية حينذاك وكانت وفاته سنة ٢٢٤ هـ (١٤١) .

كما رحل من أهل قرطبة في ذلك الوقت الفقيه محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي عتبة الشهير بالعتبي ، سمع بالأندلس قبل رحيله من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ، ثم وفد على شيوخ مصر وفقهائها المشاهير ، والتقى في جامع عمرو بالفقيه المصري المالكي الشهير أصبغ بن الفرج ، وجمع على يديه « المستخرجة » هذا الكتاب الذي اشتهر بوضعه قبل أن يرحل عائدا إلى بلاده ، يشير ابن عبد الحكم زعيم المالكية إلى هذا الكتاب فيقول : « أتيت بكتب حسنة الخط تدعى المستخرجة من وضع صاحبكم محمد بن أحمد العتبي فرأيت جلها كنوبا » وقد وهبها ابن عبد الحكم يومئذ لرجل يقرأ فيها بعيدا عنه ، وقد توفي العتبي في قرطبة سنة ٢٥٥ هـ .

وعلى الرغم مما كان يراه رئيس المالكية في كتاب العتبية الذي وضعه العتبي إلا أن أهل الأندلس كما يقول ابن خلدون كان جل اعتمادهم عليه (١٤٢) .

ومن الذين ذاع صيتهم الفقيه والراوي عبد الملك بن حبيب في ذلك الوقت ، رحل إلى مصر والتقى بالعالم المصري سعيد بن أبي مريم صاحب التأليف في الفقه والتاريخ ، وقد أشار إلى نشاطه العلمي شيخه ابن أبي مريم فقال : « كان ابن حبيب عندنا نازلا بمصر ، وما كنت رأيت أდوم منه على الكتاب ، فدخلت عليه في القائلة في شدة الحر وهو جالس على شدة ، وعليه طويلة ، فقلت : ما هذا ، قلنسوة في مثل هذا ؟ فقال : هي تيجاننا » مما يدل على شدة اشتغاله بالعلم والتدوين أثناء فترة إقامته بالفسطاط (١٤٣) .

كما ذكر ابن خلدون أنه التقى بالشيخ ابن القاسم الفقيه المالكي الشهير وأخذ عنه حيث قال : « ورحل من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في الأندلس ودون منه كتاب الواضحة » التي لم يؤلف مثلها ، وهكذا كان ابن حبيب من أوائل الفقهاء الذين نشروا مذهب مالك في بلاد الأندلس (١٤٤) .

وقد عاد ابن حبيب فأصبح عالمها الشهير ، حيث لم يعمل على نشر المذهب المالكي في بلاد الأندلس فحسب بل صار عالما أيضا في الأدب ، والتاريخ ، حيث ألف كتباً وتصانيف كثيرة ، ويصف ابن الفرضي نشاطه بعد عودته ، فيقول : « وكان عبد الملك بن حبيب نحويًا وشاعرا حافظا للأخبار والأنساب والأشعار ، متصرفا في فنون العلوم » (١٤٥) .

ومن فقهاء المالكية الذين رحلوا الى مصر من بلاد الأندلس عبد الملك بن الحسن بن محمد ابن رزيق ، جلس الى أشهب بن عبد العزيز وأخذ عنه في مجال الفقه المالكي ، وحضر أيضا حلقة ابن القاسم الفقيه المالكي المعروف وابن وهب (١٤٦) ، والظاهر أنه قبل رحلته الى مصر وبلاد المشرق كان يميل الى مذهب أبي عمرو الأوزاعي (١٤٧) وهو أحد المذاهب الفقهية التي كان عليها أهل الشام في ذلك الوقت ثم رجع الى مذهب مالك أو مذهب المدنيين بعد التفائه بشيوخ مصر المالكية المذكورين ، وكان من أوائل الفقهاء الذين عملوا على نشر مذهب مالك ببلاد الأندلس ، كما كان الغالب عليه الفقه فلم يكن من أهل الحديث . وقد نوّى بقرطبة سنة ٢٣٢ هـ (١٤٨) .

ونعود الى فقهاء بلاد إفريقية والمغرب الذين كان لهم فضل كبير في نشر المذهب المالكي بها . فنذكر من هؤلاء الذين قدموا مصر ويمموا شطر المسجد الجامع بها ، الفقيه أسد ابن الفرات (قيل ان أصله من خراسان من مدينة نيسابور) دخل مع أبيه الى القيروان في جيش محمد بن الأشعث سنة ١٤٤ هـ ، ثم ارتحل الى المشرق لطلب العلم ، فلقى يومئذ مالكا وواظب على الجلوس اليه بالمدينة ، وسمع منه الموطأ ، ثم توجه الى العراق فلقى أصحاب أبي حنيفة حيث استفرغ علمهم ، وكانت رحلته بعد ذلك الى مصر قادما من بغداد ، فالتقى بأصحاب مالك ، وكانت ملازمته للفقيه المالكي عبد الرحمن بن القاسم ، حيث سمع منه وأخذ عنه « الاسدية » التي ذاع صيتها بعد ذلك ، والتقى أيضا في جامع عمرو بن العاص بالفقيه ابن وهب المحدث الشهير صاحب كتاب « الجامع في الحديث » وسأله يومئذ عن مسألة فأجابه فيها بالرواية المالكية ، لكنه لم يقتنع بأجابته .

واراد أن يدخل عليه غير روايته هذه فاستنكر منه ابن وهب ذلك فقال له : « حسبك اذا أدبنا اليك الرواية » كما يذكر المالكي (١٤٩) أنه انتقل بعد ذلك الى حلقة أشهب بن عبد العزيز فسأله في نفس الرواية التي سأل فيها ابن وهب من قبل ودار بينهما حديث وجدل وكانت هذه الحلقة تضم يومئذ الشيخ المالكي عبد الله بن عبد الحكم ، فكان رده على ابن الفرات : « مالك ولهذا ؟ هذا رجل أجابك بجوابه فان شئت فأقبل وان شئت فاترك » وفرق بينهما .

وهكذا كان ابن الفرات ينتقل من حلقة الى أخرى بين أروقة جامع عمرو يسمع ويتلقى ويناقش شيوخ المالكية المصريين الذين ذاع صيتهم وطبقت شهرتهم الآفاق

حينذاك ، ويبدو أن ابن الفرات كان يرغب في حواره مع شيخه أشهب الفقيه أن يجيبه وفقا لأصحاب الراى فى العراق من أنصار أبى حنيفة ، ولكن أشهب الفقيه المالكى كان حرصه أشد ما يكون على ذكر الرواية والانتصار لمذهب مالك بن أنس والتمسك به (١٥٠) .

ويصف المالكى كما ينقل عن معاصرى ابن الفرات ملازمته لشيخه ابن القاسم فى حلقاته وشدة إعجابه به يومئذ بمذهبه المالكى عندما قال ابن القاسم فى رده عليه : « يا مغربى زد وقل لى من أين قلت حتى أبين لك قول مالك » فعندئذ قام أسد على قدميه فى صحن المسجد وصاح : معاشر الناس ، ان كان مالك بن أنس قد مات فهذا مالك ابن أنس » .

كما يصور لنا المالكى كيف كتب ابن الفرات « الأسدية » عن شيخه ابن القاسم « فقد كان يقدو اليه كل يوم ويجيبه شيخه حتى دون ستين كتابا وسماها الأسدية » (١٥١) .

ولما عزم الرحيل الى القيروان ، قام عليه أهل مصر فسألوه فى كتبه أن ينسخوها فأبى عليهم فقدموه الى قاضى مصر آنذاك فقال لهم القاضى : وأى سبيل لكم عليه ، رجل سأل رجلا فأجابه وهو بين أظهركم فسلوه كما سألوه ، وعندئذ طلبوا من القاضى أن يسأل ابن القاسم ، فلما طلب منه القاضى أجابه الى ذلك . فنسخوا الأسدية حتى فرغوا منها . ويقول المالكى انه لما قدم أسد افريقية أظهر الكتب التى دونها وأسمعها الناس ، وهكذا انتشر فقه ابن القاسم فى بلاد افريقية والمغرب حينذاك (١٥٢) .

كما ذكر أنه لما بلغ سحنون بن سعيد فقيه القيروان الشهير مصر بعد ابن الفرات سأل ابن القاسم عن أسد ، وما فعل الله به فأخبره بما نشر من علمه فى جميع الآفاق فسر بذلك ثم شافهه سحنون فى مسائل سأله عنها (١٥٣) .

وقد عاد ابن الفرات الى القيروان وأسند اليه القضاء لما اشتهر به من العلم والفقه ، ونقل المالكى عن أحد معاصرى ابن الفرات أنه ضرب شيخا من شيوخ العلم لما شهد عليه أنه انتقص من قدر ابن القاسم المصرى وعلمه ، مما يدل على مدى تقديره لشيخه ومعلمه (١٥٤) بمصر ، ذكر النباهى المالكى ان أسد بن الفرات كان أحد صدور الشجعان ، ولاه زيادة الله القضاء بافريقية وقدمه على غزو صقلية ، فخرج فى عشرة آلاف رجل وتحقق

على يديه النصر (١٥٥) . وقد كتب ابن الأغلب الى الخليفة العباسي المأمون بأنباء النصر الذى حققه على السمرقند (١٥٦) .

ومن الذين رحلوا من المفاربة في طلب العلم وكانوا من المعاصرين لابن الفرات ، أبو عبد الله زرارة بن عبد الله المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ، روى عن مالك بالمدينة ، ثم الليث ابن سعد بمصر ، وعاد الى القيروان حيث أصبح من الفقهاء الذين كانت لهم حلقة علم في جامع القيروان (١٥٧) .

اما الفقيه القيروانى أبو سعيد سحنون بن سميد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، فقد ملأ الدنيا بعلمه وفقهه وذلك بعد أن تعلق بفقهاء القيروان . ويعزى الفضل في ذلك الى رحلته الى مصر سنة ١٨٨ هـ حيث سمع من ابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز ، كما لى عبد الله بن وهب وأخذ عنه ، وعبد الله بن طليب الماردى « من قبيلة مراد اليمنية » وعبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن أبى مريم ويوسف بن عمر من الشيوخ والأئمة المصريين الذين كانت حلقاتهم لا تنفك في جامع عمرو منذ صلاة الصبح حتى العشاء الآخرة من كل يوم ، يقول المالكي (١٥٨) : « وكان اعتماد سحنون على ابن القاسم وبه تفقه وصحح عليه الأسدية ، وكان لا يكاد يفارقه في سماع العلم والبحث عنه » .

ولما فرغ سحنون فقيه القيروان من قراءة الفقه على ابن القاسم وغيره من فقهاء المالكية في جامع عمرو ، خرج الى الحجاز للحج وكان معه كل من عبد الله بن وهب وأشهب ابن عبد العزيز ، وتشير الرواية الى ما كان من حرص سحنون للاستفادة من شيخه اثناء الحج فهو يقول : « لما حججنا كنت أزامل ابن وهب وكنت على الشق الأيمن ، وكان أشهب يزامله وكان ابن القاسم يزامله ابن موسى أبو هارون » ، قال سحنون : « فكنت اذا نزلت ذهبت الى ابن القاسم أسأله عن الكتب وأقرأ عليه الى قرب وقت الرحيل » وهكذا كان حرص سحنون على طلب العلم من شيوخه المصريين ليس فقط في حلق المسجد الجامع بالنسطاط ، بل حتى اثناء تادية فريضة الحج بالحجاز (١٥٩) .

يقول عنه شيخه ابن القاسم : ما قدم الينا من افرقية أحد مثل سحنون لا ولا ابن غانم « وقد عبر فقهاء المالكية المصريون عن اعجابهم بسحنون وما وعته ذاكرته يومئذ قيل أنه لما عاد سحنون الى القيروان كان العلم في صدره محفوظا كسورة من القرآن » (١٦٠) .

وقد اشتهر سحنون بمدونته التي سمعها من ابن القاسم كما اشتهر ابن الفرات بكتابة « الأسدية » حينذاك قيل أنه لما دون سحنون كتابه الذي أطلق عليه المدونة . طلب منه حين لقائه بابن الفرات أن يراجع عليه الأسدية فاعتم لذلك ابن الفرات ، حيث يذكر المالكي أن أحد معاصريه دخل عليه فوجده يبكي ، فلما سأله عما نزل به أخبره بأنه ورد اليه كتاب من شيخه ابن القاسم يأمره فيه بضرورة أن يعرض كتبه التي أملاها عليه على كتب سحنون التي دونها عن شيخه أيضا أثناء رحلته الى الفسطاط واقامته بها (١٦١) .

وقد تولى سحنون القضاء سنة ٢٣٤ هـ لما بلغه من المكانة العلمية المرموقة ولم يزل قاضيا بالقيروان حتى كانت المحنة والقول بخلق القرآن ، ومن الجدير بالذكر أنه كان أول قاض فرق خلق أهل البدع من الجامع ، وشرذ أهل الأهواء - منه - وكانوا فيه حلقا من الصفرية والأباضية والمعتزلة ، وهذه الفرق من الخوارج وأهل الاعتزال الذين قالوا بخلق القرآن في عهد المأمون حيث كانوا يعقدون حلقا يتناظرون فيه ويظهرون زيغهم ، كما حدث في المسجد الجامع بالفسطاط في عهد المعتصم والوائق ، يذكر المالكي أن سحنون قام بعزل أصحاب هذه الفرق حتى لا يصبحوا أئمة الناس أو معلمين لصبيانهم آنذاك ، كما ذكر أنه كان أول قاض جعل في المسجد الجامع بالقيروان اماما يصلى بالناس وكان ذلك للامراء فقط (١٦٢) .

وقد أخذ بمحنة القرآن، كما وقع في مصر في ذلك الوقت ، وقيل أن القاضي ابن أبي الجواد كان يود لو قتله ، لكن الأمير أحمد بن الأغلب كما أشار عليه أحد المقربين ، أمر بحبسه في داره فلا يخرج الى المسجد الجامع أو غيره ، وأن ينادى عليه بالقيروان الا يفتى ولا يسمع احدا ويلزم داره . كما ذكر المالكي نقلا عن أحد الرواة أن القاضي أمر الحراس أن يأخذوا بثياب من دخل عليه، وهكذا ظل في داره محبوسا حتى توفي سنة ٢٤٠ هـ (١٦٣) .

أما ابنه محمد بن سحنون فقد ذاعت شهرته بعد أبيه ، وخاصة بعد أن رحل الى مصر ولقى الفقيه المزنى صاحب الشافعي ، كما قيل ان علماء مصر كانوا يأتونه في المسجد الجامع بالفسطاط ويسلمون عليه ، ولعله كان من أوائل الفقهاء الذين عملوا على تلقى الفقه الشافعي وتعليمه للناس في جامع القيروان ، وقد اشتهر بغزارة التأليف حيث ألف في جميع العلوم التي كانت سائدة في عصره ، وكان من احسن الكتب التي وضعها كتابا « الإمامة » اللذان نسخهما بماء الذهب وأهداهما الى الخليفة العباسي . وقيل إن تصانيفه بلغت نحو مائتي كتاب (١٦٤) .

وهو صاحب تلك المناظرة التي شاع ذكرها بالفسطاط ، التي جرت بينه وبين أحد اليهود الذي مكث يناظره من صلاة الظهر فيها حتى المغرب ، حيث أظهر الله الحق والبرهان على يديه . وقد تجمع أهل الفسطاط لسماعها فكان اسلام اليهودى على أثرها وقال أهل مصر يومئذ « اسلم اليهودى على يدى الفقيه المغربى » (١٦٥) .

وقد تحلى ابن سحنون بصفات طالب العلم التي كان يقول بها أبو جعفر أحمد بن أبى سليمان الصواف وكان حكيما ينطق بالحكمة حيث قال (١٦٦) : أنه اذا طلب المرء العلم فعليه أن يتخذ قبله أدبا يستعين به على طلبه . وان يتخذ له بعد طلبه أدبا يستعين به على حمله . ومن أدب العلم العلم .

وكانت حلقة ابن سحنون في المسجد الجامع غير حلقة أبيه ، وقد انتشرت امامته في حياة والده . بعد ان أدرك من العلوم ما لا يدركه غيره من أهل عصره (١٦٧) .

وقد أعقب ابن سحنون في الرحلة الى مصر فقيه القيروان الشهير يحيى بن عمر بن يوسف المتوفى سنة ٢٨٩ هـ . رحلته الى الفسطاط . ولقى من علماء مصر يحيى ابن بكير . ومحمد بن رمح وابن كاسب . كما اضاف الدباغ الى شيوخه الذين التقى بهم وجلس اليهم في جامع عمرو كل من حرملة بن يحيى التجيبى والحاتر بن مسكين وأصبغ بن الفرّج من شيوخ المالكية ، وقيل في ذلك الوقت أن يحيى بن عمر أنفق على رحلته في طلب العلم نحو المشرق نحو ستة آلاف دينار (١٦٨) ، ولما عاد أصبحت له حلقة عامرة وكان كما يذكر المالكي له كرسي يجلس عليه في المسجد الجامع بالقيروان ، حيث يجتمع عليه الناس لكثرتهم . ولم يكن أحد قد سبقه من فقهاء المغرب الى مثل ذلك (١٦٩) .

وعلى الرغم من قيام فقهاء القيروان برحلتهم الى مصر والجلوس الى أصحاب الشافعى في حلقتهم بالمسجد الجامع في أواخر عصر الولاة ، الا أنه لم يكن هناك ميل لنشر المذهب الشافعى بأفريقية كما هو الحال بالنسبة لمذهب الامام مالك ، حيث انتشر بالقيروان وغيرها من بلاد افريقية وذلك بفضل هؤلاء الفقهاء الذين تتلمذوا على أيدي شيوخ المالكية المصريين من الذين سبق ذكرهم ، وان كان مذهب الحنفية قد أخذ طريقه الى افريقية أيضا بعد أن قدم اليها عبد الله بن فروح أبو محمد الفاسى ، ثم غلب عليها لما ولى قضاءها أسد بن الفرات (١٧٠) ، وخير شاهد على ذلك ما ذكره المقدسى حينما زار

بعضهم القضاء، فقد تولى أسلم بن عبد العزيز قضاء قرطبة مرتين (١٧٧) ، وإيضاً فقد ولى الحكم بن هشام قضاء الجماعة بقرطبة لفرج بن كنانة وكان من الفقهاء المعدودين بالأندلس (١٧٨) .

ومن الجدير بالذكر أن بعض قضاة الأندلس كانوا إذا اختلفت عليهم الفقهاء في بعض المسائل أو القضايا يكتبون إلى فقهاء مصر كما حدث عندما أشكل الأمر على القاضي محمد ابن بشير المعافري فإنه كتب إلى عبد الرحمن بن القاسم وإلى عبد الله بن وهب للاستفادة من علمهما والرد على هؤلاء الفقهاء الأندلسيين .

ظلت الرحلة إلى مصر وبلاد المشرق من أهل قرطبة وبلاد الأندلس الأخرى خلال القرن الثالث الهجري ، وكان محمد بن يوسف بن مطروح من أبرز هؤلاء ، فقد رحل في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، حيث سمع من سحنون بالقيروان ، ثم واصل رحلته إلى مصر فسمع بها من أصبغ بن الفرج صاحب الحلقة الشهير بجامع عمرو آنذاك ، ومن مطرف بن عبد الله بالمدينة ، ثم قدم إلى الأندلس بعد أن طوف في بلاد إفريقية ومصر والحجاز ، وقد تولى أمر الفتيا في المسجد الجامع بقرطبة لما بلغه من الفقه والعلم حتى وفاته سنة ٢٧١ هـ (١٧٩) .

كما قدم إلى القسطنطينية في ذلك الوقت الفقيه محمد بن عميرة العتقي ، حيث سمع من يحيى بن بكير وأبي الصعب وأصبغ بن الفرج ، ولما عاد إلى الأندلس أخذ ينشر علمه في أهله بجهة تدمير حتى توفي سنة ٢٧٦ هـ (١٨٠) . كذلك رحل محمد بن سباط بن حكم المخزومي من أهل قرطبة ، فسمع بمصر وفي جامع عمرو بن العاص من الحارث بن مسكين أحد فقهاء المذهب المالكي ، ولا شك أنه عمل على نشر مذهب شيخه ابن مسكين بعد عودته إلى قرطبة وجلسه في حلقاته بالمسجد الجامع بها وكان حافظاً للفقه كما يقول ابن الفرضي « عاقدًا للوثائق عالماً بها وقد توفي سنة ٢٧٩ هـ » (١٨١) .

والحقيقة أنه يصعب حصر هؤلاء الذين ارتحلوا إلى مصر وبلاد الحجاز وغيرها من أهل الأندلس حتى أن المقرئ يشير إلى ذلك صراحة فيقول (١٨٢) : « ان حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا علام الغيوب شديد المحال » .

ومما يلفت النظر أن هؤلاء القادمين من بلاد الأندلس كانوا يميلون إلى التفقه بمذهب مالك ، وكانوا من الكثرة حتى قيل ان عددهم أجل من أن يحصى نذكر من أبرزهم محمد

ابن أسلم الأزدي الذي تلقى العلم من الربيع بن سليمان الجيزي والربيع بن سليمان المؤذن وهما من أعلام الحركة العلمية في أواخر عصر الولاة (١٨٢) ، والفقيه محمد بن وليد ابن محمد بن عبد الله من أهل قرطبة الذي رحل الى الشرق وسمع من يونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزني وغيرهم من أصحاب الحلق بالمسجد الجامع بالفسطاط (١٨٤) .

وايضا الفقيه محمد بن فطيس بن واصل الفافقي من أهل البيرة سالف الذكر الذي كانت رحلته الى مصر سنة ٢٥٧ هـ ، وسمع من أصبغ بن الفرّج ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى (١٨٥) ، ومنهم مطرف بن عبد الرحمن من أهل جيان سمع من محمد بن عبد الله وأخيه سعد من فقهاء المالكية ، والفقيه وليد بن قزلمان ابن نزيغ ، وهاشم بن صالح من أهل قرطبة (١٨٦) .

والواقع أن رحلة هؤلاء لم تقتصر في ذلك الوقت على تحصيل الفقه أو الحديث ، بل كانت في سبيل الرواية والتاريخ أيضا وتعلم العربية كما هو الحال بالنسبة لمطرف بن عبد الرحمن ، حيث سمع يحيى بن عبد الله بن بكير الفقيه والرواية المصري ، كما سمع من عمرو بن خالد ، وكان عالما بالنحو كما كان شاعرا سمع منه الناس كثيرا . وقد توفى سنة ٢٨٢ هـ (١٨٧) .

كما رحل من بلاد الأندلس الى مصر ابراهيم بن عجينس بن أسباط الزياي من أهل وشقة ، كان حافظا للفقه ، سمع من يونس بن عبد الأعلى أحد الأعلام بالفسطاط ، وقد عاد الى بلاده واختصر المدونة الشهيرة لسحنون التي صارت جل اهتمام أهل القيروان في ذلك الوقت (١٨٨) ، يشير الى أهميتها ابن خلدون فيقول (١٨٩) : فكانت تسمى المدونة والمختلفة وقد عكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتبية وكانت هذه الكتب أو التصانيف هي أجل ما دون في مذهب مالك حينذاك كما أسلفنا القول ، فلا غرو اذ انتشر هذا المذهب في بلاد الأندلس وذلك كانتشاره في سائر بلاد افريقية والمغرب .

ومن هؤلاء الأندلسيين الذين قدموا مصر في سبيل العلم والدرس في أواخر عصر الولاة كل من يحيى بن ابراهيم بن مزين ، ويحيى بن عمر بن يوسف الكناني (١٩٠)

ويوسف بن مؤذن بن عيشون المعافري ، حيث جلسوا الى فقهاء مصر البارزين كابن الفرج
الفقيه المالكي الشهير ويحيى بن حرملة التجيبي الفقيه الشافعي ، ومحمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم (١٩١) .

كما وفد على مصر في تلك الفترة من هؤلاء الفقهاء أحمد بن عمرو بن منتصر ، وأحمد
ابن يحيى بن زكريا من أهل قرطبة ، وقد تحلقا في جامع عمرو بن العاص وأخذا عن الربيع
ابن سليمان الجيزي صاحب الشافعي ، والفقيه المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله بن
عبد الحكم وأخيه مفتي مصر آنذاك والذي اليه صارت الرحلة من المغرب والأندلس
لشهرته وذيوع صيته حيث كان أفقه أهل عصره (١٩٢) .



(١١) ومما تجدر الإشارة اليه أنه يوجد حالياً بالقاهرة كوبرى القبة - مسجد يحمل اسمه وله به مقــــــــــــــــام .

(١٢) الســـــــــــــــــيوطى ، ص ٣٧ .

(١٣) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٩٤ .

(١٤) قال الشــــــــــــــــاعــــــــــــــــر :

وما الجد الا مثل جد ابن جحدم وما العزم الا عزمه يوم خندق
ثلاثون الفا هم اثاروا توابه وخدده فى شهر حديث مصدق
الكنــــــــــــــــدى : الســـــــــــــــــيوطى ، ص ٤٢ .

(١٥) قال الشاعر عبد الرحمن بن عبد الحكم فى تلك المناسبة :

وسدت معافرا أفق البلاد بمرعد جيش لها مبرق
ونادى الكفافة ألا قابر زوا فحتــــــــــــــــام حتى ولا نلتقى
وقال الشاعر زياد بن قائد اللخمي فى قتل الأكرد بن حمام بن عامر سيد لخم :

كما لقيت لخم ما ساءها بأكرد لا يبعدن أكرد
هو السيف جرد من غمده فلاقى المنايا وما يشعر
فلهفى عليك غداة الردى وقد ضاق وردك والمصدر

(١٦) اشتهر الشاعر جميل صاحب بشينة بالفزل العف أو ما أصطلح على تسميته بالفزل العذرى . ابن الكنى : فضائل مصر ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٥٨ . عبد المنعم ماجد : تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٩٣ .

(١٧) ابن الكنى : فضائل مصر ، ص ٤٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥٨ .

(١٨) الكنى : الســـــــــــــــــيوطى ، ص ٤٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٢٠) محمود مصطفى : الأدب العربى فى مصر ، ص ٦٩ .

(٢١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥٩ .

(٢٢) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥٩ .

(٢٣) ســـــــــــــــــيرة القاهرة ، ص ١٠٠ .

(٢٤) وضع الخليل بن أحمد عالم النحو والعروض في البصرة (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م)
بحور الشعر التي تعطى له موازين محددة، وقد حصرها في خمسة عشر بحراً، وانزاد عليها
الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ وقيل ٢٢١ هـ) بحراً واحداً وهو ما عرف بعلم العروض .
ابن النديم : الفهرست ، ص ٦٣ - ٦٤ ، ٧٧ - ٧٨ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة
الاسلامية ، ص ١٩٤ .

(٢٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٨ ، عصام الدين عبد الرؤوف :
الحواضر الاسلامية ، ص ١٦٧ .

(٢٦) الأغصاني : ج ٢٠ ، ص ١٦١ .

(٢٧) الفهرست : ص ٢٢٩ .

(٢٨) قال الشاعر دعبل للمطلب حينما خرج من مصر متجهاً الى مكة في البحر الأحمر:
فكيف رأيت سيوف الجريش ومالك في الحج من رغبة
أحجبتك أسيافهم كارهها ووقعة مولى بنى ضسبه
الكندي : السـيـولة ، ص ١٦١ .

(٢٩) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

(٣٠) حسن أحمد محمود : الكندي المؤرخ ، ص ٤٠ .

(٣١) الكندي : السـيـولة ، ص ١٢٧ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣٣) قال سعيد بن عفيرة الشاعر :

لعمري لقد لاقى هيرة حتفه بأفضل ما تلقى الحتوف السوارع
بأنف حمى لم تخالطه ذلة يمرض نقى لم تشنه المطامع
عشية يكفيه مطلب النى به ضاق ذرعا والمنايا كوارع

(٣٤) السـيـولة ، ص ١٥٥ .

(٣٥) نفس المصدر ، ص ٣٩٩ .

(٣٦) نفس المصدر ، ص ٤١٥ .

(٣٧) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٤٥٢ .

(٣٨) نفس المصدر .

- (٣٩) الفهرست . ص ٢٣٥ .
- (٤٠) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ . ص ٢٩٢ .
- (٤١) نفس المصدر . ص ٥٣١ .
- (٤٢) ابن حجر . رفع الأصر . ص ٢١ .
- (٤٣) السيوطي : المصدر السابق . ص ٣٠٤ .
- (٤٤) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ١١ ، تحقيق وترتيب أحمد الشرباصى .
- (٤٥) فمن شعره فى الحب الالهى :
- اموت وما ماتت اليك صبابتى ولا قضيت من صدق جيك أوطارى
منال المنى كل المنى أنت لى المنى وأنت الغنى كل الغنى عند اقتارى
وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتي وموضع شكواى ومكنون اضمارى
تحمل قلبى فيك ما لا أبشسه وان طال سقمى فيك او طال اضرارى
- (٤٦) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٤ - ٢٥ .
- (٤٧) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٣ .
- (٤٨) يتألف الحديث كما هو معروف من قسمين : القسم الأول سلسلة رواة الحديث على التوالى ويسمى الاسناد أو السند وذلك لاثبات صحة الخبر حيث يبدأ السند بآخر راو للحديث ويتدرج حتى يصل الى اسم الصحابى الذى سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اما القسم الثانى للحديث فهو « المتن » أو ما يحتوى عليه الحديث من المفردات التى نطق بها النبى صلى الله عليه وسلم .
- (٤٩) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٥ - ٥٧ .
- (٥٠) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٧ .
- (٥١) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، أحمد أمين :
- فجر الاسلام ، ص ١٥٩ .
- (٥٢) نقل ابن عبد الحكم عن أدريس بن يحيى الخولاني عن ابن عياش القنبانى عن أبيه عن تبيع الراوية وصف المساجد الخمسة المقدمة ، منها المسجد الذى فى القيسارية التى تباع فيها المواثيق ومسجد البخات ومسجد عمرو بن العاص . فتوح مصر والمغرب ،

ص ١٦١ . السيوطي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، عبد المجيد عابدين :
المحطات من تاريخ الحياة الفكرية ، ص ١٠٢ .

(٥٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى : ج ٥ ، ص ١٣٣ ، فتوح مصر
والمغرب . ص ١٥٩ .

(٥٤) ينقل ابن عبد الحكم من هذا الكتاب وصفا لمدينة الإسكندرية ، فقد ذكر أن
عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر .
فتوح مصر والمغرب ، ص ١٢١ .

(٥٥) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

(٥٦) نسبة الى قبيلة أصبح أو ذو أصبح إحدى قبائل حمير اليمنية ، وهي قبيلة
كبيرة نزلت الجيزة بأمر عمرو بن العاص مع القبائل الأخرى ، وعميدهم أبرهة بن الصباح
الحميري الذي دخل مصر في جيش عمرو الفاتح لمصر . ابن عبد الحكم : المصدر السابق ،
ص ١٧٦ . السيوطي المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٥٧) المقبريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٥٨) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

(٥٩) فتوح مصر والمغرب ، ص ٨١ ، ص ١٠٨ ، الولاة ، ص ٨٧ - ١٣ ، ١٨ ، ٢٨ .

(٦٠) نقل المقرئ فقرات من هذا الكتاب وذلك من كتاب المؤرخ المصري أبي خليفة
حميد بن هشام ، يدلنا على ذلك ما جاء في قوله : قال أبو خليفة : ليس في كتاب عبد الله
ابن وهب ولا في كتاب الواقدي تسمية ينتمى إليها . . . الخ . مشيراً بذلك الى الثياب
البقراطية التي اشترط عليها في معاهدة البقط التي جرت بين عبد الله بن سعد بن أبي
السرْح وبين ملك النوبة سنة ٣١ هـ . الخطط ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦١) الفهرست ، ص ١٨٩ .

(٦٢) نقل ابن عبد الحكم من كتبهم ومخطوطاتهم فقرات كثيرة وروى عنهم في كثير
من كتابه « فتوح مصر والمغرب » كما استعان أبو عمرو الكندي بعد قرون من الزمان على
وفاة المؤرخ ابن عبد الحكم بهذه التصانيف لهؤلاء الاخباريين والمؤرخين المذكورين .

(٦٣) الخطط ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦٤) نسبة الى المعافر وهى قبيلة يمنية كبيرة ينسب اليها خلق كثير بعضهم باليمن وكان معظمهم بمصر أيام أن وفد ابن هشام عليهم بمصر . ومن المعروف أن المعافر كانت من قبائل الفتح التى اختطت بالفسطاط وظلت حتى أواخر القرن الثالث الهجرى . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٣ .
G. Weil : Repertoire, Chronologique, tome, 2, p. 65.

السيرة النبوية ، المقدمة .

(٦٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٣١ .

(٦٦) روى عنه عبد الله بن عبد الحكم : وابنه عبد الرحمن وغيرهما من المؤرخين المصريين .

(٦٧) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤١ ، حسن أحمد محمود : الكندى

المؤرخ ، ص ٤٠ .

(٦٨) الخطط ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٦٩) رياض النفوس ، ص ١١ .

(٧٠) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٦ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ

المغرب العربى ، ص ١١٧ .

(٧١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٧ ، ٤٦٤ ، محمد عبد الله عنان : مؤرخو

مصر الاسلامية ومصادر التاريخ الاسلامى ، ص ١٠ .

(٧٢) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧ .

(٧٣) ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى أواخر سنة ١٣٤٥ هـ ، أما الطبعة الثانية

فقد قام بالتعليق عليها أحمد عبيد بمدينة دمشق وأسند مهمة نشرها الى السيد وهبة

حسن وهبة صاحب مكتبة وهبة - عابدين - القاهرة ، سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

(٧٤) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٣٩ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .

(٧٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، المقدمة ، السيوطى : حسن المحاضرة ،

ص ٣٤٧ .

(٧٦) نفس المصدر ، ص ١٢١ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤٤ .

(٧٧) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ٨ م .

(٧٨) السيوطى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .

- (٧٩) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .
- (٨٠) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٢٢٧ .
- (٨١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٤٩٣ ، عفان : مؤرخو مصر
الاسلامية ، ص ١١ .
- (٨٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، المقدمة ، تحقيق عبد المنعم عامر .
- (٨٣) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٦ .
- (٨٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٥ ، البلاذرى : فتوح
البلدان ، ص ٢٣٠ .
- (٨٥) رياض النفوس ، ص ٦ .
- (٨٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
- (٨٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٨٩ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .
- (٨٨) المالكى : رياض النفوس ، ص ٦٥ ، السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .
- (٨٩) نفس المصدر ، ص ٦٩ .
- (٩٠) المالكى : رياض النفوس ، ص ٧٤ ، السيوطى : حسن
المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .
- (٩١) نفس المصدر ، ص ٧٥ ، السيوطى : نفس المصدر ، ص ٢٩٨ .
- (٩٢) نفس المصدر ، ص ١٠٣ .
- (٩٣) نفس المصدر ، ص ٧٥ - ٧٦ .
- (٩٤) المالكى : رياض النفوس ، ص ٧٦ .

- (٩٥) نفس المصدر ، ص ٧٧ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .
- (٩٦) نفس المصدر ، ص ٧٩ .
- (٩٧) السيوطي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .
- (٩٨) بلغ من حرصه على الصلاة في المسجد والجلوس فيه ما عبر عنه حين قال :
ما أذن المؤذن لصلاة الصبح منذ أربعين سنة الا وأنا في المسجد الا أن أكون مريضاً أو
مسافراً . المالكي : رياض النفوس ، ص ٨٤ .
- (٩٩) المصدر السابق ، ص ٨٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .
- (١٠٠) نفس المصدر ، ص ٩٠ ، السيوطي : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .
- (١٠١) المالكي : رياض النفوس ، ص ٩١ ، السيوطي : حسن المحاضرة ،
ج ١ ، ص ٢٨٠ .
- (١٠٢) نفس المصدر ، ص ١٠٠ ، السيوطي : نفس المصدر ، ص ٢٢٠ .
- (١٠٣) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ ، السيوطي :
المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٧ .
- (١٠٤) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٥٥ .
- (١٠٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٤ ، ص ٣٣ .
- (١٠٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
- (١٠٧) نفس المصدر والصفحة .
- (١٠٨) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٥٢ ، السيوطي :
حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .
- (١٠٩) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، السيوطي : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .
- (١١٠) تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .
- (١١١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .
- (١١٢) نفس المصدر والجزء ، ص ٣٩٨ .
- (١١٣) المقدمة ، ص ٤٩٣ .
- (١١٤) تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٩ .

- (١١٥) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .
- (١١٦) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣٨ .
- (١١٧) المصدر السابق والجزء ، ص ١٣ ، ص ٢٥٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١١٨) ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .
- (١١٩) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٤٢ — ٤٣ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٢٠) ذكر ابن عبد الحكم عن الصحابة الذين اشتركوا في فتح افريقية عددا كبيرا منهم عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، والمقداد بن عمرو معاوية بن حديج التجيبى وعقبة ابن نافع الفهري وسفيان بن وهب الخولاني ، مسعود بن الأسود البلوى وغيرهم . فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٠ — ٢٧٥ .
- (١٢١) شجع هؤلاء المجاهدين من الصحابة والتابعين على فتح افريقية ما ورد في فضلها . فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ، وعن انس بن مالك انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا تزال عصابة من أمتي بالمغرب يقاتلون على الحق حتى تقوم الساعة» .
- (١٢٢) ذكر المالكي أن عقبة بن نافع حينما اختط القيروان كان معه في عسكره خمسة وعشرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . رياض النفوس ، ص ٦ ، تحقيق حسن بن مؤنس .
- (١٢٣) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، ٤٨٥ .
- (١٢٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣٨٧ ، السيوطي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٩٨ .
- (١٢٥) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣٨٧ ، السيوطي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٨٥ .
- (١٢٦) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٦ .
- (١٢٧) المصيصة أحد ثغور الشام تقع بين أنطاكية وبلاد الروم حيث كان المسلمون يفضلون الرباط فيها ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

- (١٢٩) البرى : القسراً وعلومه فى مصر ، ص ٢٢٨ .
- (١٣٠) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٦ ، البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٢٢٨ .
- (١٣١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ١٧ .
- (١٣٢) نفس المصدر ، ص ١٨ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ ، السيوطى : المصدر السابق ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، البرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .
- (١٣٣) المالكى : رياض النفوس ، ص ١٠٦ .
- (١٣٤) نفس المصدر ، ص ١١٢ ، ١١٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٨٢ .
- (١٣٥) تولى ابراهيم بن الأغلب الامارة فى افريقية سنة ١٨٤ هـ من قبل الخليفة هارون الرشيد ، وقام ببناء مدينة جديدة أطلق عليها اسم العباسية بالقرب من القيروان ، ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ١٨١ هـ .
- (١٣٦) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ٣٦١ .
- (١٣٧) المالكى : رياض النفوس ، ص ١٥٨ .
- (١٣٨) المالكى : رياض النفوس ، ص ١٦٣ .
- (١٣٩) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
- (١٤٠) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٤١) تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٧ .
- (١٤٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٩ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .
- (١٤٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .
- (١٤٤) المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٤٥) تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣١٥ .
- (١٤٦) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(١٤٧) انتشر مذهب الأوزاعي بمدن الشام، حتى ولى قضاء دمشق بعد قضاء مصر أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي سنة ٢٨٤ هـ ، فأدخل إليها مذهب الشافعي وحكم به قتيبة بعد ذلك القضاة ، وهو أول من أدخله الشام ، وكان يهب لمن يحفظ مختصر المزني مائة دينار ، توفي سنة ٣٠٣ هـ . الكندي : القضاة ، ص ٤٨٠ ، أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٨٠ - ٨١ .

(١٤٨) ابن الفريسي : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

(١٤٩) رياض النفوس ، ص ١٧٣ .

(١٥٠) نفس المصدر ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(١٥١) رياض النفوس ، ص ١٧٣ .

(١٥٢) نفس المصدر ، ص ١٧٩ .

(١٥٣) نفســـــــــــــــــه ، ص ١٨٠ .

(١٥٤) رياض النفوس ، ص ١٨١ .

(١٥٥) تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٤ .

(١٥٦) المالكي : المصدر السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(١٥٧) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(١٥٨) كان مولد سحنون بالشام سنة ١٦٠ هـ وقدم مع أبيه الى افريقية ،

المالكي : رياض النفوس ، ص ٢٤٩ .

(١٥٩) نفســـــــــــــــــه ، ص ٢٥٣ .

(١٦٠) يقول عنه أحد المعاصرين له : ورأيت اصحاب ابن القاسم بمصر واصحاب

ابن وهب واشهب ، ورأيت بمكة علماء وعلماء من أهل بغداد قدموا إليها ، فوالله ما رأيت

فيهم مثل سحنون ولا مثل ابنه محمد بعده . المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .

(١٦١) المالكي : رياض النفوس ، ص ١٨١ - ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٦٢) المصدر السابق - ص ٢٧٦ .

(١٦٣) رياض النفوس ، ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(١٦٤) نفس المصدر ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(١٦٥) نفس المصدر ، ص ٣٥٢ .

(١٦٦) المالكي : رياض النفوس ، ص ٤٠٧ .

- (١٦٧) توفي محمد بن سحنون سنة ٢٥٦ هـ ودفن بباب نافع بالقيروان .
نفس المصدر ، ص ٣٤٦ .
- (١٦٨) نفس المصدر . ص ٣٩٧ . حاشية ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٦٩) رياض النفوس : ص ٣٩٨ .
- (١٧٠) أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة : ص ٥٣ - ٥٤ .
- (١٧١) أحسن التقاسيم . ص ٢٢٥ . أحمد تيمور : المصدر السابق ، ص ٨٦ .
- (١٧٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس . ج ١ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .
- (١٧٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٩٧ .
- (١٧٤) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣١٠ .
- (١٧٥) ابن الفرضي : المصدر السابق . ج ١ ، ص ١٠٥ .
- (١٧٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .
- (١٧٧) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، النباهي :
تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٣ .
- (١٧٨) النباهي : المصدر السابق ، ص ٤٨ .
- (١٧٩) تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ١١ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .
- (١٨٠) تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ١٢ - ١٣ .
- (١٨١) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .
- (١٨٢) نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٦ .
- (١٨٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
- (١٨٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ٣٤ .
- (١٨٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٤٢ .
- (١٨٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .
- (١٨٧) نفس المصدر والصفحة .
- (١٨٨) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(١٨٩) المقدمة . ص ٣٩٦ .

(١٩٠) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، ١٨١ .

(١٩١) نفس المصدر والجزء . ص ٢٠٢ .

(١٩٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٨ ، ٤٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ،

ج ١ ، ص ٣٠٩ .



الفصل الرابع

الحركة الفكرية في جامع عمرو بن العاص وظهور الفرق والمذاهب المختلفة وموقف العلماء منها



- أولا : ظهور السبئية والعلوية في مصر .
- ثانيا : ظهور الخوارج في الفسطاط .
- ثالثا : ظهور آراء المعتزلة والقسول بخلق القرآن .
- رابعا : ظهور آراء الصوفية وذى النون الاخميمي المصري .



نشطت الحركة الفكرية بالفسطاط لا سيما بعد ان ظهرت تلك الآراء والمذاهب المختلفة التي اثارتها تلك الفرق كالسبئية والعلوية والخوارج والمعتزلة وغيرها من الصوفية في عصر الولاة، وقد كان اصحاب الحديث ومشاهير الحفاظ من التابعين وائمة الفقه وغيرهم من القراء بالمسجد الجامع ينتمون بطبيعة الحال الى قبائل وبطون عربية مختلفة شاركت في أعمال فتح مصر ، ومنها من نزح اليها في اعقاب الفتح الاسلامي ، وأصبحت لهم الدور والمنازل التي أختطوها حول المسجد الجامع أو جامع عمرو بالفسطاط .

هذا ولم يكن هؤلاء من ائمة الفقه وأهل العلم والدين بعيدين عن مجزيات الأحداث والآراء والنظريات التي اثارتها الفرق المختلفة منذ أن وصل عبد الله بن سبأ الى الفسطاط ، واخذ يبث دعوته بين أهلها . فلاقت قبولا ورواجا بينهم ، ومنذ وفد الى مصر داعي الخوارج وظهرت آراؤهم الداعية الى الفرقة والانقسام . فقد انقسم أهل مصر وشيوخ العلم بها الى علوية وعثمانية في الميول والهوى ، والى شراة أو خوارج والى ما عرف بأهل الاعتزال او المعتزلة والقول بخلق القرآن وما كان من سنوات المحنة التي عانى منها الكثير من العلماء والفقهاء في مصر . كما تعطلت حلقاتهم بالمسجد الجامع حينئذ من الزمن .

ومما لا شك فيه أنه منذ عهد الصحابة والتابعين فان أهل العلم من المحدثين والقراء وغيرهم لم يكونوا بمنأى عن أحداث الفتنة الكبرى وما أعقبها من ظهور الفرق المختلفة وآرائها المتباينة كالشيعة وغيرها والتي اصطبغت بالصبغة الدينية وان كانت ترمى الى تحقيق أهداف سياسية في المقام الأول .



أولاً : ظهور السبئية والحلوية في مصر

ظهرت آراء السبئية ^(١) في جامع عمرو والفسطاط بعد مقدم عبد الله بن سبأ إليها ^(٢) ، حيث أظهر العلم والتقوى حتى افتنن الناس به ، وبعد رسوخه بينهم بدأ يدعز الى مذهبه ومنهجه ، وأظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابه فأنكروا أحقيتهم في الخلافة وتبرأ منهم ، وأعلن أحقية علي بن أبي طالب فيها وبالرجعة للنبي محمد ^(٣) ، والوصاية لعلي وذلك في عهد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين .

ولا شك أن ابن السوداء كان له دوره في إثارة الفتنة ضد الخليفة عثمان في الأمصار وعلى الأخص في البصرة والكوفة والفسطاط التي نزلها . حيث كان يقول بالرجعة والوصاية ، وأن لكل نبي وصيا وعلي بن أبي طالب وصي محمد صلى الله عليه وسلم . فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن علي بن أبي طالب وصيه في الخلافة علي أمته ^(٤) .

وقد أرسل عثمان الى أهل الأمصار ببعض الصحابة وأبنائهم لتهدئة الأمور وإزالة أسباب السخط والحنق على سياسته ، وبعث بعمار بن ياسر الى مصر ، يقول المقرئ « فرجعوا الى عثمان الأعمارا وقالوا ما أنكرنا شيئا وتأخر عمار فورد الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله بن السوداء في جماعة اليه » ^(٥) .

وكان ممن لاقت آراء ابن سبأ في نفسه هوى بالفسطاط محمد بن أبي حذيفة حيث أعلن رفضه لخلافة عثمان ، وأخرج عقبة بن عامر الصحابي والحافظ الشهير ، وكان قد استخلفه عبد الله بن سعد والى مصر في سنة ٣٥ هـ حينما خرج لمقابلة الخليفة عثمان ^(٦) . وهكذا أخذ ابن أبي حذيفة يحرض على عثمان بكل شيء يقدر عليه ، فكان يكتب الكتاب — كما يقول الكندي — على لسان أزواج النبي ويأخذ الرواحل فيضمهرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافرين ، ثم يأمرهم أن يخرجوا الى طريق المدينة بمصر ، ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليبلغوهم ، وقد أمرهم اذا لقيهم الناس أن يقولوا : ليس عندنا خبر . الخبر في الكتب ، ثم يخرج محمد بن أبي حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبي عليه السلام فاذا لقوهم قالوا : لا خبر عندنا ، عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم كتب أزواج النبي ، فيجتمع الناس في المسجد

« أى جامع عمرو) اجتماعا ليس فيه تقصير ، ثم يقوم القارىء بالكتاب فيقول : انا لنشكو الى الله واليكم ما عمل فى الاسلام وما صنع فى الاسلام فيقوم أولئك الشيوخ من نواحي المسجد بالبكاء (٧) .

وعندما بلغت الخليفة عثمان الأخبار بذلك حاول أن يصلح بينه وبين ابن أبى حذيفة فأرسل اليه كسوة وثلاثين ألف درهم ، ولكن ابن أبى حذيفة كان رجلا متورا فاشتد اللجاج ، وتوجه الى المسجد الجامع وأظهر الهدية للناس فيه وخطبهم قائلا : « يا معشر المسلمين : ألا ترون أن عثمان يخادعنى عن دينى ويرشونى » .

وقد استمر ابن أبى حذيفة فى إثارة أبناء الصحابة حتى نشأ بمصر طائفة منهم يؤلبون الناس على حرب عثمان والانكار عليه فى عزل عمرو وتولية من دونهم (٨) ، وهكذا انقسم أهل مصر الى عثمانية وعلوية (٩) ، وخاصة بعد أن تمكن الثوار من المصريين وغيرهم من قتل عثمان فى المدينة سنة ٣٥ هـ (١٠) .

ويمكن القول بأن غالبية القبائل العربية التى اختطت حول المسجد الجامع قد تأثرت بالدعوة السبئية وتلك الطائفة التى كان ينتمى اليها ابن أبى حذيفة ، حتى بات أهل مصر جميعا من شيعة على فيما عدا قليل من أنصار العثمانية .

وكان من أشهر القبائل التى تأثرت بهذه الدعوة قبيلة نجيب ولكن معاوية بن أبى سفيان زعيم العثمانية فى سائر الأمصار حينذاك ، لم يلبث أن انتزع مصر من سلطان على وانتقم من أهلها ، وقام بقتل ثمانين من أفراد هذه القبيلة بعد أن تم قتل محمد بن أبى حذيفة سنة ٣٦ هـ (١١) .

وقد حاول بعض الصحابة والتابعين اعتزال الفتنة وعدم الخوض فى مسائل الخلافة ، فمن هؤلاء هبيب بن دغفل الصحابى ، نقل السيوطى (١٢) عن ابن الربيع الجيزى أنه شهد فتح مصر واحتفظ بها ، كما كانت له حلقة بجامع عمرو يروى الحديث بها ، ثم ما لبث أن اعتزل الناس فى فتنة عثمان واتجه خارجا من الفسطاط الى وادى هبيب الذى ينسب اليه وتوفى به .

وتطالعنا المصادر التاريخية بأن قبيلة لخم ونجيب كانتا علوية الهوى ، وقد اشتهر

منها العلماء والحفاظ وأئمة الفقه ، فمن قبيلة لخم اشتهر شيخها الأكدر بن حمام ابن عامر ، حيث كان الأكدر علويا كما كان ذا دين وفضل وفقه في الدين ، وممن جالس الصحابة وروى عنهم وهو صاحب الفريضة التي تسمى الأكدرية التي سبقت الاشارة اليها (١٣) .

وعندما حضر مروان بن الحكم الى مصر وحاصر القسطنطاط ، أجب عليه الأكدر بقومه ، وحاربه بكل أمر يكرهه كما يذكر الكندي ، ولكن مروان أبى الا أن يقتل كثيرا من أهل القبائل العربية ، كما تم ضرب عنق الأكدر سيد لخم وشيخها بسبب ولائه للعلوية ورفضه لمبايعة الأمويين أنصار العثمانية آنذاك (١٤) . وهكذا تم القضاء على القوى المناوئة للحكم الأموى . وكما يقول المقرئى : « ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر » .

ومن القبائل التي لعبت دورا في اخراج مصر من خلافة على الى سلطان معاوية قبيلة السكون اليمنية ، التي لم يحضر منها الى مصر عدد كبير ، حيث ظهر معاوية بن حديج (ت ٥٢ هـ) الذي لعب دورا هاما في الانتصار للعثمانية بمصر (١٥) ، ولا شك أن ابنه عبد الواحد الذي ولى قضاء مصر (٨٩ - ٩٠ هـ) كان له موقف واضح في مناهضة العلوية بمصر ومناصرة الأمويين ، ولا سيما أنه كان من كبار رجال الدولة الى جانب كونه من أئمة مصر المجتهدين (١٦) ، فقد روى عن أبيه وابن عمر ، كما اخذ عنه يزيد ابن أبى حبيب عالم مصر الشهير آنذاك .

وفي عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ) هدأت الظروف وخفت حدة المطاردة في مصر للعلويين بها ، وذلك لأن الخليفة وقف موقفا طيبا من آل البيت والعلويين ، حيث بالغ في اكرامهم ومنع عماله سراء في مصر أو في غيرها من الأمصار من سبهم على المنابر (١٧) ، ويبدو أن سياسة الخليفة الأموى كان لها أثرها في تشجيع الفقهاء وأهل الفتيا بمصر على اتباع مبدأ أهل الحديث الساعى لتحقيق اجماع الأمة والحفاظ على وحدة المسلمين من الفتنة والتفرق في سائر الأمصار (١٨) .

والواقع أنه منذ ذلك الحين بدأ التيار السننى يقوى في مصر وهو ما عرف بعد ذلك بأهل السنة والجماعة ، وكان المحدث يزيد بن أبى حبيب على رأس هذا الفريق فهو أحد رواة الحديث كما قدما ، وكان أقرب الى قول العثمانية وأكثر تعاطفا معهم ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « نشأت بمصر وهم علوية ، فقلبتهم عثمانية » ، وكان يزيد بن أبى حبيب

ومعه جعفر بن ربيعة (ت ١٣٦ هـ) ممن أسند اليهم عمر بن عبد العزيز أمر الفتيان بمصر كما اشرنا من قبل (١٩) .

العلويون في مصر في العصر العباسي الأول :

وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) قدم الى مصر أحد دعاة العلوية ويدعى على بن محمد بن عبد الله بن حسن ، أخذ يدعو لابن عمه ، ولكنه لم ينجح في سعيه ، وعندما قدم الى القسطنطينية على بن محمد بن عبد الله لقيت دعوته نجاحا حتى شاع أمر العلوية وتكلم الناس بها حيث تولى أمرها الداعية خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبشي الصديقي ، وكان جده من خاصة على بن أبي طالب . ويقول الكندي (٢٠) : « وبايع كثير منهم لعلی بن محمد . . وهو أول علوی قدم مصر » وكان كثير من العلويين اختاروا الفرار الى مصر هربا من مطاردة العباسيين ، ومن المعروف أن : الخليفة المنصور استطاع أن يقهر العلويين ويقتل محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية في الحجاز وأخاه ابراهيم في العراق (٢١) .

وكما يذكر المسعودي فإن أخاه محمدا وولده كانوا قد تفرقوا في سائر الأمصار يدعون الى امامته ، فكان فيمن توجه ابنه على بن محمد الى مصر فقتل بها (٢٢) .

أصبح المسجد الجامع بالقسطنطين مسرحا لنشاط العلويين في ذلك الوقت ، من ذلك ما يذكر الكندي أنهم أشاروا على خالد بن سعيد وأهل الديوان من الجند أن يحوزوا بيت المال ، وكما اشرنا من قبل فإنه كان موجودا بالمسجد ، وأن يكون ظهورهم وخروجهم في المسجد الجامع ، وهكذا سار داعية العلويين خالد في الذين معه وعليه قباء خز وعمامة صفراء وعمد الى المسجد في منتصف الليل ، فانتهبوا بيت المال ، ثم تضاربوا عليه بسيفهم ، فلم يصل منهم اليه الا اليسير (٢٣) .

كما تشير المصادر التاريخية الى خروج العلوية بالقسطنطين سنة ١٤٥ هـ في ولاية يزيد بن حاتم من قبل الخليفة المنصور ، حيث أمكنه قتل ثلاثة عشر رجلا من هؤلاء العلويين من اتباع خالد بن سعيد صاحب الدعوة لبنى الحسن بن على بمصر آنذاك (٢٤) .

وفي نفس العام قدم الخطباء الى القسطنطين برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن فنصبوه في المسجد الجامع (٢٥) ، وقام هؤلاء الخطباء فذكروا أمره للناس ، لكن الكندي

لم يذكر شيئا عن موقف أصحاب الحلق بالمسجد ازاء ذلك الحدث الذى يدل على تعقب العباسيين لهم والعمل على استئصال شأفتهم من سائر الأمصار الاسلامية (٢٦) .

وعلى الرغم من ذلك فان بعض الولاة كانوا يظهر عطفهم وميولهم لآل البيت وهؤلاء العلويين . فمن ذلك أنه عندما خرج ادریس بن عبد الله العلوى فى خلافة الهادى (١٦٩ - ١٧٠ هـ) مستترا يريد بلاد المغرب الأقصى ، وقدم مصر ، وكان الوالى يومئذ على بن سليمان ، الذى علم بمكانه فلقبه سرا فسأله بالله والرحم أن يستتر عليه . فانه خارج الى المغرب فسترو عليه ، فكان عقابه كما يقول الكندى (٢٧) العزل من ولايته .

والواقع أن أهل السنة والجماعة فى مصر كانوا يذكرون عليا وبنيه بالاجلال ، ولم يكونوا أعداء قط لهم (٢٨) ، كما عرف عن أهل مصر حبهم لآل البيت ، فحينما وفدت على مصر نفيسة بنت الحسن بن زيد بصحبة زوجها اسحق بن جعفر الصادق ، وكان يقال له اسحاق المؤتمن ، وكان من أهل الصلاح والفضل والدين (٢٩) ، فان استقبال المصريين لها وزوجها كان ملحوظا ، وكانت على علم غزير وشغف بالحديث . وقد سمع منها كثير من علماء مصر وفقهائها ، منهم العالم ذو النون المصرى ، والبويطى ، والربيع بن سليمان المرادى والربيع الجيزى وغيرهم من أئمة الحديث والفقه وأصحاب الحلق بالمسجد الجامع (٣٠) .

كما يذكر المقرئى أن الامام محمد بن ادریس الشافعى وامام المالكية عبد الله بن عبد الحكم قاما بزيارتها وهى من وراء الحجاب ، وهكذا كان العلماء والفقهاء يقدرون آل البيت ويجلونهم فى مصر أيام العباسيين (٣١) .

وقد ظل أهل مصر يجلون آل البيت وهؤلاء العلويين بمصر على الرغم من موقف العباسيين المتشدد فى مطاردتهم ، ومما يدل على ذلك قول المقرئى فى هذا الصدد (٣٢) : وما زالت شيعة على بمصر الى ان ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر ، يأمر فيه باخراج آل أبى طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق بن يحيى أمير مصر .

كما يدل كتاب المتوكل على حسن معاملتهم عند اخراجهم من الفسطاط ، حيث اورد الكندى : انه فرض فيهم الأموال ليتحملوا بها فأعطى كل واحد منهم ثلاثين دينارا والمرأة خمسة عشر دينارا وفرقت فيهم الثياب (٣٣) .

وعلى الرغم من خروج العلويين من مصر فان شيعتهم ظل أمرهم قائما حيث استتر هؤلاء عن عيون الحكام العباسيين ، والدليل على ذلك ما ذكره الكندى (٣٤) من أن يزيد ابن عبد الله التركي الذى تولى إمارة البلاد فى رجب سنة ٢٤٢ هـ أمر بضرب رجل من الجند فى شيء وجب عليه فضربه عشرة سباط فاستحلف بحق الحسن والحسين الا عفا عنه فزاده ثلاثين ذرة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فأمر بضربه مائة سوط فضربها ثم حمل الى العراق .

وقد أشار الكندى فى أواخر عصر الولاة لاضطهاد العلوية بمصر من جانب العباسيين ، ففى ولاية يزيد أيضا ورد كتاب المنتصر اليه بأن لا يقبل من علوى صنيعة ، ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ، وان كانت بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب بدينه (٣٥) .

كما يذكر الكندى رواية أخرى بشأن دعوة العلوية ، فقد ظهر رجل يقال له محمد ابن على وبويع له ، فبعث يزيد الى الموضع الذى كان فيه وأقر على جمع من الناس الذين بايعوه فأخذ بعضهم فضربوا بالسياط ثم أخرج بالعلوى وجمع من الطالبين الى العراق وذلك فى رمضان سنة ٢٤٨ هـ (٣٦) .

وهكذا تتبع والى مصر هؤلاء الطالبين فأخرج ستة رجال منهم فى رمضان سنة ٢٥٠ هـ ثم أخرج بشمانية منهم فى رجب سنة ٢٥٥ هـ (٣٧) ، وتدل هذه الأخبار على استمرار العلويين بمصر وبقاء دعوتهم بها وذلك على الرغم مما قام به العباسيون ضدهم وتعقبهم فى سائر الأمصار .

وعلى أية حال فان موقف الخلافة العباسية من العلويين لم يتغير بمصر فقد استمر كذلك أيام حكم الطولونيين والاختشيديين .

أما موقف الفقهاء والمحدثين المصريين فكانوا ضد التشيع ومن أنصار مذهب السنة والجماعة حتى مقدم الفاطميين وحكمهم للديار المصرية فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى .

ثانيا : ظهور الخوارج في الفسطاط

كان أول من قدم مصر داعيا لمذهب الخوارج حجر بن عمرو ، وكان قد شهد واقعة صفين (٣٩) ، كما حضر مع الحرورية النهروان ، وذلك في عهد مسلمة بن مخلد والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية (٤٠) .

وعندما توفي يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، اخذ عبد الله بن الزبير يدعو الى نفسه بمكة وفي الأمصار المختلفة ، واخذ الخوارج بمصر في اظهار دعوته وكانوا كما يقول الكندي (٤١) : « يحسبونه على مذهبهم » ولم يلبثوا أن بعثوا اليه بالحجاز وفدا منهم يقومون معه وينصرونه على بنى أمية في الشام .

وبعث ابن الزبير الى مصر عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم واليا من قبله ، فكان قدومه الفسطاط في شعبان سنة ٦٤ هـ .

وهكذا قدم ابن حجدم الى الفسطاط ومعه جمع كثير من الخوارج كان منهم حوشب ابن يزيد وأبو الورد حجر بن عمرو وغيرهم ممن أظهروا التحكيم « لا حكم الا لله » شعار الخوارج آنذاك (٤٢) ، ودعوا اليه فبايعه الناس على كره من انصار العثمانية بالفسطاط .

ويبدو تأييد أهل العلم والأدب لهؤلاء الخوارج الذين عملوا على حفر الخندق حول الفسطاط ، وكانوا من الكثرة فقد بلغ عددهم نحو ثلاثين ألفا ، وقد عبر ابن أبي الخشن أحد الشعراء عن رايه في مناصرة الخوارج وأنصار ابن الزبير حين قال (٤٣) :

وما الجد الا مثل جد ابن حجدم وما العزم الا عزمه يوم خندق
وخدده في شهر حديث مصدق ثلاثون الفا هم أثاروا ترابه

والحق أن آراء الخوارج الدينية ومناقشتها في جامع عمرو بين أئمة الحديث والفقه في العصر الأموي لم يظهر لها أثر ، فلم نسمع عن أية مناظرات جرت بين أهل مصر حول آرائهم وفيما ذهبوا اليه يومئذ (٤٤) ، وذلك على الرغم من انتشار آراء هؤلاء الشراة او الحرورية في بلاد المشرق الاسلامي كالبصرة واليمامة ونواحي اصفهان (٤٥) ، كما تشير المصادر الى ثورتهم خلال القرن الثاني الهجري والتي انحصرت في جهات العراق وديار آل بكر بأرض الجزيرة (٤٦) .

أما في مصر فانه حتى نهاية القرن الأول الهجرى لم يحدث ما يعكس صفو الولاة المصريين بسبب وجود هذه الطائفة من الشراة والخوارج في الفسطاط في أوائل القرن الثانى ، وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وواليه على مصر الوليد بن رفاعة الذى تولى إمارة البلاد عام ١٠٩ هـ ، أن ثار أحد الشراة ويدعى وهيب اليحصبى بالفسطاط ، بسبب أوضعه الكندى لنا وهو ان الوالى الوليد اذن للنصارى فى ابتناء كنيسة بالحمرء « تعرف اليوم بكنيسة أبى مينا » فخرج وهيب غضبا لاثارة الناس ، وكانت نهايته القتل عندما وصل الى دار الامارة بالفسطاط (٤٧) .

وعندما علم القراء فى المسجد الجامع بمقتله ، ثاروا لذلك وخرجوا الى جزيرة الروضة وكان على رأسهم أحد العلماء وهو شريح بن صفوان التجيبى « من قبيلة تجيب اليمنية » فقاتلوا أمير البلاد . ولكن الوليد بن رفاعة تمكن من هؤلاء القراء ، ولولا شفاعة مروان ابن عبد الحكم التجيبى وكان قريبا لشريح الثائر لدى الوليد ما تم اطلاق سراحهم أو اخلاء سبيلهم يومئذ (٤٨) .

أما فى العصر العباسى فلم يكن أهل مصر وشيوخ الحديث والفقهاء يؤيدون مقالة الخوارج وآراءهم المتشددة فى الاسلام ، كما كان الشعراء يهجونهم . وقد عبر المصريون عن ذلك حينما أسندت الخلافة العباسية ولاية البلاد الى الأمير عنيسة بن اسحق (٤٩) ، آخر الحكام العرب لمصر فى عصر الولاة (٥٠) ، وكان مشهورا بمذهب الخوارج .

وقد أورد الكندى بعض أبيات من قصيدة للشاعر يحيى بن الفضل يستنكر فيها فعل الخليفة بتولية هذا الخارجى الامارة حينما قال (٥١) :

من فتى يبلغ الامام كتابا	عربيا ويقتضيه الجوابا
بئس والله ما صنعت الينا	حين وليتنا أميرا مصابا
خارجيا يدين بالسيف فينا	ويرى قتلنا جميعا صوابا
مر يمشى الى الصلاة نهارا	وينادى السحور ضل وخابا



ثالثاً : ظهور آراء المعتزلة والقول بخلق القرآن

ظهرت آراء المعتزلة في البصرة في أواخر العصر الأموي ، حيث كانت بداية القول في القضاء والقدر ، وحيث كان يقيم بها الحسن البصري ، عالمها المشهور (٥٢) . ويرجع الكثير من الدارسين أسباب تسمية هذا الفريق بالمعتزلة وذلك عندما اعتزل كل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حلقة الحسن واستقلا بأنفسهما على اثر تقريرها أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر فهو في منزلة بين المنزلتين . وقد توفي الحسن البصري سنة ١١٠ هـ في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كما كانت وفاة شيخ المعتزلة وقديمها واصل بن عطاء ، كما يقول المسعودي في سنة ١٣١ هـ (٥٣) .

كان الحسن البصري عالماً بأخبار الحروب ومسائل الخلاف التي وقعت بين الصحابة والتابعين . وقد أثرت تلك المسائل المتعلقة بالكفر والإيمان وأعمال الصحابة وغيرها في حلقاته . وكان لا بد من العثور على الاجابات عليها (٥٤) ، وهكذا أصبح صاحب حلقة المسجد الجامع بالبصرة كما وصفه ابن سعد - من رؤوس العلماء في الفتن والدماء (٥٥) .

ويصف المسعودي تلك الحال التي بلغتها الفرق المختلفة في عهد عمر بن عبد العزيز والمساجلات التي جرت بين المعتزلة وغيرهم من الخوارج والشيعة فيقول : وطالت بينهم المناظرة والمباغضة والتباين وآلى كل واحد منهم ألا يخاطب الآخر الى أن لحق بخالقه ، وحتى ان الأخ كان يهجر أخاه بسبب شدة تمسكه بمذهبه ، فقد كان اليمان بن رباب ، من غلبة الخوارج وأخوه على بن رباب من غلبة علماء الرافضة (أى الشيعة) وهذا مقدم في أصحابه وهذا مقدم في أصحابه يجتمعان كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه ، وكذلك كان جعفر بن المبرور من علماء المعتزلة وجذاتها وأخوه حسن بن المبرور من علماء أصحاب الحديث (٥٦) .

وهكذا نشب الخلاف واشتد الصراع الفكري بين أصحاب الفرق المختلفة في أواخر العصر الأموي ، فكان ذلك من أسباب انهيار الدولة الأموية وسقوطها . ولكن آراء المعتزلة في الواقع لم نسمع بها في مصر أو اثارتها من جانب الأئمة أو المحدثين المصريين الا في العصر العباسي ، فقد ذكر الكندي أن أول من أعلم عنه القول بالقدر هو علي بن سليمان

العباسي الذي تولى إمارة البلاد من قبل الخليفة الرشيد (١٧٠ - ١٩٤ هـ) (٥٧) ، يقول المؤرخ الكندي : « وكان أهل مصر مع هذا يرمونه بالقدر وذلك أنه استخلص رجلين متهمين بالقدر رهما عبد الحميد بن كعب بن علقمة التنوخي وهرم بن سليم بن عياض العامري من قريش » وربما كان ذلك بداية القول بالقضاء والقدر بالفسطاط ، وأن الله لا يخلق أفعال الناس ، وإنما هم الذين يخلقون أعمالهم .

أشتدت وطأة المعتزلة في بغداد حين نحدث علماؤها في القول بخلق القرآن والجدل حول هذا الأمر . فقد ذهب فريق المعتزلة الى أن القرآن حادث مخلوق نزل في ظروف معينة وليس أزليا ، ولا شك أنهم كانوا متأثرين في ذلك بالفلسفة اليونانية ، وما ورد في تراث الأقدمين في بلاد فارس وغيرها من البلدان التي فتحتها العرب المسلمون .

وتجمع المصادر التاريخية على أن ظهور هذه المحنة والقول بخلق القرآن كان في عهد الخليفة العباسي المأمون (٥٨) ، فقد اظهر القول بخلق القرآن سنة ٢١٢ هـ ، كما أجبر الناس على اعتناق ذلك في سنة ٢١٨ هـ ، حيث أورد الطبري وغيره من المؤرخين المسلمين نص الكتاب الذي أصدره المأمون من دار الخلافة وهو خارج من بغداد لغزو الروم ، اذ كتب الى والي بغداد اسحق بن ابراهيم يطلب منه أن يمتحن القضاة والفقهاء والمحدثين في خلق القرآن ويعاقب من لا يقر بخلقه (٥٩) .

كما أورد الكندي المؤرخ المصري نص الكتاب الذي بعث به والي بغداد الى والي مصر آنذاك كيدر نصر بن عبد الله وذلك في نفس العام (٦٠) ، ومما جاء فيه : أن يأخذ الناس بالمحنة كما يطلب منه أن يمتحن القضاة والفقهاء والمحدثين في خلق القرآن (٦١) .

وقد أخذ القاضي هارون بن عبد الله في الفسطاط على تنفيذه حتى على هؤلاء الشهود بين يديه ، فكان كما يذكر الكندي (٦٢) : اذا شهد عنده شاهدان سألهما أولا عن القرآن فان افرا انه مخلوق قبلهما ، والا اوقف شهادتهما .

وهكذا بدأت تشور تلك الأفكار والمسائل في العدل والتوحيد واثبات أفعال العباد وأن الله تعالى لا يخلق الشر كما يصف المقيزي ذلك ويقول (٦٣) : « وأعلنوا بأن القرآن مخلوق محدث الى غير ذلك من مسائلهم » .

ولم يوافق الفقهاء وأئمة الاسلام في مصر وغيرها على ذلك ، بل أعلنوا رفضهم واستنكارهم الشديد لتلك الآراء المتطرفة . ولا سيما بعد أن آلت الخلافة الى المعتصم بعد وفاة أخيه المأمون ، وعمل على التشدد في حمل الفقهاء واجبارهم على القول بما يرضى أصحاب مذهب الاعتزال ، وكان ذلك سببا في عزل القاضي هارون وتخليه عن منصبه بعد أن ورد كتاب الخليفة المعتصم باعفائه (٦٥) ، وأرسل قاضي القضاة في بغداد أحمد بن أبي دؤاد الى محمد بن أبي الليث بكتاب يأمره فيه بالقيام بامتحان الفقهاء وغيرهم من أهل العلم في مصر وذلك قبل توليه القضاء كما يقول الكندي (٦٥) . ويبدو أن قاضي القضاة أراد أن يختبر ابن أبي الليث في مدى قوة شخصيته يومئذ ، وفيما يقدر عليه من اجبار الفقهاء المصريين على القول بخلق القرآن ، وذلك قبل أن يوليه القضاء بمصر حينذاك .

وقد استطاع ابن أبي الليث الخوارزمي أن يمتحن فريقا من العلماء والفقهاء المصريين أمثال نعيم بن حماد المروزي المحدث والبريطي تلميذ الشافعي والمحدث خشنام وغيرهم . وهكذا أفلق القاضي في تشدده على هؤلاء ، فكافأه المعتصم على فعله فأسند اليه القضاء في ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ . وذلك على الرغم من عدم استجابة هؤلاء لمقولته (٦٦) .

وكان نعيم قد وفد على مصر من بلاد المشرق ، وهو أول من جمع المسند الصحيح كما نقل السيوطي (٦٧) عنه في ترجمته أنه أخرج من مصر في فتنة القول بخلق القرآن ، وحبس بسامرا في العراق سنة ٢٢٨ هـ ، وهكذا تعطلت حلقة في المسجد الجامع بمصر وكان من أئمة الحديث في ذلك الوقت .

ومن المحدثين أيضا الذين نالهم السوء من جراء تلك المحنة هارون بن سعيد الأيلي (٦٨) وكانت حلقة عامرة في رواية الحديث حينئذ ، يصف الكندي نقلا عن أحد شهود العيان الذين كانوا في جامع عمرو حينما تم القبض عليه فقال (٦٩) : كنت جالسا في المسجد فسمعت ضوضاء ورأيت الناس قد حفلوا فنظرت فإذا هارون بن سعيد الأيلي وطليسانه تحت عضده وعمامته في رقبته ومطر غلام ابن أبي الليث يسوقه بعمامته وهارون ينادي بأعلى صوته : القرآن كذا وكذا . . . ثم أخرجه من المسجد يطاف به الطرق كذلك . . . وهكذا كان يفعل بأهل العلم من المحدثين والفقهاء المصريين من جراء تلك المحنة والتشدد في اجبارهم على اعتناق آراء المعتزلة والقول بها في مجال العلم أو حلقات الدرس في المسجد الجامع حينئذ .

وقد عبر أحد الباحثين الغربيين عن دهشته من ذلك لاصرار حكام بنى العباس ووزرائهم يومئذ على حمل هؤلاء الفقهاء والمحدثين على ذلك القول فهو يقول (٧٠) : « وأحيانا يعجب المرء من شدة التداير التي اتخذت من أجل حمل القضاة وكبار العلماء على الموافقة على أفكارهم وبصورة خاصة على معتقد خلق القرآن ، وهذا التعصب المناقض لحرية التفكير » .

ولما توفي المعنصم سنة ٢٢٧ هـ وتولى الخليفة الواثق ، صدرت الأوامر في بغداد بالشدّة وان يؤخذ الناس بالقول بخلق القرآن . ويصف الكندي (٧١) أثر ذلك في مصر حيث قال : « ورد كتابه (أى الواثق) على القاضي محمد بن أبى الليث بذلك وكأنها نار أضرمت » .

فقد جاء في كتاب الواثق بأن يمتحن الناس أجمعين ، فلم يبق أحد من الفقهاء ولا المحدثين أو المؤذنين والمصلين حتى أخذوا بالمحنة (٧٢) . وهكذا هرب كثير من الناس وعلى الأخص هؤلاء العلماء من المسجد الجامع بالفسطاط ، كما ملئت السجون ممن أنكر المحنة ، أو القول بخلق القرآن .

وبلغ الأمر الى درجة أن القاضي محمد بن أبى الليث أمر بالاكتماب على جامع عمرو وغيره من المساجد « لا اله الا الله رب القرآن (المخلوق) » فكتب ذلك على المساجد ، كما منع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد الجامع وأمرهم « ألا يقربوه » (٧٣) مما أدى الى تعطيل حلقات العلم والدرس به واخماد الحركة العلمية تماماً فى عهد الخليفة الواثق وواليه على مصر عيسى بن منصور من جراء المحنة .

ومن هؤلاء العلماء الذين استطاعوا الهرب من مصر يومئذ كما يذكر الكندي (٧٤) : القارىء يوسف بن أبى حية وأحمد بن صالح ، وكانا من مشاهير القراء الذين سبق ذكرهما ، وكذلك القارىء والمحدث أبى يحيى الوقار ومحمد بن يوسف القطان .

ويشير الكندي صاحب هذه الرواية الى أن القارى ابن أبى طيبة لم يستطع الهرب حينذاك ، فلزم داره بالفسطاط ، أما محمد بن سالم القطان ، فقد تم القبض عليه عندما هم بخروجه من الفسطاط فحمل الى العاصمة العباسية بغداد .

كذلك فكر في أمر الهرب العالم الزاهد ذو النون المصري ، لكنه رأى أن يرجع عن ذلك فوقع في يد القاضى ابن أبى الليث فأقر بالمحنة ، وكان ذو النون قد أنكر القول بخلق القرآن ، شأنه كبقية المحدثين والفقهاء أهل الحديث والسنة المصريين (٧٥) .

وتضطرب الروايات - في الواقع - في مسألة هرب ذو النون ، وخروجه من القسطنطينية ، فهناك رواية أخرى ترى بأنه هرب الى الحجاز في خلافة الواثق بالله (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) إلا أنه أمكن القبض عليه وسيق الى بغداد مقيدا في الحديد ، فأودع السجن ولم يخرج منه الا بعد أن تولى الخلافة المتوكل الذى عمل على نسخ المحنة والتخلى عن اجبار الفقهاء أو ارغامهم على القول بآراء المعتزلة ، وحينئذ أطلق المتوكل سراح ذى النون وعاد الى مصر بعد أن خلع عليه وكرمه في بغداد (٧٦) .

ومهما يكن من شئ فان حلقة ذى النون في رواية الحديث والذكر والقصص قد تعطلت بالمسجد الجامع من جراء تلك المحنة أيام الواثق (٧٧) ، ولم تعقد مرة أخرى بعد ذلك الا في عهد الخليفة المتوكل الذى أمر بالرجوع الى أهل السنة والأخذ برأيهم ، والتخلى عن آراء أصحاب مذهب الاعتزال ، البغيضة (٧٨) .

ومن الذين تعطلت حلقاتهم بجامع عمرو حينذاك من جراء تلك المحنة حلقة سعد ابن زياد المعروف بابن القطاس ، وكان من علماء مصر وأهل الديانة والفضل ومن الشهود الأمناء ، يقول الكندى (٧٩) : وكانت له حلقة في المسجد ، فلما ولى ابن أبى الليث كان لا يزال يبلغه عنه قبيح الذكر له في خلواته ، ثم صار القطاس يتكلم في المسجد مع جلسائه ويسب ابن أبى الليث القاضى والدعاء عليه ورميه بالبدعة .

ولما بلغ ابن أبى الليث القاضى ذلك أحضره اليه وواجهه بالنيل منه ، فأنكر ، ثم ما لبث أن عاد الى مجلسه بجامع عمرو يعاود رميه وسبه فما كان الا أن أحضر له القاضى ببعض الشهود الذين شهدوا على القطاس العالم بأنه مملوك لم يجز عليه عتق بعد ، فكان أن حكم عليه بالرق ، وقد استنكر ابن قدير فعل هؤلاء الشهود فهو كما ينقل الكندى عنه أنه قال (٨٠) : « أقبح ما أتى أهل المسجد شهادتهم على القطاس حتى باعوه » .

لم يكن سعيد بن زياد المعروف بالقطاس ممن ناله الأذى والمكروه من جراء المحنة والشدة التى اتبعها ابن أبى الليث في تنفيذ ذلك ، بل ان علماء آخرين قد أنكروا عليه سوء

الصنيع وقبح ما فعل بهم ، فمن هؤلاء ايضا - كما يذكر الكندى - يحيى بن زكريا مولى كندة (٨١) ، حيث كان يجلس في المسجد الجامع ويجتمع الناس اليه فيشيع بينهم أن الرسول في الطريق اليهم قادما من بغداد حاملا كتاب عزل القاضي المعتزلى المشنوم .

ولما بلغ ابن أبى الليث مقولة يحيى بن زكريا هذه ، بعث اليه ينهاه عن فعل ذاك فلم ينته فضربه وجبسه حينئذ من الزمن (٨٢) .

والواقع أن هذا القاضي كان أسوأ من تولى منصب القضاء في عصر الولاة ، فقد عمل على الحاق الأذى والنيل من فقهاء مصر ومحدثيها وقرائها المشاهير ، ويبدو أنه كان يحنق عليهم ، فقد بلغ به الأمر أن أمر بمنع لباس القلانص الطوال (٨٣) الذى كان والى مصر يحيى بن داود الخرسي من قبل أبى جعفر المنصور قد طلب منهم اتخاذها والدخول بها على الخلفاء والأمراء تكريما لهم .

ويصف الكندى نقلا عن يحيى بن عثمان أحد شهود العيان ما فعله غلام القاضي ابن أبى الليث في نزع تلك القلانص زى أهل مصر وجمال شيوخهم حيث قال : « فجلس ابن أبى الليث في مجلس حكمه في المسجد واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانص فأقبل عبد الغنى ومطر جميعا (من غلماناه) فضربا رؤوس الشيوخ حتى ألقوا قلانصهم » حتى صارت يومئذ في أيدي الصبيان والرعاع يلعبون بها .

وأصبح هؤلاء الشيوخ من أهل العلم والدين لا يدخلون الى القاضي ولا يحضرون مجلسه وعليهم لباس ردوسهم كما كان الحال من قبله منذ خلافة أبى جعفر المنصور .

ومن أهم أحداث المحنة التى أثرت في نشاط الحركة العلمية بمصر ما جرى بالنسبة لأبى يعقوب بن يوسف بن يحيى الشهير بالبويطى صاحب الامام الشافعى وخليفته في حلقة كما أشرنا من قبل ، وكان القاضي ابن أبى الليث يحسده ويحنق عليه ، فسعى به الى الوثائق أيام المحنة فأمر بحمله الى بغداد مقيدا في الحديد ، ولما طلب منه القول أو الاعتراف بخلق القرآن امتنع عن ذلك ، وبقي مقيدا في سجنه حتى مات به سنة ٢٣١ هـ (٨٥) .

كان الخليفة الواثق بالله يسير على نهج أبيه المعتصم في نصره المعتزلة ، وقد تهادى في امتحان شيوخ عصره من المحدثين والفقهاء وحملهم على القول بأن القرآن مخلوق حادث

وليس بتقديم ، وكان هؤلاء ينكرون عليه ذلك . ومن العلماء الذين راحوا ضحية مبادئهم أحمد بن نصر الخزاعي ، فقد تم قتله سنة ٢٣١ هـ . بعد أن رفض القول بما ذهب إليه الواصل وقضائه من أهل الاعتزال (٨٦) .

وكان ممن ناله الأذى خلال سنوات المحنة على يد القاضي ابن أبي الليث من العلماء الأمائل كذلك يونس بن عبد الأعلى الذي تصدر للأقراء والفقهاء حينئذ بجامع عمرو كما أوضحنا من قبل ، حيث ذكر الكندي أن بعض الأوصياء كانوا قد حملوا ما بأيديهم من المال إليه ، فطولب به عند محمد بن أبي الليث وشهد عليه فسجنه . وقد قضى ابن عبد الأعلى في سجن ابن أبي الليث نحو ثمان سنوات (٢٢٨ - ٢٣٥ هـ) ، ويبدو من هذه الرواية أن ابن أبي الليث لو تحرى الدقة في حكمه يومئذ وفي هؤلاء الذين شهدوا على عالم مصر وأمامها آنذاك ، ما زج به في السجن طوال تلك السنين وما تعطلت فيها حلقة علمه ودرسه حينذاك (٨٧) .

كان القاضي محمد بن أبي الليث من المعتزلة المتكلمين قبل أن يلي قضاء مصر ، فلا غرابة فيما سلكه إزاء فقهاء مصر ومحدثيها أو قرائها من أهل السنة والجماعة ، حيث طفق يعمل على اضطهاد هؤلاء العلماء والأئمة المجتهدين ، فصار يتعقبهم في جامع عمرو وغيره من المساجد ، حتى أن بعض هؤلاء كان يضربه في مجلس حكمه ، ينقل الكندي عن أحد رواته فيما شاهده من ذلك فيقول (٨٨) : « رأيت محمد بن أبي الليث في مجلس الحكم في المسجد الجامع وهو مشجوج الوجه وفي يده منديل يستتر به شجاعه ، قال : فتواتر الخبر أنه عربد على شيخ كان ينادمه فشججه ذلك الشج » .

لم تنته سنوات المحنة في مصر وما أدت إليه من عرقلة النشاط العلمي والثقافي في جامع عمرو بن العاص إلا بوفاة الواصل ومبايعة الناس للمتوكل بالخلافة في بغداد سنة ٢٣٣ هـ (٨٩) . فقد ذكرت المصادر أنه أمر بترك الجدل في القرآن ، وذلك في السنة التالية من توليته الخلافة . وأرسل كتبه إلى الأمصار، فقد ورد كتابه على واليه على مصر هرثمة بن النضر بأمر فيه بترك النظر وكثرة الجدل ، واتباع مذهب أهل الحديث والجماعة ، كما شجع فيه شيوخ المحدثين على اظهار السنة والتسليم والتقليد كما يقول المسعودي في ذكر أخباره (٩٠) .

قدم الحارث بن مسكين من العراق الى مصر سنة ٢٣٢ هـ ، وكان من الفقهاء المالكية البارزين في ذلك الوقت ، وكان (٩١) وما يزال بها محمد بن أبى الليث على القضاء ، وقد كتب اليه ابن أبى دؤاد قاضى القضاة في بغداد يوصيه بالحارث فلم يمتحنه وقال لأصحابه الذين كانوا يصرون على امتحانه : ليس الحارث قادما من العراق ، قالوا : بلى ، قال : فالسلطان هناك لم يمتحنه أفنمتحنه نحن ، اسكتوا عن هذا .

وفي تلك الأثناء أثيرت قضية أموال على بن عبد العزيز الجروى الشائر وما حصل عليه كل من بنى عبد الحكم والقاضى محمد بن أبى الليث نفسه من تلك الأموال ، وكان على ابن عبد العزيز قد ثار مثل أبيه واستطاع أن يسيطر على عدة جهات من مصر ، ولكنه هزم أخيرا وتم القبض عليه وحمل الى بغداد فلقى جزاءه القتل بعد أن وجهت اليه تهمة الخيانة وصودرت أمواله (٩٢) .

ثم ورد كتاب المتوكل في صفر سنة ٢٣٧ هـ على خوط عبد الواحد بن يحيى أمير البلاد بأخذ بنى عبد الحكم و زكريا كاتب العمرى وحمزة بن المغيرة ويزيد بن سنان في أموال الجروى فحبسوا فيها وتبعت أموالهم ونهبت منازلهم ، كما أودع في السجن معهم قاضى مصر المعروف ابن أبى الليث (٩٣) . ومن المعروف أن ابن عبد الله بن عبد الحكم كانوا كآبهم من حيث الشهرة في العلم والفقه ورواية الحديث والأخبار ، فمنهم محمد وعبد الحكم وعبد الرحمن المؤرخ الشهير صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب .

ولم يلبث عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم أن مات في عذابه في جمادى الأول سنة ٢٣٧ هـ من نفس العام ، وهناك رواية أخرى أوردها السيوطى يذكر فيها أن عبد الحكم مات معذبا في فتنة خلق القرآن ، فهو يقول : « ودخن بالكبريت عليه حتى مات » (٩٤) .

ومهما يكن فإن بنى الحكم قد تعطلت حلقاتهم في المسجد الجامع من جراء ذلك ، فضلا عن ضياع هيبة تلك الأسرة ومكانتها العلمية والأدبية في الفسطاط آنذاك .

أما القاضى المعتزلى ابن أبى الليث فكان مصيره العزل ، وصار يوقف كل يوم بين يدى الحارث بن مسكين فيضرب عشرين سوطا ، ثم يرد الى السجن ، وذلك من أجل اخراج تلك الأموال التى استولى عليها أيام توليه القضاء وما آل اليه من أموال ابن الجروى ، وأيضا لما نسب اليه من التبذير في أموال السبيل وغيرها مما في بيت المال ،

فقد ذكر الكندي أنه لما خلى من السجن ليحكم على بنى عبد الحكم وغيرهم وضمع يده على المال الذى كان مجتمعاً في بيت المال وهو نحو من مائة ألف وعشرين ألفاً من الدنانير فوزعها على أصحابه الذين حبسوا معه . وكانت نهايته أن أخرج الى العراق بعد أن طوف وشهر به بالفسطاط وذلك سنة ٢٤١ هـ (٩٥) .

والواقع ان الحركات السياسية والدينية كانت تؤثر تماماً في الحياة الثقافية في مصر وعلى نشاط الحركة العلمية في جامع عمرو ، فكما كان ظهور العلويين والشيعة على مسرح الأحداث حتى نهاية عصر الولاة ، وتعقب الولاة العباسيين واخراجهم من مصر كما حدث في خلافة المنتصر (٢٤٧ — ٢٤٨ هـ) وفي خلافة المستعين (٢٤٨ — ٢٥٢ هـ) (٩٦) ، نجد أن الأمر ينطبق كذلك بالنسبة لظهور الفرق والمذاهب الأخرى كالخوارج والمعتزلة كما أشرنا من قبل ، بل انه لم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل وجدنا القضاة وتعصبهم لأحـد المذاهب السنية يؤثر بشكل مباشر في حلقات المسجد الجامع ودروس العلم والدرس فيه ، فمن ذلك ما قام به الحارث بن مسكين الذى تولى منصب القضاء بعد عزل ابن أبى الليث عنه سنة ٢٣٧ هـ وكان من أتباع المذهب المالكي حينذاك (٩٧) .

فقد كان الحارث — مما يؤسف له — يحنق على غيره من أصحاب المذاهب الأخرى ، يذكر الكندي أنه حينما تولى منصبه أمر باخراج أصحاب أبى حنيفة من المسجد وأصحاب الشافعى ونزع حصرهم من المسجد الجامع ، واستمر الحال كذلك حتى ورد كتاب المتزكل بأعفائه سنة ٢٤٥ هـ (٩٨) .



رابعاً: ظهور آراء الصوفية ونشأ النوح الإخميمي المصري

حفلت حلقات المسجد الجامع بالكثير من العلماء ومن الزهاد والصالحين ، كما حفلت كتب الطبقات باسماء العديد من هؤلاء الزهاد والصوفية الذين عاشوا بالفسطاط منذ فجر الاسلام ، فقد ذكر ابن الكندي (٩٩) من اسمائهم حيوة بن شريح ، وسليم بن عتر التجيبى وسليمان بن القاسم وسيد الأدم وادريس الخولاني .

ونقل السيوطي عن مصادره المتقدمة من اسماء الزهاد فذكر منهم أبا عقيل والحارث ابن يزيد الحضرمي وابنه عبد الكريم وعبد الرحيم بن ميمون المدني وأبا الأسود النضر بن عبد الجبار المرادي وغيرهم ، وهكذا عرفت الفسطاط طريق الزهد والتصوف ومن أطلق عليهم بـ_____ ذلك بالصوفية (١٠٠) .

كما وفد على مصر من بغداد منصور بن عمار ، وكان من أعيان القصاص والمذكرين ، ومن أحسن الناس حديثاً في الموعظة ، وقد أورد السلمي من أقواله في الزهد والتصوف الشيء الكثير ، ولا شك أن وجوده في الفسطاط ومع اقترانه من العلماء والأئمة بين أروقة المسجد الجامع كان له أثره في مجال الزهد والتصوف بين المصريين (١٠١) .

وفي نهاية القرن الثاني الهجري ظهرت طائفة من الصوفية بالاسكندرية فكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتعارض الحاكم أو الوالي في أمره ، وكان على رأس تلك الطائفة رجل يدعى أبو عبد الرحمن الصوفي ولما تمكن الأندلسيون من دخول الاسكندرية والاستيلاء عليها عنوة في ذي الحجة سنة ٢٠٠ هـ ولوا عليهم أبا عبد الرحمن الصوفي ، ولكنهم ما لبثوا أن قاموا بعزله ولوا عليهم رجالاً منهم بسمى الكنانى (١٠٢) .

ولا شك أن قبول رئيس طائفة الصوفية لتولى أمر هؤلاء الأندلسيين كان أمراً مرفوضاً ومستتهجناً من جانب فقهاء مصر وأئمتها آنذاك ، لأن هذا في حقيقة الأمر يعنى الخروج على طاعة ولي الأمر والسلطان بالفسطاط وبغداد حاضرة الخلافة العباسية .

كما يذكر الكندي أن طائفة أخرى ظهرت في الفسطاط هذه المرة وأحاطت بقاضي مصر

عيسى بن المنكدر (٢١٢ - ٢١٤ هـ) فكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ومما يلفت النظر أن هذه الطائفة ظهرت في عام ٢١٢ هـ وهو نفس العام الذي خرج فيه الأندلسيون من الاسكندرية (١٠٣) .

ويبدو أن ابن المنكدر كانت له ميول صوفية حيث عرف عنه أنه كان يتقرأ ويتنسك وكانت هذه الطائفة تأتيه وهو جالس في مجلس حكمه بالمسجد الجامع فيقولون : « ايها القاضي : ذهب الاسلام . . . فعل كيف وكيت . . فيترك مجلس حكمه ويمضى معهم » .

وبلغ من شأنهم أنهم طالبوا القاضي بالكتابة الى الخليفة المأمون في أمر عزله ، وقد انكر عبد الله بن عبد الحكم عليه وهو امام المالكية آنذاك أن يفعل ذلك ، الا أنه كتب الى المأمون بما أشار عليه أصحابه الصوفية ، ولكن المعتصم لما علم بذلك بعد وفاة أخيه وتوليه الخلافة ، أمر بعزل ابن المنكدر وحمله الى العراق بعد أن تم حبسه أياما ومعه ابن عبد الحكم بالفسطاط .

وفي تلك الأثناء ظهرت شخصية ذى النون بن ابراهيم الأحميمي المصري في الفسطاط (١٠٤) ، وكان ذو النون قد ساج في البلدان المختلفة ، فطوف ببلاد الشام والحجاز (١٠٥) ثم بلاد افريقية حيث التقى بأهل العلم والزهد والصلاح ، وتوطدت صلته بالزاهد العالم القيرواني شقران بن علي الفرضي وأخذ عنه بعض مواعظه (١٠٦) .

ولما عاد الى مصر اتخذ له حلقة بجامع عمرو ، وسرعان ما ذاع صيته حيث وفد عليه من بلاد افريقيا والأندلس ، ومن بلاد المشرق الاسلامي ، ورووا عنه من هؤلاء أبو عبد الله ابن مسرة بن نجيج القرطبي الذي رحل الى مصر وأخذ عن ذى النون ، وكان أول من سلك طريق التصوف في الأندلس على طريقة استاذة (١٠٧) . كما روى عنه الجنيد عالم الصوفية الشهير (١٠٨) ، وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز البغدادي ، فقد صحبه واستفاد من علمه الغزير ، كما رافقه أيضا طاهر المقدسي ، وكان من جلة مشايخ الشمام في ذلك الوقت (١٠٩) .

كما التقى بنى النون المصري من الصوفية المشاركة سهل بن عيد التستري ، وعداس ابن حمزة النيسابوري ويوسف بن الحسين الرازي ، وقد روى أن هذا الشيخ الأخير سافر الى مصر ليتعلم الكيمياء واسم الله الأعظم على يد ذى النون (١١٠) .

كان ذو النون يبحث على طلب العلم والزهد في الدنيا في حلقته بالمسجد الجامع ، فمن مواعظه قوله : كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركها لها ، واليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا ولها طلبا (١١١) .

وقد أفرد ابن الجوزي له من سائر العلماء والفقهاء المصريين في عصره ، فذكر اسمه من القصاص والمذكرين بمصر ، ولم يذكر أحدا سواه ، ومن مآثر قوله كما ذكر المؤلف المذكور أنه كان يقول (١١٢) : « ما خلق الله على عبد من عباده خلعة أحسن من العقل ، ولا قلده قلادة أجمل من العلم ، ولا زينته بزينة أفضل من الحلم ، وكمال ذلك كله التقوى » . وكان يقول أيضا : « للحديث رجال وشغلى بنفسى استغرق كل وقتى » .

كان ذو النون المصري من أرباب الأذواق والمشاهدات ، وأول من تكلم في مصر في الأحوال ومقامات أهل الولاية (١١٣) ، وقد أنكر عليه فقهاء المالكية وعلى رأسهم عبد الله ابن عبد الحكم ان يتكلم في هذا العلم الذى استحدثه وكلامه هذا في ترتيب الأحوال والمقامات ، ولم يكتف هؤلاء الفقهاء بهجرانه أو الانقطاع عنه ، بل سعوا به الى الخليفة المتوكل واتهموه بالزندقة (١١٤) .

فأرسل في طلبه الخليفة فحمل من مصر على البريد ، والقى به في سجن المطبق في بغداد والناس من حوله يبكون وهو يقول : « هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه وكل فعـاله عـذب حسن » (١١٥) .

لم يلبث الخليفة العباسى فترة طويلة حتى أخرجه من السجن وأمر بفك ما في يديه ورجليه من الأغلال والحديد ، وعقدت بينه وبين فقهاء بغداد وعلمائها مناظرة شهيرة ، استطاع أن يتغلب عليهم فيها بحججه القوية وعلمه الغزير . ثم قام بموعظة المتوكل مما جعله يبكى لشدة تأثره بأقواله ، وأمر برده بعد أن خلق عليه معززا مكرما الى الفسـطاط (١١٦) .

وقد سبقت الإشارة الى مكانته العلمية ، وما كان له من قدم راسخ فقد روى الموطأ عن الامام مالك ، كما روى عن الليث بن سعد وابن لهيعة وفضل بن عياض وآخرين من علماء مصر وأئمتها البارزين ، وكان صاحب مذهب من أخص خصائمه

التحليل والتعليل والتأويل : كما ترجم له في تراجم الصوفية وله « مقالة طويلة عن الأولياء والأبدال وصفتهم » (١١٧) .

ولا شك أن آراء ذى النون في ميدان التصوف وحديثه عن أحوال الصوفية ومقاماتهم قد شغل أذهان الكثير من العلماء والمفكرين في عصره ، كما عملت على اجتذاب كثير من المريدين الذين التفوا حوله وأخذوا عنه بعد أن وفدوا على القسطنطينية .

توفي العالم الزاهد الصوفي ذو النون في سنة ٢٤٥ هـ (١١٨) وجاء في وصيته المسندة عنه أنه لا يبني على قبره ولا يعقد عليه قبعة (١١٩) وقد أصبح من المزارات والمشاهد الهامة بعد وفاته (١٢٠) .



هوامش الفصل الرابع

(١) اختلفت الآراء حول ظهور آراء السبئية ، ويرى فلهوزن أن اطلاق لفظ السبئية إنما ينطبق على غلاة الشيعة فقط ، بينما يرى غيره أن هذه الكلمة « السبئية » تشمل سائر الفرق التي اتسمت آراؤها بالغلو والتطرف من فرق الشيعة . وفي صدر الاسلام كانت السبئية كلمة ذم تطلق على جميع الفرق التي تنسب الى الشيعة من قبل الخوارج . فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٣٨ ، ترجمة عبد الرحمن بدوى .

(٢) بدأ ابن سبأ الذى عرف فى صدر الاسلام بابن السوداء دعوته ، حيث صار ينتقل من الحجاز الى الأمصار المختلفة ، نزل البصرة عام ٣٣ هـ ثم خرج منها الى الكوفة ، فأخرج منها فसार الى مصر واستقر بها .
المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٣) اخذ ابن سبأ فكرة الرجعة عن اليهودية ، فعندهم أن النبی الياس صعد الى السماء وأنه سيعود فيعيد الدين والقانون الى دنيا الناس .

أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٧٠ .

(٤) الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٤ .

(٧) الولاة ، ص ١٤ .

(٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٨٠ .

(٩) وتبعاً لذلك فإن شيوخ القبائل وعلماءها قد انقسموا على أنفسهم ، فمن هذه القبائل اليمينية قبيلة لخم كانت علوية الهوى والمراد ، فكان منها قيس بن حرملة أحد قادة ابن أبى حذيفة ، وحمام بن عامر الذى حضر حصار دار عثمان وحكم مصر نيابة عن الأشتر النخعى سنة ٣٧ هـ . الكندى : الولاة ، ص ١٩ ، الهجرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ١٥٦ .

(١٠) الطبرى : تاريخه ، ج ٤ ، حوادث سنة ٣٥ هـ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

- (١١) الكندى : الولاة والقضاة . ص ٢٩ .
- (١٢) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .
- (١٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧١ - ١٧٢ .
- (١٤) الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ .
- (١٥) كان معاوية بن حديج من الصحابة الذين وفدوا على عمر بالمدينة يخبرونه بفتح الاسكندرية ، وهو قاتل محمد بن أبى بكر والى مصر من قبل على بن أبى طالب ، وكما يذكر الكندى ، فاليه ينسب الفضل فى اخماد حركة العلوية ، حيث كان من الأوائل الذين اعتزلوا ابن أبى حذيفة وبارزوه ، كما تنسب اليه المكيدة التى كاد بها للأمير قيس ابن سعد بن عباد حتى عزله على عن ولاية مصر ، وعندما قتل محمد بن أبى بكر سنة ٣٨ بمصر يقول يزيد بن أبى حبيب ، أن معاوية بعث بسليم مولاة الى المدينة بشيرا بقتل محمد بن أبى بكر ومعه قميص له فدخل به دار عثمان واجتمع آل عثمان من رجال ونساء وأظهروا السرور بقتله .
- الكندى : الولاة ، ص ١٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ .
- (١٦) تولى القضاء بمصر من قبل واليها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ ، والذي قام بتعريب الدواوين ونقلها الى العربية بدلا من اليونانية .
- الكندى : القضاة ، ص ٣٢٩ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٤٤ ،
Grohmann : Arabic Papyrian, Vol 1, p. 22.
- (١٧) محمد عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٥ ، ١٠١ .
- (١٨) عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٤٦ .
- (١٩) المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٥٩ ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .
- (٢٠) الولاة ، ص ١١١ - ١١٢ ، عبد الرحمن الرافعى وسعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٥٦ .
- (٢١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٥٥٢ ، حوادث سنة ١٤٥ هـ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، حسن ابراهيم : التاريخ السياسى ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

- (٢٢) مـروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .
- (٢٣) الـولاء ، ص ١١٢ .
- (٢٤) نفس المصـدر ، ص ١١٤ .
- (٢٥) ويروى المسعودى أنه حينما بلغ إبراهيم قتل أخيه محمد وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وقال فيه هذه الأبيات :
- أبا المنازل خير الفوارس من يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعنا
الله يعلم أنى لو خشيتهم وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخى لهم حتى نموت جميعا أو نعيش معا
- مـروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠٧ .
- (٢٦) المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .
- (٢٧) نفس المصـدر ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .
- (٢٨) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ١ ، ص ١١١ .
- (٢٩) كان اسحاق بن جعفر الصادق من رواة الحديث ، كما كان مشهورا بالثقة ،
وحينما توفيت زوجته السيدة نفيسة فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ ، أراد زوجها اسحاق
أن يحملها ليدفنها بالمدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة بها .
- المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٤٦ .
- (٣٠) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥١١ .
- (٣١) الخطط ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ .
- (٣٢) المصـدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .
- (٣٣) الـولاء : ص ١٩٨ .
- (٣٤) نفس المصـدر ، ص ٢٠٣ ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .
- (٣٥) الـولاء ، ص ٢٠٤ .
- (٣٦) الـولاء ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، المقرئى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٧١ .
- (٣٧) الكندى : نفس المصـدر ، ص ٢٠٥ .

(٣٨) جاء تسميتهم بهذا الاسم من جانب خصومهم لخروجهم على على او خروجهم الى المدائن ومفارقتهم للجماعة ، وصاروا يسمون أنفسهم في العهد الأموي باسم جديد هو الشراة . ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الاسلامية ، ص ٦٦ .

(٣٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٢١٨ - ٢٢١ ، المقرئ : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦٨ .

(٤٠) كانت ولاية مسلمة بن مخلد سنة ٤٤ هـ وفي عهده أمر المؤذنين أن يكون آذانهم في الليل في وقت واحد فكان مؤذنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر فاذا فرغوا من آذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد وظل الأمر كذلك متبعاً حتى مجيء العباسيين . الكندي : الولاة ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤١) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٤٢) الولاة ، ص ٤١ - ٤٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٦ .

(٤٣) نفس المصدر ، والمصفحة .

(٤٤) سموا بالشراة أى الذين باعوا أنفسهم لله ، من قوله تعالى : « ومن الناس من يشموى نفسه ابتغاء مرضاة الله » كما أطلقوا على أنفسهم الحرورية نسبة الى القرية التى خرجوا اليها قريبة من الكوفة وتسمى « حروراء » كما سموا أيضا بالمحكمة أى الذين يقولون لا حكم الا لله .

(٤٥) كانت نظريات الخوارج تتحدد معانيها وتتفرع الى مسائل دقيقة ، وقد ساعدهم على ذلك تلك المناظرات التى جرت بينهم وبين خصومهم منذ البداية لمناظراتهم مع ابن عباس ومع على نفسه ومناظراتهم مع ابن زياد بالعراق وعبد الله بن الزبير في مكة ، وقد شغلت مناظراتهم التى اشار اليها المسعودى وغيره من المؤرخين مكانا هاما في تاريخ الأدب العربى . وقد اشتملت مبادئ الخوارج على عدة نقاط أو مبادئ هامة هي :

★ اقرارهم بالبيعة لأبى بكر وعمر وعثمان في سنوات حكمه الأولى ، وبصحبة بيعة على وإمامته قبل التحكيم ومخالفة نظرية الشيعة القائلة بانحصار الخلافة فى آل البيت فقط دون غيرهم .

★ أن الامامة او الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين وليس من الضروري أن يكون الخليفة قرشياً بل هي حق لكل عربي حر .

★ وجوب الخروج على السلطان الجائر .

وكان أهم فرق الخوارج التي ظهرت في العصر الأموي الأزارقة - النجيدات - الصفرية ، الأباضية . أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٨ - ٢٦٠ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني ، ج ١ ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ ، ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية الاسلامية ، ص ٦٦ - ٦٨ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤٦) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، حوادث سنة ١٢٨ هـ ، حوادث سنة ١٣٠ هـ ، حوادث سنة ١٣٨ هـ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٨٠ - ٨٣ .

(٤٧) الكندي : السـؤـلـة ، ص ٧٨ .

(٤٨) نفس المصدر والصفحة .

(٤٩) تولى إمارة مصر سنة ٢٣٨ هـ من قبل المنتصر ولى عهد الخليفة المتوكل العباسي . نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .

(٥٠) Lane -- Poole : A History of Egypt, p. 40.

(٥١) نفس المصدر ، ص ٢٠١ .

(٥٢) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ، هل : الحضارة العربية ، ص ١١٣ .

(٥٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .

(٥٤) ذكر المسعودي أن عمرو بن عبيد كان يقول : « أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا باستحقاق لها ، ثم استحقها بالعدل حين أخذها » مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٥٥) الطبقات ، ج ٧ ، ص ١٤٢ .

(٥٦) مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٠٤ .

(٥٧) كره الرشيد المعتزلة ، يروى الجهشيارى أنه لما أدرك أن الشاعر القبانى من

المعتزلة ، عظم عليه ذلك وانكره ، ولما أدرك أن الرشيد يعتزم التنكيل به غادر بغداد ،
الوزراء والكتاب ، ص ٢٩٠ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية، ص ٢٦١ .
(٥٨) أيد المأمون المعتزلة واعتنق مبادئها ، كما نقل المسعودى عنه أنه كان يجلس
للمناظرة في الفقه ومن يناظره من سائر أهل المقالات والمتكلمين . مـروج الذهب ،
ج ٤ ، ص ١٩ .

(٥٩) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨ ، ص ٦٣١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ٣ .
(٦٠) أنظر نص الكتاب في الملحق (٢) .
(٦١) السـيـاسة والقضـاة ، ص ١٩٣ ،
(٦٢) نفس المصـدر ، ص ٤٤٧ .

Lane — Poole : A History of Egypt, pp. 38 -- 39.

(٦٣) الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ .
(٦٤) الكنـسـدى : القضـاة ، ص ٤٤٧ .
(٦٥) القضـاة ، ص ٤٤٧ .
(٦٦) المصـدر السابق والصفحة .
(٦٧) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .
(٦٨) نسبة الى ايله مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . . وكان عمر
ابن عبد العزيز لا يزيداد على أهل أيلة عن الثلاثمائة دينار في الخراج .
ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ .
(٦٩) القضـاة ، ص ٤٥١ — ٤٥٢ .
(٧٠) دومنيك سوردهال : الاسلام في العصور الوسطى ، ص ٩٩ .
(٧١) القضـاة ، ص ٤٥١ .
(٧٢) نفس المصـدر والصفحة .
(٧٣) القضـاة ، ص ٤٥١ .
(٧٤) المصـدر السابق والصفحة .

- (٧٥) القضاة ، ص ٥١ .
- (٧٦) عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٩١ - ٩٢ .
- (٧٧) ابن الجوزي : القصص والمذكرين ، ص ٧٢ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج
- (٧٨) الكندي : السولة ، ص ١٩٧ .
- (٧٩) المصدر السابق ، ص ٥٧ .
- (٨٠) القضاة ، ص ٥٧ .
- (٨١) اختطت كندة حول المسجد الجامع بالفسطاط ، ولعب أفرادها دورا هاما في الحياة العامة بمصر ، فكان فيها القضاة والفقهاء والمحدثون والمؤرخون وقد ظلوا يقيمون بمصر حتى القرن الرابع الهجري .
- الكندي : الولاة ، ص ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، حسن أحمد محمود : الكندي المؤرخ ، ص ٦ - ٧ ، ١٥ ، ١٧ .
- G. Wiet : Repert, Chro. tome 2, pp. 79, 119, 120, 140.
- (٨٢) الكندي : القضاة ، ص ٥٩ .
- (٨٣) نفس المصدر ، ص ٤٦٠ .
- (٨٤) نفس المصدر ، ص ٤٦٠ - ٤٦١ .
- (٨٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥١٣ .
- (٨٦) ابن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٩ ، ص ١٣٥ ، المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٧٦ .
- (٨٧) القضاة ، ص ٥٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .
- (٨٨) المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .
- (٨٩) الكندي : السولة ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .
- (٩٠) مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٨٦ ، الكندي : الولاة ، ص ١٩٧ .
- (٩١) الكندي : القضاة ، ص ٤٦٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٦٧ .

- (١٠٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
- (١٠٩) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ٤٣ .
- (١١٠) ابراهيم شتا : التصوف عند الفرس ، ص ١٢ .
- (١١١) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ١٠ - ١١ .
- وقيل أن فقهاء أحميم في صعيد مصر حنقوا عليه وتعصبوا ضده فركبوا نهر النيل الى الفسطاط للنيل منه لدى والى مصر آنذاك ، فلما استقلوا الزورق ليشهدوا عليه بالكفر فاعلموه بذلك فقال اللهم ان كانوا كاذبين فغرقهم ، فانقلب الزورق بهم فغرقوا والناس ينظرون وغرق معهم رئيس المركب فقيل له : وما بال الرئيس . قال : حملهم .
- الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ١٣ .
- (١١٢) القصص والمذكرين ، ص ٧٢ .
- (١١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٢٩١ .
- (١١٤) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٢٤٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٥٠ .
- (١١٥) السيوطى : المصدر السابق والصفحة ، محمد عبد المنعم خفاجى : التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر ، ص ٤٥ .
- (١١٦) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥١٢ .
- (١١٧) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ابو نعيم : حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ١٣ ، ١٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٩ ، ص ٤٢٠ .
- (١١٨) قيل أنه لما مات اظلت الطيور الخضراء جنازته ، ترفرف عليه الى أن وصل قبره ، فلما دفن غابت ، فاحترم أهل مصر بعد ذلك قبره .
- السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥١٢ .
- (١١٩) G. Wiet : Repert, Chro, tome, 11, p. 29, No, 440 — Fustat. (١١٩)
- (١٢٠) ابن جبير : كتاب الرحلة ، ص ٢٢ ، المقرئى : الخطوط ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ ، أحمد أمين : ظهور الاسلام ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

الملاحق

« ملحق رقم (١) »

فيمن وقف على إقامة قبلة جامع عمرو من الصحابة

ذكر أهل العلم والمعرفة والرواية أنه دخل مصر في فتحها ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل ونيف . وقال يزيد بن أبي حبيب وقف على إقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد ، وعقبة بن عامر ، وأبو ذر ومحمية بن جزء ، ونبيه بن صؤاب ، ورافع بن مالك ، وربيعة بن شرحبيل بن حسنة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن علقمة . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وخارجة بن حذافة ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن مسلمة ، ومسلمة ابن مخلد ، وأبو أيوب ، وزويفع بن ثابت ، وهبيب بن مقفل ، وكعب بن صنتة ، ومعاوية ابن حديج وعمار بن ياسر ، وعمرو بن العاص ، وأبو هريرة رضى الله عنهم أجمعين .

(١) ابن الكندي : فضائل مصر ، تحقيق إبراهيم أحمد العدوى ، وعلى محمد عمر ، الطبعة الأولى ، شوال سنة ١٣٩١ هـ .

« ملحق رقم (٢) »

كتاب الخليفة المأمون الى نصر بن عبد الله كيدر

أمير مصر بشأن المحنة عن « خلق القرآن »

كتب أبو اسحاق بن هارون الى كيدر وهو والى على مصر (١) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . من أبى اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أخى أمير المؤمنين الى نصر بن عبد الله كيدر مولى أمير المؤمنين سلام عليك . فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . . . أما بعد فان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه كتب الى فيما أمرنى به من الكتاب الى قضاة عملى فى امتحان من حضرهم للشهادات فمن أقر منهم بأن القرآن (مخلوق) وكان عدلا قبلوا شهادته ومن دفع ذلك أسقطوا شهادته ولم يرفعوا حكما بقوله وامتحان أولئك القضاة بهذه المحنة فمن نفى منهم التشبيه وقال ان القرآن (مخلوق) أقره بموضعه ومن دفع أن يكون القرآن (مخلوقا) أمره باعتزال الحكم وأن لا يعان بمثل ذلك فى جميع أهل الحديث هنالك ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وترك الاذن لأحد منهم فى حديث أو فتوى الا على انتحال هذه النحلة والقول بمثل هذه المقالة والبلوغ من يعتقد ذلك ومراعاته مبلغ المحتسب للخير والكتاب اليه أكرمه الله بما يكون منك وقد رأيت أن نمتحن القاضى هناك بالمحنة التى كتب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ليعرف مذهبه وما عنده بأن القرآن (مخلوق) وترك التشبيه والشك فيه فقدمت اليه فى امتحان من يحضر للشهادات بهذه المحنة ومن أقر منهم عدلا قبلت شهادته ومن دفع ذلك وامتنع منه أسقطت شهادته وان أنكر القاضى أن يكون القرآن (مخلوقا) أمرته باعتزال الحكومة وأوعزت بمثل ذلك الى أهل الحديث ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وكتبت الى القاضى قبلك بمثل الذى كتبت اليك فاعلم ذلك واعمل بما مثل به أمير المؤمنين منه وائته اليه وابلغ من القيام على حسب ما يلزمك ويجب عليك وأحضر ما تعمل به عنده من وجوه أهل عملك وصلحائهم واكتب الى بما يكون من القاضى فى ذلك منك على حقه وصدقه لأنهييه الى أمير المؤمنين ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . »

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤٤٥ — ٤٤٦ .

« ملحق رقم (٣) »
 جدول بأسماء القضاة في مصر في عصر الدولة الذين كان مجلس
 حكمهم في المسجد الجامع

٢	الاسم	السنة التي تولى فيها	العصر	اسم الوالي	اسم الخليفة
١	قيس بن أبي العاص	٢٣ هـ	الخلفاء الراشدين	عمرو بن العاص	عمر بن الخطيب
٢	كعب بن يسار بن ضنة	٢٣ هـ		عمرو بن العاص	عمر بن الخطيب
٣	عثمان بن قيس بن أبي العاص	٢٣ هـ		عبد الله بن سعد	عمر بن الخطيب
٤	سليم بن عتر التجيني	٤٠ هـ		عمرو بن العاص	علي بن أبي طالب
٥	عائس بن سعيد الرازي	٦٠ هـ	عصر بني أمية	مسلمة بن مخزوم	معاوية بن أبي سفيان
٦	بشير بن النضر المزني	٦٨ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
٧	عبد الرحمن بن حنيفة الخولاني	٦٩ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
٨	مالك بن شراحيل الخولاني	٨٣ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
٩	يونس بن عطيّة	٨٤ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
١٠	أوس بن عبد الله بن عطية	٨٦ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
١١	عمران بن عبد الرحمن الحسني	٨٦ هـ		عبد الله بن عبد الملك	عبد الملك بن عبد الملك
١٢	عبد الله بن عبد الرحمن بن حنيفة	٩٠ هـ		قبرة بن شريك	الوليد بن عبد الملك
١٣	عباس بن عبد الله الأزدي	٩٧ هـ		قبرة بن شريك	الوليد بن عبد الملك
١٤	عبد الله بن يزيد بن خنيس	١٠٠ هـ		أيوب بن شراحيل	سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز

تابع جدول بأسماء القضاة

اسم الخليفة	اسم الوالي	العصر	الاسم
<p>لاميون الأميون الأميون الأميون الأميون الأميون الأميون الأميون الأميون</p>	<p>حاتم بن هرثمة بن أعين جسابر بن الأشعث عباد بن محمد بن جيسان السري بن الحكم عبد الله بن طاهر عيسى بن منصور علي بن يحيى الأرمي خوط عبد الواحد بن يحيى يزيد بن عبد الله التركي مزاحم بن خاقسان (٢٥٣ - ٢٥٤ هـ)</p>	<p>عصر الخلفاء العباسيين</p>	<p>٢٨ - هشام بن أبي بكر البكري ٢٩ - إبراهيم بن البطاء البجلي ٣٠ - لهيعة بن عيسى الحضرمي ٣١ - إبراهيم بن الجراح ٣٢ - عيسى بن النكدر ٣٣ - هارون بن عبد الله ٣٤ - محمد بن أبي الليث الخوارزمي ٣٥ - الحارث بن مسكين ٣٦ - بكار بن قتيبة</p>
			<p>١٩٤ هـ ١٩٦ هـ ١٩٦ هـ ٢٠٤ هـ ٢١٢ هـ ٢١٧ هـ ٢٢١ هـ ٢٢٧ هـ ٢٤٦ هـ وكانت ولايته ٢٤ سنة وسنة أشهر ت ٢٧٠ هـ</p>

تابع جدول بأسماء القضاة

الاسم	العصر	السنه التي تولى فيها	اسم الوالى	اسم الخليفة
١٥ - يحيى بن ميمون الحضرمى	١٢٨	١٠٥ هـ	محمد عبد الملك بن مروان	هشام بن عبد الملك
١٦ - توبة بن نمر الحضرمى	١٢٠ هـ	١١٥ هـ	الوليد بن رفاعه	هشام بن عبد الملك
١٧ - خير بن فعيم الحضرمى	١٢٨ هـ	١٢٠ هـ	حنظلة بن صفوان الكلبي	هشام بن عبد الملك
١٨ - عبد الرحمن بن سالم الجيشاني	١٢٨ هـ	١٢٨ هـ	حوثره بن سهيل	مروان بن محمد
١٩ - غوث بن سليمان الحضرمى	١٢٨ هـ	١٣٥ هـ	أبو عون عبد الملك بن يزيد	أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي
٢٠ - أبو خزيمه ابراهيم بن يزيد الرعيصنى	١٢٨ هـ	١٤٤ هـ	يزيد بن حاتم	أبو جعفر المنصور
٢١ - عبد الله بن لهيعة الحضرمى	١٢٨ هـ	١٥٥ هـ	محمد بن عبد الرحمن	أبو جعفر المنصور
٢٢ - اسماعيل بن اليسع الكندى	١٢٨ هـ	١٦٤ هـ	ســـ	أبو جعفر المنصور
٢٣ - الفضل بن فضالة القبانى	١٢٨ هـ	١٦٨ هـ	موسى بن مصعب	أبو جعفر المنصور
٢٤ - أبو الطاهر عبد الملك بن محمد	١٢٨ هـ	١٧٠ هـ	علي بن سليمان العباسى	أبو جعفر المنصور
٢٥ - محمد بن مسروق الكندى	١٢٨ هـ	١٧٧ هـ	عبد الله بن المسيب	أبو جعفر المنصور
٢٦ - اسحاق بن الفرات	١٢٨ هـ	١٨٤ هـ	اسحق بن سليمان	أبو جعفر المنصور
٢٧ - عبد الرحمن بن عبد الله العمري	١٢٨ هـ	١٨٥ هـ	الليث بن الفضل	أبو جعفر المنصور

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية :

- ١ - البخارى ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .
صحيح البخارى ، الجزء الأول مطابع دار الشعب .
- ٢ - البلاذرى ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .
فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان .
- ٣ - ابن الجوزى ، جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن البغدادى ، المتوفى
سنة ٥٩٧ هـ .
تلبيس ابليس ، نشر مكتبة المدنى للطباعة والنشر ، القاهرة ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
القصاص والمذكرين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ .
- ٤ - الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .
تقييد العلم ، حققه وعلق عليه يوسف العشى ، نشر دار احياء السنة
النبوية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م .
- ٥ - ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد العلائى (ت ٨٠٤ هـ / ١٤٠٧ م) .
الاعلاق النفيسة ، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ،
ببـولاق ، ١٣٠٩ هـ .
- ٦ - ابن رسته ، أبو على أحمد بن عمر .
الاعلاق النفيسة ، الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ،
تحقيق ذى غـوية ، لندن ، ١٨٩٢ م .
- ٧ - السلمى ، أبو عبد الرحمن المتوفى
طبقات الصوفية ، نشر مطابع الشعب ١٣٨٩ هـ .

٨ - السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) .
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٩ - الطبري ، محمد بن جرير المتوفى سنة ٣١٠ هـ .
تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،
دار المعارف ، القاهرة .

١٠ - عبد الحكم ، أبو محمد عبد الله المتوفى سنة ٢١٤ هـ .
سيرة عمر بن عبد العزيز ، رواية ابنه أبو عبد الله محمد المتوفى سنة ٢٦٨ هـ ،
تصحيح وتعليق أحمد عبيد ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،
١٩٨٣ م .

١١ - ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) .
فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربي ، القاهرة .
١٢ - الفزالي ، الإمام أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)
إحياء علوم الدين ، الأجزاء الخمسة الأولى ، الناشر : دار الفكر العربي ،
القاهرة ١٩٨٦ م - ١٩٨٨ م .

١٣ - ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، منطدان ، مكتبة الخانجي - القاهرة .

١٤ - ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م .
المعارف ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧ هـ .

١٥ - ابن كثير ، اسماعيل بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م .
تفسير القرآن العظيم الأجزاء الأربعة ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القاهرة ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

١٦ - الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٥٠ هـ .
كتاب الولاية والقضاة ، طبعة بيروت ١٩٠٨ م - ١٩١٢ م .

١٧٠ - ابن الكندي : عمر بن محمد بن يوسف ، توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

فضائل مصر ، تحقيق إبراهيم أحمد العدوي ، على محمد عمر ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

١٨ - المالكي ، أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله (المتوفى حوالى منتصف القرن الخامس الهجري) .

رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان و افريقية ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

١٩ - الماوردي ، على بن محمد بن حبيب البصرى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ
الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .

٢٠ - المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المتوفى سنة ٣٤٦ هـ .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الأجزاء الأربعة ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .

٢١ - المقرئى ، تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، الأجزاء الثلاثة ، طبعة دار التحرير عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

٢٢ - النباهى الملقب ، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .
تاريخ قضاة الأندلس ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٢٣ - ابن النديم ، محمد بن اسحق ، المتوفى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٢ م .
الفهرست ، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨ م .

٢٤ - ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافى (المتوفى سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) .

السيرة النبوية ، أربعة أجزاء في مجلدين ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ،
القاهرة .

٢٥ - ياقوت الحموى ، الامام شهاب الدين أبى عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .
معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، الناشر : دار احياء التراث العربى بيروت ،
١٩٧٩ م .

ثانيا - المراجع العربية :

- ١ - ابراهيم دسوقي الشهاوى :
كتاب الشهاوى فى تاريخ التشريع الاسلامى .
- ٢ - أحمد أمين :
فجر الاسلام ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- ٣ - أحمد تيمور :
نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الفقهية الرابعة ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ،
القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ٤ - أحمد رمضان أحمد :
تطور علم التاريخ الاسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .
- ٥ - آدم متـ :
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جزءان ، ترجمة محمد عبد الهادى ريدة ،
الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
- ٦ - السيد عبد العزيز سالم :
التاريخ والمؤرخون العرب ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٧ م .
- ٧ - الفريد (ج) بتـ :
فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣ م .

- ٨ - ف . بارتولد :
تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ،
١٩٨٣ م .
- ٩ - حسن ابراهيم حسن :
تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزءان الأول والثانى ،
مكتبة النهضة العربية ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٥ م .
- ١٠ - حسن احمد محمود :
الكندى المؤرخ ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م .
- ١١ - رينولد أ. نيكولسون :
فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، ترجمة أبو العلا عفيفى ، لجنة التأليف والترجمة
والنشر .
- ١٢ - ستانلى لينبول :
سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، على ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٠ م .
- ١٣ - سعد زغلول عبد المجيد :
تاريخ المغرب العربى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- ١٤ - سيده اسماعيل كاشف :
مصادر التاريخ الاسلامى ، ومناهج البحث فيه ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٧٦ م .
مصر فى عصر الولاة من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية مطبوعات الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ م .
- ١٥ - شوقي ضيف :
تاريخ الادب العربى ، الجزء الأول ، العصر الاسلامى ، دار المعارف ،
الطبعة التاسعة ، ١٩٨١ م .
- ١٦ - طه حسين :
الفتنة الكبرى ، الجزء الأول ، دار المعارف ، الطبعة العاشرة .

- ١٧ - عبد الحى الكتـانى :
نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، جزءان ، دار الكتاب العربى ،
طبعة بيروت .
- ١٨ - عبد الله خورشيد البـرى :
القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الاولى للهجرة ، الناشر : دار الكتاب
العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
القرآن وعلومه فى مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٩ م .
- ١٩ - عصام الدين عبد الرؤوف الفقى :
الحواضر الاسلامية الكبرى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ٢٠ - فـريد شـافى :
العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، المجلد الاول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية
العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ٢١ - محمد جمال الدين سرور :
الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ،
الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ م .
- ٢٢ - محمد ضياء الدين الرئيس :
النظريات السياسية الاسلامية ، الطبعة السابعة ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ٢٣ - محمد أحمد - :
جامع عمرو بن العاص بالفسطاط من الناحيتين الأثرية والتاريخية ، الطبعة
الأميرية ، بـبـلـاق ، ١٩٣٨ م .
- ٢٤ - محمود بن محمد بن عرنوس :
تاريخ القضاء فى الاسلام ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٢٥ - يوليوس فلهـوزن :
الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، الناشر : وكالة المطبوعات ،
الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ م .

ثالثا : المراجع الأجنبية

1 — Creswell. K. A. C.

— A short Account of Early muslim Architecture.
Cairo, 1989.

2 — Grohmann A. P. H. D.

— Arabic – Papyrian the Egyptian Library, Vol L, 2, Edition
1934 — 1936.

3 — Lane -- Poole Stanley :

A History of Egypt in the Middle Ages. Fourth Edition,
London, 1925.

4 — M. Hasan HaWary H. Rached, Stèles Fûnéraires, Tome, 1,

Le Cairo, 1932.

5 — Wiet. G :

Repertoire Chronologique D; Epigraphraphie Arabe, tome
1, 2 Le Cairo, 1931.

6 — Ency — of Eslam.

رقم الايداع ٢٤٣٢ / ١٩٩٠

الترقيم الدولي ٥ - ٤٤٢ - ١٠ - ٩٧٧

977 - 10 - 0442 - 5 I. S. B. N

